
حنفى المحلاوى
ناهد
والملك فاروق
المرأة التى عرفت
أسرار ثورة يوليو
Bibliotheca Alexandr
0126225
مكتبة الدار العربية للكتاب

ناهـــد
والملك فاروق

الناشـــر : **مكتبة الـــدار العربية للكتاب**

شارع الطيران ـ الحى الســابع ـ مدينة نصر

تليفون : ٢٦٣٩٨٥١ ـ فاكس : ٣٩٠٩٦١٨

ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة

رقم الإيداع : ٢٢٦٩ / ٩٤

الترقيم الدولى: 3 - 14 - 5366 - 977

جمــــع : آر . تك

العنوان : ٣٣٩ ش السودان

تليفون : ٣٤٧٢٥٥٥

طبـع : الفنية

العنوان : ٢٢ شارع الشقفاتية ـ متفرع من الساحة ـ عابدين

تليفون : ٣٩١١٨٦٢

الطبعة الأولى : ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م

تصميم الغلاف : عمرو فهمى

حنفي المحلاوى

ناهد والملك فاروق

المرأة التى عرفت أسرار ثورة يوليو

مراجعة المادة التاريخية
مختار السويفى

الناشر
مكتبة الدار العربية للكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

هذه كلمات قليلة أهديها إلى الأديب الكبير والكاتب والمفكر الأستاذ مختار السويفى.. وهى لن توفيه حقه فيما بذله من مجهود فى مراجعة وتحقيق ما جاء فى هذه الأوراق من تواريخ وأحداث.. ولولا ما قام به.. لخرج هذا الكتاب معيباً فى بعض تواريخه وفى بعض سطوره.. وهذه ليست كلمات شكر بقدر ما هى تحية وعرفان لذلك الرائد الكبير الذى استطاع بصبره العظيم وعلمه الغزير أن يساهم فى تقديم هذا العمل التاريخى والحيوى فى حب مصر.. وفى حب كل الأجيال.. ومرة ثانية.. أقدم خالص شكرى للأستاذ الكبير والمعلم الفاضل الأستاذ مختار السويفى.

حنفى المحلاوى

.. ليست مقدمة !

رأينا من الضرورى التنويه عن شئ لابد منه قبل الدخول فيما تحتويه أوراق هذا الكتاب من تفاصيل.

إن ما سوف نتناوله من خلال كلماتنا القادمة يتحدث عن بعض الشخصيات المصرية التى رحل أغلبها إلا أنها تركت بيننا بعد رحيلها أبناء وأنسابا وعائلات قد يسوؤها ما سوف نذكرهم . .

وهناك قاعدة علمية وأدبية معروفة تحكم من يكتبون عن هؤلاء الذين لعبوا أدوارا متميزة فى حياة أوطانهم، دون النظر إلى ما سوف يصيب من تركوه من بعدهم من سوء فهم أو سوء تقدير مادام الهدف ليس التشهير . . بل يدخل فى نطاق البحث والدراسة.

هذه القاعدة وبشكل مجمل تنظر إلى هذه الشخصيات على أنها شخصيات عامة . . أصبح الحكم عليها للتاريخ، سواء كانت مساهماتهم فى صنع هذا التاريخ بالسلب أو بالإيجاب.

وحتى لا نبتعد كثيرا عن موضوع هذه الأوراق . . نقول من جديد

إنها تضم بعض الشخصيات المصرية المعاصرة التى شاركت فى صنع العديد من الأحداث التاريخية، خاصة فى الحقبة التى امتدت إلى عشر سنوات سابقة على قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢، بل وربما أبعد من هذا التاريخ بقليل. وهذه الشخصيات لايزال يعيش بيننا من يعرفها أو من كان يتعامل معها عن قرب لذلك رأينا أن تكون البداية الصحيحة لحديث أوراقنا القادمة.. ذلك التنويه الذى نعتبره من صلب موضوع الكتاب، وليس كمقدمة أو مدخل.

وهناك ملحوظة فى غاية الأهمية رأيت أيضا من الضرورى التنويه عنها.. وهى أنه يتضح لكل متتبع لكل ما كتب عن تاريخ مصر الحديث، خاصة فى الفترة التى سبقت ٢٣ يوليو.. أن هناك نوعا من الإهمال المتعمد حتى من بعض الباحثين وأساتذة الجامعة المتخصصين فى مادة التاريخ.. فيما يخص الملكية فى مصر.. بما لها وما عليها.. وكما هو معروف لدينا جميعا أن تاريخ الأمم هو كل متكامل لا فرق فى أحداثه بين الأمس واليوم. لذلك كنت أبحث بجدية وأنا أناقش موضوع هذه الأوراق.. عمن يقدم إلى جيلنا تاريخ مصر الحقيقى.. خاصة تاريخ تلك الملكية التى بدأت فى تصورنا من عصر محمد على. ذلك العسكرى القادم من بلاد اليونان والذى اعتلى عرش مصر عام ١٨٠٥، وحتى رحيل آخر أحفاده.. الملك فاروق يوم ٢٦ يوليو عام ١٩٥٢.

* * *

ورغم أننا اكتشفنا أن هناك فترات طويلة من تاريخ الملكية المصرية قد تم التعتيم على أحداثها. . إلا أن أهم هذه الفترات. هى أيام حكم الملك فاروق. . وقد يكون فى هذا القول نوع من سوء الفهم. . ولكننا نؤكد ما نقصده. . لأنه حتى ما كتب عن هذه الفترة قد اصطبغ بالصبغة الشخصية الموجهة وبطبيعة الحال كان وراء ذلك رجال الثورة، الذين فرضوا على المؤرخين تصورهم الشخصى لفترة حكم فاروق وليس التصور التاريخى الصادق لتلك الحقبة الزمنية الخطيرة من تاريخ مصر، للدرجة التى جعلت كل من يقرأ التاريخ المصرى الحديث يتصور أنه قد بدأ بعد ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢!!.

وبدون الدخول فى مناقشة تفاصيل هذه المقولة. . نشير إلى أننا ومن خلال هذه الأوراق سوف نقترب كثيرا من حياة ملك مصر والسودان السابق. . خاصة فى الفترة التى سبقت أحداث الثورة. . ودور الحاشية الملكية فى المساهمة فى هذا الحدث، سواء كانوا على علم أو على غير علم! وبطبيعة الحال لا نقصد كل هؤلاء الذين أحاطوا بالملك الشاب فاروق. . وأغرقوه فى أوحال التاريخ. . بل نضيق الدائرة على بعض هؤلاء الذين ساهموا فعلاً فى الثورة بطريق مباشر أو غير مباشر، وكانوا ينتظرون وقوعها بين لحظة وأخرى. مع اختلاف الأهداف والتصورات وأيضا اختلاف التوقيت.

والمعروف لنا جميعا وما قرأناه فى كل كتب التاريخ. . أن أسرار تنظيم الضباط الأحرار الذى قاد ثورة ٢٣ يوليو ظلت فى طى الكتمان داخل صدور رجال هذا التنظيم، حتى مساء الليلة الثانية والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢، ولم يكن يعرف بها حتى زوجات هؤلاء

الضباط.. إلا أننا قد اكتشفنا ـ ليس بمحض الصدفة ـ أنه كانت هناك امرأة واحدة فقط هى التى كانت على علم مسبق بأسرار تحركات ضباط التنظيم ورجاله فى مختلف أسلحة الجيش. هذه السيدة ظلت تحتفظ بتلك الأسرار.. ولم تبلغها للملك فاروق رغم أنها كانت قريبة إلى قلبه وإلى عرشه أيضا.

وربما تكون هذه السيدة ومعرفتها بموعد قيام الثورة.. هى التى دفعت عبد الناصر قائد تنظيم الضباط الأحرار أن يطلب من رجاله تغيير موعد التحركات من ٥ أغسطس عام ١٩٥٢ إلى الثانى والعشرين من يوليو!.

وهناك عشرات من الأسئلة التى تفرض نفسها فى هذا المقام.. والتى سوف نحاول العثور على إجابات لها عبر أوراق فصول هذا الكتاب.. وكلها تدور فى فلك تلك السيدة التى كانت تعرف أسرار الثورة ولم تبلغ بها الملك فاروق!

ترى من تكون تلك السيدة!. وما هو دورها الحقيقى فى أحداث الثورة؟ وما هى الأسباب التى جعلتها تتكتم عدم إذاعة هذه الأسرار؟!.. ولماذا لم تحاكم بعد الثورة بالرغم من تورطها فى العديد من جرائم القتل التى أشرفت على تنفيذها حماية لفاروق وعرشه.. ثم ما هى الأسباب الخفية والعلنية التى دفعتها للانقلاب عليه.. وتدبير إحدى محاولات قتله؟!.

حنفى المحلاوى

الفصل الأول

من مذبحة القلعة
إلى رحيل
«المحروسة»

فى كثير من الأحيان حين تتناول بالحديث فترة تاريخية بعينها . . تجد نفسك مضطرا إلى الغوص فى أعماق التاريخ كله . . من أجل أن تبحث عن تأصيل لتلك الفترة . . حتى لو كنت عارفا بتفاصيلها منذ أن بدأت حتى انتهت . ولقد وجدت نفسى مضطراً أن أفعل ذلك بخصوص ما سوف أتناوله بالحديث عن الملك فاروق . . آخر ملوك مصر ، وآخر أحفاد الوالى محمد على الكبير .

إن الفترة التاريخية التى نقصدها هى تلك التى ارتبطت فى أذهاننا بعهد الملكية التى كان من أبرز رموزها الملك فاروق ومن حوله . ولعل الأحداث التى أحاطت بهذا الملك وأودت به وبنظامه فى أعماق البحر هى التى جعلته لايزال ماثلا أمامنا حتى فى كل ما نسمع عنه ونشاهده . ليس هذا فقط . . بل هى نفسها التى جعلت منه صاحب أكبر اللعنات التى حملها نيابة عن أجداده منذ مائة عام أو أكثر .

ولم تكن تلك النظرة القاصرة على عهد فاروق محصورة فى نطاق

العامة من المثقفين فقط.. بل امتدت كذلك إلى معظم الباحثين والمهتمين بدراسة وكتابة التاريخ. حتى ليظن المرء أن الملكية فى مصر بدأت وانتهت بالملك فاروق دون غيره.. وحتى لو أراد البعض تأصيل هذه الملكية تاريخياً فإنه قد لا يذهب بعيداً.. وربما توقف عند عهد الملك فؤاد الذى ورث عنه ابنه فاروق العرش مع أن الملكية فى مصر ـ وكما يرى القليل من المؤرخين الصادقين ـ قد بدأت قبل ظهور الملك فؤاد وولادته بعشرات السنين!. وليس فقط قبل تولى ابنه عرش مصر.

وتلك هى الفترة التاريخية التى اضطررنا للغوص من أجلها فى أوراق التاريخ حديثه وقديمه.. وبالضبط بدأنا تلك الرحلة منذ أكثر من مائة وأربعين عاماً. وكان هدفنا هو البحث عن جذور تلك الملكية.. وأيضا البحث عن كل ما هو جديد ولم يذكره الآخرون عن هذه الحقبة الزمنية الطويلة، بعيداً عن شبح أيام فاروق.. ذلك الملك الذى أصابته كل اللعنات حيا وميتا.. وسدت الطريق أمام الباحثين والمؤرخين من أجل إتمام ذلك البحث ومحاولة تأصيل الملكية المصرية فى العصر الحديث.

ولعل من ينظر جيداً إلى عنوان هذا الفصل الذى تقول كلماته «من مذبحة القلعة إلى رحيل المحروسة»، قد يدرك حتى بدون الدخول فى التفاصيل التاريخية مدى العمق الذى وصلت إليه جذور الملكية المصرية!. فحادث مذبحة القلعة كما درسنا حتى فى المرحلة الابتدائية.. يمثل مرحلة جديدة فى حياة مصر ارتبطت بظهور قائد

غير مصرى . . تمكن من اعتلاء عرش مصر والفوز به بعيدا عن الامبراطورية العثمانية . . وهو الضابط اليونانى الأصل «محمد على» . . الذى بات ينسب إليه تطوير مصر فى العصر الحديث .

وحادث رحيل «المحروسة» . . يمثل هو الآخر نقطة هامة فى هذا التاريخ الطويل الذى انطوت صفحاته على سطح مياه البحر المتوسط المطلة عل ميناءى الإسكندرية فى مصر ونابولى فى إيطاليا .

إن ما نعنيه «بالمحروسة» هنا وبدون الدخول فى تفاصيل تاريخية . . هو رحيل الملك فاروق آخر أحفاد الوالى محمد على باشا . . الذى ركب سفينته المفضلة . . وكأنها سفينة نوح . . التى جمع فيها كل أسرته وأمواله متوجهاً إلى المجهول الذى توقف به عند شواطئ إيطاليا . . وبالضبط عند مدينة نابولى . وكانت بمثابة آخر رحلاته خارج مصر . . وإلى الأبد . . فلم يعد إلى تراب هذه الأرض إلا محمولا على الأكتاف وملفوفاً فى الأكفان .

لقد خرج فاروق من مصر آخر مرة بطريق البحر محمولاً داخل اليخت الملكى المحروسة والذى تغير اسمه إلى السفينة الحرية . ثم عاد إلى مصر مرة أخرى . . ولكن بطريق مختلف . . وفى صندوق خشبى مغلق! . وطبعا كان الفرق بين الرحيل والعودة كبيراً ومثيراً للغاية! .

ولسوف يلاحظ كل من يصاحبنا حتى كتابة هذه العبارة . . أننا لم نستخدم بعد قاعدة التواريخ التى هى أساس تدوين الأحداث . .

والتى بدونها يصبح التاريخ أجوف.. وبالتالى لا يصلح أن يكون تاريخاً!

وما بين حادث القلعة الذى نفذه رجال محمد على باشا عام ١٨١١، وبين حادث رحيل آخر أحفاده فوق مياه البحر المتلاطمة عام ١٩٥٢. أحداث يمكن أن تملأ مجلدات. هى بحق كل عمر ورصيد الملكية فى مصر فى العصر الحديث.

ولولا أننا نتناول فى هذه الأوراق قصة حياة آخر ملوك مصر من أحفاد محمد على وعلاقاته المتميزة بإحدى وصيفاته التى كانت تعرف باسم ناهد رشاد، لما بعدنا عن تاريخ هذه الملكية، ولظللنا بجوارها طويلا. ندرس ونبحث. ولكن الأمانة العلمية قد اقتضت منا أن نقدم صورة سريعة عن تلك الملكية.. حتى ولو فى سطور قليلة.

يقول التاريخ السرى والعلنى لأسرة محمد على باشا: إن محمد على حكم مصر هو وأولاده على مدى مائة وسبعة وأربعين عاماً.. بدأت من عام ١٨٠٥ حتى عام ١٩٥٢.

وكان فاروق هو الحفيد الوحيد من بين أحد عشر أميرا الذين تولوا الحكم من أسرة محمد على، الذى حمل لقب ملك.. منذ أول يوم جلس فيه على عرش مصر فى السادس من مايو عام ١٩٣٦.

وبخلاف ذلك.. فقد حمل الأربعة الأوائل من حكام مصر من أسرة محمد على لقب «والى» وهم بحسب الترتيب الزمنى: محمد

على مؤسس الأسرة المالكة ثم ابنه إبراهيم باشا ثم حفيداه عباس حلمى الأول ومحمد سعيد باشا.

ثم اختفى لقب «الوالى» ليحل محله لقب «خديوى».. وقد حمله ثلاثة من هؤلاء الحكام من أسرة محمد على باشا. وهم: إسماعيل وتوفيق وعباس حلمى الثانى. ومن بعد اختفاء لقب «خديو» ظهر لقب جديد هو «السلطان».. ويقول التاريخ إن مصر عرفت حاكمين حملا هذا اللقب هما. السلطان حسين كامل والسلطان أحمد فؤاد.. الذى أصبح فيما بعد ملكا على مصر فى يونيو عام ١٩٢٢، وخلفه ابنه فاروق على عرش مصر عام ١٩٣٦.

وإذا كانت هذه التواريخ التى ارتبطت بمعلومات سريعة عن الملكية فى مصر الحديثة قد سقناها فى عجالة.. إلا أنها قد تحتاج منا لبعض التفاصيل لخدمة الحدث الرئيسى الذى نتناوله عبر هذه الأوراق.. ولسوف نؤجل مناقشة تلك التفاصيل إلى حين التعرف ولو بشكل مبدئى على قصة نشأة الملكية المصرية فى العصر الحديث والتى أقام أركانها وشيد قواعدها محمد على باشا الكبير ابتداء من عام ١٨٠٥ وما تلاه من أعوام.

وقد سبق وذكرنا أن تلك الملكية المصرية المعاصرة لم تنشأ فى حقيقة الأمر بين يوم وليلة.. وإنما ارتبطت بقيامها أحداث جسام وكادت تعصف بقواعدها هذه الأحداث لولا حنكة وذكاء مؤسسها الأول محمد على ومن بعده ابنه ابراهيم باشا.

والغريب وكما يذكر المؤرخون أن الملكية المصرية نشأت فى بادئ الأمر ملوثة بالدماء فقد قامت على أشلاء هؤلاء المماليك الذين دعاهم محمد على إلى قصره بالقلعة فى حفل تنصيب ابنه الأمير طوسون قائدا لقواته العسكرية التى كان يعدها لغزو بلاد الحجاز. هذا الحفل الذى انتهى بمكيدة قضت على هؤلاء الضيوف من المماليك، وحولت مكان إقامته بقلعة صلاح الدين القابعة فى حصن جبل المقطم إلى أنهار من دماء هؤلاء المماليك.

وللتاريخ نقول.. إنه ربما لو لم يرتكب محمد على هذه المذبحة لما استمرت الملكية فى مصر كل هذا العمر الطويل، ولانتهت مثل غيرها من أنظمة الحكم التى توالت على مصر فى هذه الفترة التاريخية.

ولأهمية هذا الحادث الدموى فى استمرار الملكية فى مصر فى العصر الحديث.. رأينا التوقف ملياً عند تفاصيله. باعتباره الدعامة الرئيسية الذى تمكن من بعدها محمد على باشا من حكم مصر هو وأولاده وأحفاده حتى رحيل آخرهم عام ١٩٥٢.

والحقيقة أن حادث القلعة ليس بجديد علينا بأى حال من الأحوال فقد سمعنا به منذ نعومة أظافرنا.. حيث كان يحتل مساحة لا بأس بها من تاريخنا القومى. ولكن هناك ملحوظة هامة قد فزنا بها من خلال التنقيب المستمر عن تاريخ مصر الحقيقى بعيداً عن أبواق تزوير والتزييف.. هذه الملحوظة مكنتنا من العثور على الجديد فى

حكاية مذبحة القلعة.. بحيث بدا لنا وكأنه حادث جديد بكل تفاصيله.. بل واختلفت تفاصيله عما عرفناه فى الكتب المدرسية التى شكلت عقولنا فى مراحل السن الأول.. بل وأيضا فى الجامعة! . وفى بعض كتب المؤرخين.. وما سوف نتلوه من تفاصيل يمكن أن يوضح ما عرفناه. وما توصلنا إليه من نتائج يؤكد صحة ما ذهبنا إليه.

يرى المؤرخ المصرى الدكتور حسين كفافى أن محمد على ولد فيما بين عامى ١٧٦٩ و ١٧٧٠ ميلادية. وقد اختلف المؤرخون فى تحديد التاريخ بالضبط.. حتى محمد على نفسه لم يقطع بيوم مولده(*). وجاء مولده فى إحدى قرى اليونان المطلة على بحر إيجه والتى عرفت باسم «قرية قولة». وكانت تابعة فى ذلك الوقت للامبراطورية العثمانية وفى هذه القرية الصغيرة من قرى اليونان الهادئة، وعلى ربوة مرتفعة تشرف على بحر إيجة تقع دار «جنتكمان» التى ولد بها محمد على. وكان أبوه يدعى «إبراهيم أغا».. ويعمل رئيسا للحرس المنوط به حراسة الطرق فى هذه القرية. وقد رزق هذا الشيخ بسبعة عشر ولداً توفاهم الله إلا أصغرهم محمد على وهو اسم مركب من كلمتين.

وقد واكب وصول محمد على إلى مصر وصول الحملة الفرنسية الشهيرة عام ١٧٩٨ بقيادة نابليون بونابرت.. حيث كان ضمن أفراد

(*) محمد على ـ د. حسين كفافى ص ٦٨ وما بعدها.

الوحدة العسكرية التى أعدها حاكم قولة للمساهمة فى مقاومة هذه الحملة. وما كادت تصل إلى مصر حتى تنازل قائد الوحدة العسكرية الألبانية التى كان محمد على ضمن أفرادها عن قيادة هذه القوة وأسند قيادتها لمحمد على نفسه!!. وعلى إثر جلاء الفرنسيين ذهب قائد الأسطول العثمانى فى البحر المتوسط إلى خسرو باشا والى مصر العثمانى وقدم إليه محمد على مثنيا على كفاءته وشجاعته. وبناء على هذه التوصية تمت ترقية محمد على إلى رتبة قائمقام.. وهى الرتبة التى تعادل اليوم فى السلك العسكرى رتبة «عقيد».

ومنذ ذلك التاريخ استقر محمد على فى مصر.. ليس كمجرد جندى أو قائد عسكرى بل سعى بكل أساليبه السياسية للوصول إلى هدفه الأكبر وهو اعتلاء عرش مصر. ورغم أن البداية كانت نزولاً على رغبة جموع المصريين الذين رأوا فيه الحاكم العادل، وبالتالى فهم الذين اختاروه لتولى ولاية مصر.. إلا أن حادث القلعة هو الذى مكن للضابط اليونانى محمد على هذه الرؤية السياسية وأكد لديه طموحاته فى أن يكون هو الحاكم الفعلى للولاية المصرية منفرداً بها بعيداً عن الامبراطورية العثمانية.

ويروى لنا التاريخ تفاصيل كثيرة عن هذا الحادث الذى استطاع من خلاله محمد على التخلص من جميع خصومه السياسيين من المماليك.. إلا أننا سوف نتوقف مضطرين عند إحدى هذه التفاصيل كى نعرف كيف استغل محمد على هذا الحادث فى تأكيد سيطرته السياسية على مقاليد الحكم فى مصر فى هذه الفترة.

لقد حاولت الامبراطورية العثمانية فى بداية الأمر إبعاد محمد على عن مصر . . نظراً لطموحاته السياسية وخلافاته المستمرة مع والى مصر أحمد خورشيد باشا . . لذلك صدر الفرمان السلطانى بتوليته واليا على جدة! . إلا أن الشعب المصرى قد كتب إلى الدولة العثمانية برغبته فى إبقاء محمد على فى مصر، بل واختياره واليا عليهم. فاستجابت الدولة لذلك، وصدر له الأمر بولاية مصر فى ١٢ مايو عام ١٨٠٥ الموافق أول شهر صفر عام ١٢٢٠ هجرية. ولم يكن الأمر بهذه السهولة . . فقد عاش محمد على فترات عصيبة فى حياته خاصة فى صراعه مع المماليك. لذلك كان لابد من مذبحة القلعة . . خاصة بعدما تمكن فى أوائل عام ١٨١١ من ضبط شحنة من الكتب والوثائق المريبة والمتبادلة بين المماليك فى الوجه القبلى وزملائهم فى القاهرة فى ميناء السويس. وكلها تدور حول مكائد المماليك للتخلص منه.

وبعد أن وصل محمد على من السويس على إثر هذه المضبوطات أخذ فى الإعداد لمهرجان ضخم سوف يقيمه فى القلعة. وقد حدد له يوم الجمعة أول مارس عام ١٨١١ للاحتفال بإلباس ابنه أحمد طوسون باشا خلعة القيادة.

وقد دعا كل رجال الدولة وأعيانها وكبار موظفيها العسكريين والمدنيين لحضور ذلك الحفل الفخم على حد قول الدكتور حسين كفافى.

ولابد للأنفاس أن تتوقف وتحتبس الأصوات حين يروى لنا الراوى تفاصيل تلك المذبحة التى دبرها محمد على باشا ورجاله للتخلص من خصومه السياسيين من المماليك.

يقول راوى التاريخ: إنه حين تقلد الأمير طوسون ابن محمد على باشا خُلعة القيادة فى ذلك الاحتفال المهيب الذى بدأ بالموكب الذى أخذ يسير منحدراً داخل القلعة.. وكانت تتقدمه طليعة من الفرسان ومن بعدها يسير والى الشرطة ثم الأغا محافظ المدينة والمحتسب. ثم كوكبة من الجنود يقودهم القائد العسكرى ثم المماليك الذين كان يتقدمهم «سلميان بك البواب».. ومن بعدهم كان بقية الجنود فرساناً ومشاة.. وعلى إثرهم سار كبار المدعوين من أرباب الحرف المختلفة.

وقد اتجه الموكب على هذا النسق منحدرا إلى باب «العزب» وهو أحد أبواب القلعة.. ثم اجتاز هذا الباب طليعة الموكب ثم رئيس الشرطة ثم المحافظ ومن معه.. ولم يكد هؤلاء يجتازون الباب الغربى حتى توقفت الموسيقى عن العزف وانتحت الراقصات جانبا.. وكذلك حملة المراوح. ومن ثم ارتج الباب الكبير وأُقفل من الخارج على حين فجأة إقفالاً محكماً فى وجه المماليك ومن ورائهم الجنود الأرناؤوط. ولم تمر لحظات حتى دوى الرصاص من نافذة إحدى الثكنات إيذانا ببدء المذبحة التى اقتلعت المماليك ليبدأ تاريخ جديد على أرض مصر وهو تاريخ الملكية التى استمرت لأكثر من مائة وأربعين عاماً!

* * *

وعلى إثر الاستقرار السياسى والأجتماعى والاقتصادى الذى حققه محمد على فى مصر بدءاً من عام ١٨١١ . . أى بعد ست سنوات من صدور الفرمان العثمانى بتوليه حكم مصر . . كان علينا أن نتتبع خطوات هذا الوالى وأولاده وأحفاده الذين استكملوا حلقة اعتلاء عرش مصر بالتوالى . . حتى كان آخر هؤلاء الأحفاد وهو الملك فاروق.

لقد أنجب محمد على فتاة واحدة هى «الأميرة زينب» . . بجانب خمسة أولاد وهم بالترتيب: إبراهيم باشا وهو الإبن الأكبر لمحمد على . . وكان فى ذلك الوقت الذراع الأيمن لوالده وبطل كل فتوحاته. ولم يكن هذا الفتى يملك عبقرية عسكرية فحسب بل كانت له دراية سياسية واسعة وحنكة إدارية كبيرة الأمر الذى جعل المؤرخين على حد قول الدكتور محمود متولى رئيس قسم التاريخ بآداب المنيا يطلقون عليه لقب «نابليون الشرق».

وإبراهيم باشا هو أول من حكم مصر من أسرة محمد على بعد أبيه . . وقد تنازل له محمد على عن العرش وعن السلطة وهو لايزال على قيد الحياة . . بل وبموافقته وإرادته الشخصية. وقد حكم إبراهيم باشا بصفته واليا على مصر والسودان خمسة أشهر فقط!! . شملت الفترة من يوليو عام ١٨٤٨ حتى نوفمبر من العام نفسه حيث ألم به المرض ومات فى حياة أبيه الذى عاش بقية أيامه حزينا على ولده الأكبر . . وبالتالى لم يلبث محمد على نفسه أن مات ولحق بابنه

الكبير فى العام التالى حزنا عليه. . أى رحل محمد على باشا الكبير عام ١٨٤٩ .

والإبن الثانى لمحمد على هو سعيد باشا الذى تولى العرش بعد ولاية ابن عمه «طوسون باشا» المدعو عباس حلمى الأول. وكان نظام ولاية حكم مصر فى ذلك الوقت يتم طبقا لقاعدة الإبن الأرشد سناً فى العائلة. وقد ظلت هذه القاعدة مستمرة حتى تغيرت فى عهد ولاية إسماعيل باشا.

ويقول التاريخ إن الوالى سعيد باشا النجل الثانى لمحمد على قد تولى حكم مصر لمدة ٩ سنوات. وفى عهده وقعت مصر اتفاقية حفر قناة السويس وتأسست شركة القناة للملاحة البحرية. كما وقعت مصر فى نفس عهد هذا الوالى فريسة للديون الخارجية التى وصلت آنذاك إلى ١١ مليون جنيه إسترلينى! .

أما الإبن الثالث للوالى محمد على باشا الكبير فهو إسماعيل. . هو غير الخديو إسماعيل. وقد قتل فى أثناء غزوات محمد على للسودان. . حيث أحرقه الملك شندى هناك رداً على غزوات وحملات محمد على لهذه المنطقة.

أما الإبن الرابع فهو الأمير طوسون الذى حضر مذبحة القلعة. . عندما قلده والده خُلعة القيادة فى حملته العسكرية إلى الجزيرة العربية التى حدثت عام ١٨١١ . . وهو نفس العام الذى شهد تلك المذبحة التى راح ضحيتها أكثر من ثلاثمائة مملوك مصرى داخل أسوار القلعة.

ويقول التاريخ إن الأمير أحمد طوسون توفى عام ١٨١٦ بعدما داهمه المرض.

والإبن الخامس والأخير لمحمد على الكبير فى سلسلة هؤلاء الأبناء هو الأمير محمد عبد الحليم الذى ظل معمراً حتى أيام ولاية الخديو إسماعيل.. وقد ظل يعيش فى منفاه حتى مات فى أوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر..

* * *

وحين نتتبع خط سير هذه السلسلة الطويلة من أبناء محمد على كى نحدد موقعها على عرش مصر.. نكتشف أن اثنين منهم قد تقلدا الحكم من بعده، وهما إبراهيم باشا ثم سعيد. أما بقية أولاده، فلم يتمكنوا من الفوز بهذا العرش.. وحل محلهم أبناء أنجال الوالى الكبير وأحفاده، وكان على رأسهم بطبيعة الحال أولاد إبراهيم باشا الذين ظلوا يحكمون مصر حتى خروج آخرهم راحلاً عن أرض مصر.. إيذانا بإغلاق صفحة طويلة من صفحات تاريخ حكم أسرة محمد على باشا الكبير.

ويرجع السبب فى ذلك وكما يذكر لنا التاريخ أن الإبن الأكبر لإبراهيم باشا وهو الخديو إسماعيل قد عمل على تغيير نظام اعتلاء عرش مصر من أكبر أبناء أسرة محمد على إلى أكبر أبناء الوالى سناً!. وقد دفع إسماعيل مبالغ باهظة نظير هذا التغيير. كما دفع من قبل مبالغ أخرى باهظة كى يفوز بلقب خديوى مصر الذى يعنى «الوالى المعظم» تمييزا له عن بقية ولاة مصر السابقين.

وحين نعود للحديث مرة أخرى عن إبراهيم باشا صاحب أكبر رصيد فى تاريخ الملكية المصرية من أجل تتبع حياة أولاده وأحفاده فوق عرش مصر نكتشف أنه قد أنجب ثلاثة أبناء هم بالترتيب: إسماعيل وأحمد رفعت ومصطفى فاضل.

والواقع أن أحمد رفعت كان أكبر من إسماعيل سنا. لذلك كان من المفروض أن يصبح واليا على مصر بعد وفاة عمه سعيد باشا ولكن الأقدار تدخلت وعجلت بحياة الأمير أحمد رفعت حيث قتل هو وخمسة وعشرون أميرا من الأسرة المالكة فى حادث انقلاب قطار أثناء عودتهم من الإسكندرية.. ويقال إن أخاه إسماعيل هو الذى دبر له هذا الحادث من أجل الفوز بعرش مصر.. وقد كان له ما أراد حيث تحقق حلمه واعتلى العرش بعد وفاة عمه سعيد باشا ومقتل أخيه أحمد رفعت.

ومن بعد الخديوى إسماعيل.. جاء ابنه الخديوى توفيق، وبعد رحيله تولى عباس حلمى الثانى عرش مصر. وكان من المفروض أن يتولى الحكم من بعده من هم من سلالة هذا الخديوى.. ولكن لسوء الحظ تم عزله بعدما غضب عليه الإنجليز.. ويقول المؤرخون أن السبب الرئيسى كانت علاقاته المشبوهة مع الدولة العثمانية.

ولما كانت انجلترا من ناحية أخرى تعد العدة لإعلان حمايتها على مصر.. فقد كانت تبحث عن حاكم مصرى يقبل تلك الحماية. ولم تجد فى عباس حلمى الثانى ذلك الرجل. لذلك عادت بريطانيا من

جديد للاستعانة بأبناء الخديو إسماعيل لتولى عرش مصر. وكان منهم الأمير حسين كامل الذى أطلق عليه نفس لقب «السلطان» منذ توليه الحكم عام ١٩١٤.

وبعد وفاة السلطان حسين عام ١٩١٧.. وقع اختيار الإنجليز أيضا على الأمير أحمد فؤاد شقيق السلطان الراحل لتولى الحكم من بعده. وكان أحمد فؤاد فى ذلك الوقت أصغر أبناء الخديو إسماعيل. وقد ظل متمسكا بلقب السلطان حتى بدله بلقب الملك فى عام ١٩٢٢.. بعد حصول مصر على استقلالها. عن الامبراطورية البريطانية.

ولقد ظل الملك فؤاد يحكم مصر تسعة وعشرين عاماً حتى توفى عام ١٩٣٦ عندئذ بدأ حكم ابنه فاروق الذى كان عمره عند وفاة والده ستة عشر عاماً.وشهرين ونصف الشهر. والغريب فى هذا الأمر أنه لم يحضر جنازة والده حيث كان هناك فى انجلترا يدرس..

وبرحيل الملك فاروق آخر أحفاد الخديو إسماعيل والجد الأكبر الوالى محمد على انطوت صفحة طويلة من تاريخ الملكية المصرية التى استمرت من عام ١٨٠٥ حتى صبيحة يوم ٢٦ يوليو عام ١٩٥٢.. أى ما يقرب من مائة وسبعة وأربعين عاماً!

* * *

لعلى قد أطلت فى هذا السرد التاريخى لحياة الأسرة المالكة فى مصر.. ولكن ما يشفع لنا كمبرر لهذه الإطالة.. أننى لم أعثر على

كتاب واحد يتناول هذا التاريخ بهذا التسلسل الواضح الذى كان لابد منه لكى نضع أيدينا على جذور تلك الملكية التى قد تصور البعض أنها قد بدأت منذ تولى الملك أحمد فؤاد عرش مصر، وانتهت برحيل ابنه فاروق صاحب القدر الأكبر من حديث هذه الأوراق باعتبار الأسباب التى عجلت برحيله وبضياع هذا التاريخ الطويل الذى وضع بذرته الأولى جده الأكبر محمد على باشا، سواء كانت هذه الأسباب شخصية أو عامة.. وإن كان يحلو لكثير من المؤرخين أن يضعوا فى مقدمة تلك الأسباب السلوك الشخصى للملك فاروق وتصرفاته الصبيانية سواء فيما يتعلق بحياته الشخصية أو بحياة الآخرين.

وزيادة على ذلك ورغبة فى قول المزيد من التأصيل التاريخى لهذه الملكية التى لم تأخذ حقها إلى الآن من البحث والدراسة.. فإننا نعاود الغوص مرة أخرى فى دروب هذا التاريخ ونقلب فى صفحاته، وما تتضمنه هذه الصفحات من أحوال وشجون!!.

وقد اكتشفنا أثناء الغوص فى هذه الأعماق.. أن هناك ظاهرتين هامتين قد ارتبطتا بالملكية المصرية منذ نشأتها عام ١٨٠٥.. ومن ثم كان لابد من التوقف على تفاصيل هاتين الظاهرتين قبل الانتقال للحديث عن نقطة أخرى من النقاط المضيئة التى سوف تكون دليلنا للعبور والانتقال إلى حديث بقية موضوعات هذه الأوراق.

الظاهرة الأولى:

تمثلت هذه الظاهرة فى حرص أولئك الحكام من عصر الولاة إلى

عصر الملكية على التمسك بأهداب الحضارة المتمثلة فى الأبهة والفخامة فى مكان الإقامة والعيش. إذ ظل المكان الذى كان يقيم فيه الوالى أو الخديوى أو الأمير والسلطان والملك يحتل مكانا هاماً وبارزا من تفكير الحاكم نفسه. . بل احتلت مساحة أكبر من ذلك فى عقول هؤلاء الذين يحيطون بهم. والأمر بالنسبة لهذه الظاهرة غير قاصر على حكام مصر وسلاطينها. . بل هى سمة عامة. . ارتبطت فى الأذهان بقوة الحاكم ونفوذه.

وقد جرت العادة لدى السلاطين والمماليك والحكام بشكل عام أن يبنوا لأنفسهم القصور الفخمة. وبعض هذه القصنور ينشأ على حساب الدولة، والبعض الآخر يتم إنشاؤه على نفقة هؤلاء الملوك وهؤلاء السلاطين.

وأول من بنى لنفسه قصراً خاصاً من الولاة الذين تعاقبوا على حكم مصر منذ الفتح الإسلامى هو «عبد العزيز بن مروان» الذى شيد فى سنة ثمانين من الهجرة قصره الذى كان يعرف باسم «المدينة» لفخامته ولكبر مساحته. وقد تبعه فى ذلك كل خلفائه من الولاة سواء فى مصر أو فى خارجها، وسواء فى العصر الأموى أو العباسى أو الفاطمى حتى جاء صلاح الدين الأيوبى فشيد القلعة واتخذها مقراً لحكمه ا.

وقد ظلت قلعة صلاح الدين التى بناها على أحد روابى جبل المقطم مقراً للحكم فى عصر المماليك حتى تولى محمد على باشا

حكم مصر فأمر بإنشاء قصر الجوهرة ودار مجلس الأحكام بداخل القلعة.

ومن يومها ظلت القلعة وقصر الجوهرة مقرا الحكم فى عهد محمد على وخلفائه من بعده حتى جاء الخديوى إسماعيل الذى أراد أن ينهض بمصر. وقد بدأ هذه النهضة ببناء القصور الكبيرة، وكان من أهمها قصر عابدين الذى بناه في عام ١٨٧٤ في وسط القاهرة.

ويقول التاريخ إن قصر عابدين قد تم بناؤه على أطلال منزل أحد المماليك وكان يدعى «عابدين بك»، بعد أن ضم إليه الخديوى إسماعيل مساحات كبيرة تجاوره. والغريب أن هذا القصر الكبير الذى يعد أول القصور الملكية فى مصر الحديثة قد تم تأسيسه بمبلغ ٧٠٠ ألف جنيه. ثم تم تجديده مرة ثانية فى عهد الملك فؤاد ثم فى عهد الرئيسين السادات ومبارك.

أما ثانى القصور الملكية فهو قصر المنتزه بالاسكندرية.. وكان المقر الصيفى لحكم أسرة محمد على باشا وأحفاده. والذى بناه هو الخديوى عباس حلمى الثانى ابن الخديوى توفيق عام ١٨٩٢. وقد جدده أيضا الملك أحمد فؤاد عام ١٩٢٥ فأدخل عليه الكثير من التحسينات.

وهناك بالاسكندرية أيضا قصر رأس التين مقر الحكم فى العاصمة الثانية وقد بنى بالقرب من الميناء والترسانة البحرية.

وآخر هذه القصور هو قصر القبة الذى يُعد أحد القصور الملكية

الكبيرة، وقد شيده الخديوى إسماعيل لإقامة ابنه الخديوى توفيق الذى اتخذه مكانا لإقامته حتى خلف والده فى الحكم فانتقل إلى قصره بضاحية حلوان. وهو القصر الذى مات فيه.

وقد سمى بقصر القبة نسبة للضاحية التى أقيم فيها. . وتبلغ مساحته ٧٠ فدانا. . كما تبلغ عدد غرفه ٤٢٥ غرفة.

والظاهرة الثانية:

هى الظاهرة التى ارتبطت بتاريخ تلك الملكية ومظاهرها فى مصر منذ نشأتها على يد مؤسسها الأول محمد على عام ١٨٠٥ . . وهى ظاهرة «الزواج والإنجاب».

ولعلنا نعرف جميعا أن أهمية الزوجة فى حياة الملوك. . ترجع إلى كونها الوعاء الملكى الذى بات يسكن به ولى العهد الذى يعتبر السبيل الأول والأخير لاستمرارية الحكم سواء فى حياته أو فى حياة من يخلفه من الأمراء.

لذا نجد أن البحث عن الزوجة والاهتمام بأصلها ونسبها. كان يمثل الظاهرة الثانية التى ارتبطت بالملكية المصرية. . ربما أكثر من ارتباطها بالظاهرة الأولى التى كانت تعنى بالنسبة للملك أو الوالى أو الخديوى القصر ومكان الإقامة.

ونظراً لهذه الأهمية فقد واصلنا الغوص والتنقيب فى الأوراق من أجل تتبع تاريخى موثوق به. . عن أهم الزيجات الملكية التى لعبت الدور الرئيسى فى استمرار أسرة محمد على فى حكم مصر.

تقول وثائق القلعة أن إبراهيم بَاشا ثانى ولاة مصر تزوج من ست سيدات أنجب منهن العديد من الأولاد. وكانت هذه الزيجات بالترتيب التالى:

** خديجة برنجى قادين.. وأنجب منها الأمير محمد بك.

** شيوه كار قادين.. والدة الأمير أحمد رفعت.

** خوشيار قادين.. وهى أم الخديوى إسماعيل.

** ألفت قادين.. وقد رزق منها بالطفل الأمير مصطفى بهجت فاضل.

** كلزار قادين.. ولم ينجب منها إبراهيم باشا أولادا.

** سارة قادين.. وكانت آخر زوجات الوالى ولم يرزق منها بأولاد.

وتقول نفس الوثائق عن الوالى عباس الأول أنه تزوج من خمسة نساء هن:

** ماهوش قادين.. أم الأمير إبراهيم إلهامى باشا.

** شاردل قادين.. امرأة شركسية أنجبت له الأمير مصطفى والأميرة حواد.

** هواية قادين.. أم الأمير محمد صديق والأميرة عائشة صديقة.

** همدم قادين. . ولم يرزق منها بأطفال.

** برلانته هانم. . ولم يرزق منها أيضا بأطفال.

أما الوالى سعيد باشا فقد تزوج من سيدتين هما:

** إنجى هانم. .

** ملك برهانم. . وقد رزق منها الوالى الأمير محمد طوسون والأمير محمود.

ويعتبر الخديوى إسماعيل أكثر أبناء محمد على من حكام مصر وأحفاده الذين عرفهم التاريخ بكثرة الزوجات. . فقد بلغ عددهن أربع عشرة امرأة نذكر منهم:

** فريال هانم. . والدة الأمير أحمد فؤاد.

** شفق نور هانم. . والدة الخديوى توفيق.

** نور قلك هانم. . أم السلطان حسين كامل.

وكان للخديوى توفيق زوجة واحدة تدعى الأميرة أمينة إلهامى كريمة إبراهيم باشا إلهامى ابن الوالى عباس حلمى الأول. وقد أنجب منها الخديوى توفيق أولاده عباس حلمى الثانى آخر حكام أسرة الخديوى والأمير محمد على توفيق الذى عين فيما بعد وصيا على عرش مصر بعد وفاة الملك فؤاد. والأميرات نازلى هانم والأميرة خديجة والأميرة نعمة الله.

أما ابنه الخديوى عباس حلمى الثانى فقد تزوج من سيدتين هما :

** إقبال هانم. . وأولادها من الخديوى عباس حلمى بالترتيب هم الأمير محمد عبد المنعم والأمير محمد عبد القادر والأميرة أمينة والأميرة عطية الله ثم الأميرة فتحية.

** جاويدان هانم. . ولم يرزق منها بأولاد. . وقد طلقها بعد زواج ثلاث سنوات فقط!.

وحين يأتى الحديث عن السلطان حسين كامل وزوجاته نجد أنه قد تزوج هو الآخر من سيدتين هما:

** الأميرة عين الحياة. . ابنة الأمير أحمد رفعت. وقد أنجب منها السلطان حسين كامل الأمراء كمال الدين وأحمد كاظم ،والأميرتين: كاظمة والأميرة كاملة.

** السلطانة ملك جشم آفت. . وأنجب منها الأميرة قدرية وسميحة وبديعة!.

أما السلطان أحمد فؤاد الذى تغير لقبه فيما بعد إلى الملك فؤاد. . فقد تزوج هو الآخر من امرأتين هما:

** الأميرة شويكار. . وهى ابنة الأمير إبراهيم بن الأمير أحمد رفعت شقيق الخديوى إسماعيل. وقد تزوجها الأمير فؤاد عام ١٨٩٥. . وأنجب منها ولديه إسماعيل الذى مات وهو طفل ثم الأميرة فوقية.

** الملكة نازلي. . أنجب منها ولى عهده الأمير فاروق.

وأخيراً يتوقف النسل الملكى عند ذلك الحفيد الصغير الذى أصبح ملكاً لمصر بعد رحيل والده الملك فؤاد. فقد تزوج الملك فاروق من امرأتين هما:

** الملكية فريدة. . التى أنجب منها ثلاث أميرات هن فريال وفادية وفوزية.

** الملكة ناريمان. . أنجب منها ولى العهد أحمد فؤاد الذى خرج من مصر مع أبيه وهو طفل لأول وآخر مرة عام ١٩٥٢.

* * *

والآن. . لقد قرُبنا من نهاية الصحبة فى أوراق التاريخ بعدما عشنا سويا سنوات طوال امتدت بنا لأكثر من مائة وأربعين عاماً. وكان علينا ونحن على أبواب الختام اختيار كلمات مناسبة للأحداث. . مثلما كان منا فى التقديم.

لقد أفصحنا من قبل عن مؤشرين أو ظاهرتين ارتبطتا بتاريخ الملكية فى مصر. . الظاهرة الأولى حادث القلعة الذى تمكن من بعده محمد على فى تأكيد أركان مملكته وحكمه لمصر. والظاهرة الثانية. . هى التى ارتبطت فى التاريخ بذلك الرحيل الذى وضع نهاية لأسرة محمد على باشا. . والذى كان من نصيب آخر أحفاده الملك فاروق حين خرج إلى غير عودة حاملاً معه ابنه الرضيع على أمل أن يعود من جديد. تلك العودة التى لم يرها حتى وفاته عام ١٩٦٥.

ولعل أهم ما ارتبط بظاهرة ذلك الرحيل الملكى الأخير.. هو اليخت «المحروسة» الذى كان له شرف مصاحبة آخر ملوك مصر حتى مقره فى المنفى عندما رسى به عند ميناء نابولى بإيطاليا.

ولقد اكتشفنا ونحن نقلب أوراق التاريخ سبب تمسك الملك فاروق بالرحيل فوق آخر قصوره المتحركة فوق مياه البحر وهو يخت المحروسة الذى تغير اسمه بعد يوليو عام ١٩٥٢ إلى يخت «الحرية».

هذا السبب جعلنا ننقب بكل دقة عن قصة هذا اليخت الذى شهد آخر لحظات الرحيل.. وللأمانة فقد اكتشفنا أن له قصة لابد وأن نرويها خاصة إذا ما عرفنا أنه كان اليخت الملكى منذ أكثر من مائة عام!!.

إن يخت المحروسة لم يكن مجرد يخت بحرى فى تاريخ مصر. فقد كان سفينة ملكية حفلت بذكريات وأيام لا تنسى منذ تم بناؤها فى عام ١٨٧٠ من أجل الخديوى إسماعيل.. ثم دارت الأيام وانتقلت ملكية هذه المحروسة إلى الملك فاروق. وكانت هذه السفينة الملكية فى حياته قد شهدت العديد من الأحداث والمغامرات العديدة التى جمع بينهما خيط واحد طرفاه الملك والجنس.

وحين نلجأ إلى المزيد من التفاصيل عن هذا اليخت يتوقف بنا التاريخ عند سنة ١٨٦٥ عندما أتمت شركة سامودا الإنجليزية بلندن صناعتها تلبية لرغبة الخديوى إسماعيل.

وكان طولها حينئذ ٤١١ قدما وعرضها ٤٣ قدماً. أما حمولتها

فكانت ٣٥٠٠ طن وسرعتها كانت ١٦ عقدة. . وكان بها ثمانية مدافع للتسليح. وفى عام ١٨٧٢ عُدلت فى لندن بزيادة طولها ٤٠ قدماً أخرى. . وفى عام ١٨٩٤ تم تغيير خزاناتها فى ورشة حسبو بالاسكندرية، وفى عام ١٩٠٥ أدخل عليها تعديل آخر حيث تم تغييرالماكينات بالتوربابن وأصبحت بمدخنةٍ واحدة.

ولم تقف الإصلاحات التى أضيفت إلى «يخت المحروسة» عند هذا الحد. . بل زودت فى عام ١٩١٢ بالتلغراف اللاسلكى، وفى عام ١٩١٩ زيد طولها ٢٧ قدماً أخرى!!. ثم طليت باللون الأسود وجدد أثاثها. وفى عام ١٩٢٥ اعيد دهانها باللون الأبيض ثم زيدت حمولتها فأصبحت ٤ آلاف طن. وصارت تستهلك ٣٥٠ طن مازوت بدلا من ٧٠٠ طن فحم.

وفى عام ١٩٥١ أجرى عليها آخر الإصلاحات فى إيطاليا وهو الإصلاح الذى كلف مصر فى ذلك الوقت مليونا وسبعمائة ألف جنيه كان من بينها ٤٠٠ ألف جنيه عمولة!!. هذا المبلغ الذى صاحب هذا الإصلاح الأخير أثير تحت قبة مجلس النواب. وتبارت أحزاب المعارضة وخاصة حزب مصر الفتاة الذى كان يمثله فى ذلك الوقت المهندس إبراهيم شكرى رئيس حزب العمل الآن. وبسبب ما أثاره العضو من مناقشات ساخنة حول هذ الموضوع وجهت إليه تهمة العيب فى الذات الملكية. . ومن ثم تم إسقاط العضوية البرلمانية عنه!.

بخلاف ذلك تتكون المحروسة من ثلاثة أدوار، الدور العلوى والدور الثانى وآخر دور هو الدور الأسفل.

أما الدور العلوى ففيه حجرتان للنوم صيفا أحدهما للملك والآخر للملكة.. ثم مكتبان ملحقان بالحجرتين وصالون وقاعة شاى. أما الدور الثانى ففيه الصالون الملكى الخصوصى وصالة طعام وصالة تدخين ثم البهو الفرعونى وغرف نوم الأميرات والأمراء. ثم قسم خصوصى للملك يشمل غرفة نومه وغرفة نوم الملكة ومكتباً وحماما لكل من الغرفتين.

أما آخر دور وهو الدرجة الأولى.. فتم إعداده للضيوف وبه عشر قمرات ودورة مياه خاصة. وفى كل هذه الأدوار صنعت أرضية اليخت كله من خشب الورد.

ولسنا فى حاجة مرة أخرى إلى إعادة القول ختاما.. أن أعظم لقطة فى تاريخ هذه السفينة.. بخلاف ماعاصرته من أحداث. هو أنها قد حملت آخر أحفاد محمد على باشا.. وهو الملك فاروق إلى نهاية لا رجعة فيها.. هذه النهاية لم تكن كما نظن نهاية شخص أو نهاية حياة أسرة.. بل كانت نهاية عصر بأكمله ذهب وانطوت صفحته وحملها الراحل معه إلى خارج الحدود الإقليمية..

لقد حملت اليخت المحروسة آخر ملوك أسرة محمد على إلى المنفى فى مساء يوم ٢٦ يوليو عام ١٩٥٢.. ثم سرعان ما رجعت مرة أخرى إلى مصر.. لتبدأ عهدا جديداً.. فقد أطلقوا عليها اسم «يخت الحرية».

الفصل الثاني

ناهد .. ويوسف ..
وفاروق ..

كان كان من أكبر الدوافع لدينا.. وما جعلنا ننبش فى أوراق التاريخ لاستخراج البدايات الحقيقية لظهور الملكية فى مصر فى العصر الحديث وأسس تلك الملكية على مدى أكثر من مائة عام.. هو ما كان يتردد حتى سنوات قريبة من أن هذا النوع من أنظمة الحكم قد نشأ فور اعتلاء الأمير أحمد فؤاد ملكية مصر.. ثم تبعه من بعده ابنه فاروق الذى وضع نهاية درامية مؤسفة لتلك الملكية.

ولقد أوضحنا من قبل كم كان هذا القول خاطئا إلى حد بعيد.. لأن المؤسس الحقيقى للملكية فى مصر فى الحديث هو محمد على باشا ذلك الوالى اليونانى الأصل والمولد. وصحيح أنها اختلفت من آن لآخر من حيث التسمية فقط.. حتى استقر فى الأذهان حديثا أن مؤسسها هو الملك فؤاد وليس جده الأكبر محمد على. مع أن الأخير هو أحد أحفاد محمد على وإبراهيم باشا.. وابن الخديوى إسماعيل..

وربما الذى ساعد على سيادة هذا الاعتقاد فى الأذهان أن الأمير أحمد فؤاد هو الوحيد من أسرة محمد على الذى استبدل لقبه أثناء اعتلاء العرش من لقب «السلطان» الذى تمتع به سلفه حسين كامل إلى لقب «الملك» بعدما نالت مصر استقلالها الصورى عن الامبراطورية البريطانية.. وجاء ابنه فاروق من بعده فحمل هذا اللقب أيضا وأصبح أول أمير من أسرة محمد على باشا يحمل لقب ملكاً بدون تغيير حتى رحيله عن مصر عام ١٩٥٢.

ولما كان فاروق هو صاحب أكبر مساحة من محتويات هذه الأوراق.. فقد أردنا بالحديث عن تاريخ أجداده أن نستوضح موقعه الجغرافى والتاريخى من هذه الملكية.

وباقترابنا الشديد من أجواء الأيام والسنين التى عاش خلالها الملك فاروق نكون قد اقتربنا بالتالى من الربط بين عصره وأهم أحداثه، وبين بطلة هذه الأوراق وهى «ناهد رشاد» هانم كما كان يحلو لمن حولها أن ينادوها!.

ولسنا أول من اقترب من العالم الشخصى لحياة الملك فاروق وأحداث عصره.. ولكننا قد نكون أول المكتشفين لبعض خصوصيات هذا العالم الشخصى!. ولعل أهم ما يأتى على رأس ذلك الاكتشاف هو علاقته المتميزة بوصيفة زوجته الملكة ناريمان التى اختارها كى تكون بجواره بعدما عاشت بجوار أخته الأميرة فوزية منذ عام ١٩٤٥ كوصيفة. وباقترابنا أكثر وأكثر من العالم الخفى لملك

مصر والسودان سابقاً سوف نكتشف مدى هيام ذلك الملك الشاب بتلك السيدة الشركسية الجميلة.. مما جعل زوجته الأولى الملكة فريدة تتهمها فى مذكراتها بإفساد زوجها الملك لتحقيق أغراضها الشخصية!.

وكان علينا قبل الغوص للتعرف على المزيد من التفاصيل عن تلك العلاقة ـ ووفقا لمنهجنا فى التحقيق والدراسة ـ أن نصل إلى ما كان بين الملك وبين وصيفته والبحث عن جذور تلك العلاقة.. وقد تمكنا من حصر أهم الشخصيات التى تدور حولها أحداث فصول هذه الأوراق فى ثلاث شخصيات رئيسية، وهم: «ناهد رشاد» فى المقدمة ومن ورائها زوجها الدكتور يوسف رشاد.. ثم يلحق بهما فى طابور هذه الأحداث الملك فاروق!!.

بجانب ذلك كان لابد لتلك الشخصيات الرئيسية من أخرى ثانوية تلف وتدور فى فلكها لإثراء حركة التاريخ فوق المسرح السياسى.. ولسوف تظهر تلك الشخصيات تباعاً ووفقا لقيمة الدور الذى تلعبه من خلال ما نرويه عبر الفصول القادمة!.

والآن حان الوقت كى نسأل: من تكون ناهد؟!. ومن يكون يوسف.. وأيضا من يكون فاروق؟!.

* * *

فى الأحوال العادية حين تحاول السؤال عن شخص ما تعرفه أو لا تعرفه.. لابد لك وأن تلجأ لأوراقه الخاصة.. إذا ما كنت تريد

معلومات موثقة . . وأيضا لابد وأن تسأله بشكل شخصى عساه أن يضيف إليك ما هو غير مدون فى تلك الأوراق.

هذا على صفة العموم. أما إذا ما أردت أن تسأل عن شخصية عامة وتجمع عنها المعلومات لابد لك من اللجوء إلى عدة مصادر أهمها تتبع أخبار هذه الشخصية من خلال ما تقدمه من عمل عام. ولك مطلق الحرية فى جمع ما يحلو لك من معلومات من هنا أو هناك يضاف إلى حصيلتك من تلك المعلومات التى تبلورها هذه الأعمال.

ويتساوى فى ذلك أن تكون تلك الشخصية رجلاً أو امرأة! . ولكن فى الحالة الأخيرة . . لابد وأن تدقق أكثر فى اختيار ما تحصل عليه من معلومات. لأن خصوم المرأة وليسوا كما يتصور البعض أكثر من خصوم الرجل، خاصة إذا ما كان الميدان العام لهذه الشخصية النسائية مرتبطاً بالعديد من غيرها من النساء اللاتى يتصارعن داخل نفس الميدان.

ونجاح المرأة كثيراً ما تبلله الدموع . . وتظلله صرخات الليل، فلا فرق داخل المرأة من أن تنجح أو تفشل خاصة حين تلجأ إلى تمييز ذلك عن طريق متابعة انفعالاتها وأحاسيسها الظاهرية.

ولعلنا بهذه الكلمات قد اقتربنا كثيرا من عالم تلك الشخصية النسائية التى تمثل فى هذه الأوراق ضلع المثلث الذى نقوم برسمه . . والذى تكون قاعدته بين طرفى رجلين يمسك أحدهما بالزاوية اليمنى

وهو زوجها الدكتور يوسف.. بينما يستند إلى الزاوية اليسرى الملك فاروق.

وحين نحاول تطبيق قاعدة تحصيل المعلومات التى سبق وتحدثنا عن أصولها.. سوف نلجأ إلى عدة مصادر.. ستكون بعيدة كل البعد عن ميدان العمل العام.. والسبب فى الأصل يرجع إلى أن هذه المرأة قد ارتبط دورها بالقصر الملكى واختفت معظم أعمالها خلف جدران القصور! والدليل عدم العثور عليها أو على أعمالها إلا نادرا أو من خلال ارتباطها بأعمال الآخرين.. حتى وهى تحاول المشاركة فى إحدى المهام الوطنية التى تطوعت فيها عام ١٩٤٨ حين ارتبطت بالأميرة فوزية وشاركتها الإسراع فى الانضمام لكتائب النساء المصريات لعلاج مصابى العمليات الحربية.

وبشكل عام لقد كانت هذه الخطوة هى أصعب مراحل الإعداد لموضوع هذه الأوراق.. خاصة حين خاب ظنى وكنت أتصور وجود معلومات وفيرة وموثقة شأنها فى ذلك شأن من كان قريباً من الحياة الملكية. أضف إلى ذلك أن معظم أخبار ناهد رشاد لم يتم تسريبها إلا بعد رحيل الملك. وكأنما كان يخاف منها أو عليها من تلك الأخبار. وقد شاركها فى هذه الصفة زوجها طبيب الملك الدكتور يوسف رشاد.. الذى لم نعثر له على أخبار منفصلة إلا نادرا.. رغم أننا كثيرا ما شاهدناه فى صور مع زوجته فى صحبة العائلة المالكة!.

* * *

وحين نعاود الحديث عن ناهد رشاد التى كانت تُعرف فى الأوساط الرسمية باسم «ناهد هانم». . نحاول أن نقربها إليكم وإلينا من حصيلة ما توافر لدينا من معلومات. مع التأكيد على شئ مهم للغاية. . وهو أن أغلب ما وصلنا من هذه المعلومات. . كانت معلومات شخصية وكان مصدرها خصومها سواء من داخل القصر الملكى أو خارجه.

وهذا ليس معناه أن ما سوف نرويه على لسان هؤلاء الخصوم غير صحيح!. بل بالعكس قد يكون هو الصحيح بعينه. . لأننا كثيرا ما لا نعرف عن أنفسنا الشئ الذى يرضى عنه الآخرون!. وبالتالى فإن هؤلاء الآخرين يسعون جاهدين لمعرفة المزيد عنا. وهذا المزيد قد ينحصر فى دائرة الممنوع من النشر أو الإفصاح!.

وعلى أية حال سوف نعرض لكل ما تحصلنا عليه من معلومات سواء ما جاءنا عبر أوراقها الخاصة أو من أوراق غيرها. وسوف يكون لدينا الوقت الكافى لمناقشة هذه الحصيلة بغية تقديم صورة واضحة لتلك السيدة التى اقتربت كثيرا من كرسى العرش. . ولولا الظروف التى عاندتها لكانت اليوم تذكر فى أوراق مسبوقة بلقب ملكة!. . مثلها فى ذلك مثل الملكتين السابقتين فريدة وناريمان.

* * *

تقول أوراقها الرسمية التى احتفظ بها أرشيف القصر الملكى باعتبارها إحدى الوصيفات. . إن اسمها ناهد شوقى بكير. . ولدت

بمدينة حلوان عام ١٩١٧، وكانت أمها وخالتها من وصيفات السلطانة «ملك» زوجة السلطان حسين كامل أخو الملك أحمد فؤاد وعم الملك فاروق. وقد التحقتا للعمل بالقصر الملكى منذ عام ١٩١٥ . أى قبل ولادة ناهد بعامين. وهذا يعنى أن الطفلة ناهد قد تنفست عبير القصر واختلطت بالحياة داخل القصور الملكية منذ نعومة أظافرها.

أما أبوها فهو الدكتور شوقى بكير كان يعمل أستاذا بكلية العلوم كما أكد لنا ذلك أستاذنا الكاتب الصحفى مصطفى أمين. وقد عاشت ناهد مع الأميرات الصغيرات داخل قصر السلطان حسين كامل باعتبار أمها وخالتها كانتا وصيفات من زوجة السلطان.

ولما حان وقت زواجها اختارت لها أمها الطبيب يوسف رشاد ابن أحد المحافظين السابقين وطبيب البحرية الملكية. . وقد تزوجته عام ١٩٣٨ وصحبها إلى مقر عمله فى مدينة العريش. وكان عمرها آنذاك واحد وعشرون عاماً. وللأسف لم يصادفنى الكثير من المعلومات التى تدلنا على الكيفية التى تم بها التعارف بين ناهد وبين يوسف اللهم إلا بعض المعلومات التى ذكرتها هى نفسها أمام إحدى المحاكم بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو. وكان عمرها آنذاك ستة وثلاثين عاماً!.

لقد ذكرت ناهد رشاد أنها تزوجت من الدكتور يوسف فى يونيه عام ١٩٣٨ . . وكان الدكتور يوسف فى ذلك الوقت يعيش بالقرب منها حتى قبل إتمام الزواج. كما ذكرت ناهد فى نفس هذه الأقوال أن الدكتور يوسف كان ابن الجيران الذى أحبته من أول نظرة!. وكانت اخواته البنات زميلاتها فى المدرسة!

بجانب ذلك تقول المعلومات الخاصة التى حصلنا عليها أن يوسف رشاد كان ابن أحد المحافظين السابقين. وقد تخرج من كية الطب وهو فى سن الثلاثين. . وبعد نجاحه مباشرة ألحقه والده المحافظ طبيبا بالبحرية الملكية ثم عاونه فى فتح عيادة فى وسط البلد.

وكان يوسف رشاد بطلاً رياضيا. . فقد حصل على عدة بطولات فى الملاكمة ورفع الأثقال. . ويبدو أن قوة عضلات يوسف رشاد كانت طريقه نحو القصر الملكى. . وكأنما القدر كان متربصاً به وراء نجاحه فى ممارسة هذه الرياضيات. فلولا تلك العضلات المفتولة وقوة جسمانه لما تمكن من إنجاز مهمته الملكية التى فرضت عليه حين وقوع حادث القصاصين. لقد تطوع لحظتها لحمل الملك ووضعه فوق كرسيه نهاراً. . ثم كان يعاود نفس المهمة ليلاً.

لقد كان يوسف رشاد قويا ومفتول العضلات. . وهى صفة كانت مطلوبة لمن يشرف على حمل الملك فاروق الذى كان فى حاجة إلى من يحمله من سريره كى يضعه فوق كرسى ممدودا نهارا ثم يعيده إلى السرير ليلاً. ولأن مظاهر البدانة والسمنة قد بدأت تظهر على فاروق فى ذلك الوقت. فقد كان فعلاً فى حاجة إلى طبيب مثل يوسف رشاد الذى أدى مهمته الشاقة ببراعة وسهولة أراحت الملك. ومكافأة ليوسف على هذا العمل أمر فاروق بنقله من سلاح البحرية إلى القصر الملكى كى يصبح واحداً من حاشية الملك[1].

(١) شاهد على حكم فاروق وسنوات ما قبل الثورة ـ مرتضى المراغى.

ومادمنا قد اقتربنا من بلدة القصاصين وعرفنا بدايات علاقة يوسف رشاد بالملك فاروق. . فكان لابد لنا من الوقوف على تفاصيل ذلك الحادث الذى يرى بعض المؤرخين أنه لايزال يكتنفه الغموض.

فى حوالى الساعة الرابعة من مساء الإثنين ١٥ نوفمبر عام ١٩٤٣. . كان فاروق ـ وكانت إحدى هواياته قيادة السيارات بسرعة ـ يمارس هوايته على طريق الإسماعيلية عندما اصطدمت سيارته بسيارة لورى تابعة للجيش البريطانى!!. فتحطمت سيارة فاروق وأصيب بكسر فى عظام الحوض. وتم نقله إلى إحدى المستشفيات التابعة للجيش البريطانى القريبة من مكان الحادث عند مدينة القصاصين فى حالة خطيرة. ولأن المستشفى البريطانى الذى كان يعالج فيه فاروق يضم أطباء كلهم من الإنجليز فقد تم انتداب طبيب مصرى للإشراف على علاجه. وكان هذا الطبيب المحظوظ هو الدكتور يوسف رشاد الذى تم اختياره من بين الأطباء المعالجين للملك. . هذا الفريق كان يضم أيضا الدكاترة على إبراهيم وعباس الكفراوى طبيب الخاصة الملكية الذى استدعى على عجل من القاهرة للمشاركة فى هذه المهمة. . ثم الدكتور محمد كامل حسين والدكتور فؤاد رشيد وأخيرا الدكتور أدهم النقيب.

ونعود لنكرر أن الدكتور يوسف رشاد كان أكثر هؤلاء الأطباء حظاً وحظوة عند الملك، لأن تواجده بالقرب من موقع الحادث مكنه من أن يكون فى طليعة الذين سارعوا لنجدة الملك. هذا بالإضافة إلى

تلك الصفة التى انفرد بها عن بقية هؤلاء الأطباء والخاصة بقوة عضلاته وضخامة جسمه! . رغم أن الدكتور يوسف رشاد كان أقلهم خبرة فى مجال الطب وأحدثهم رتبة. . لأن خدمته فى البحرية الملكية لم تتعد سنتين فقط. . حيث التحق بها عام ١٩٤١ . . وكان وقتها يحمل رتبة صاغ.

وحتى لا يسود أى نوع من الاعتقاد بأننا ابتعدنا عن إجابة السؤال الخاص عمن تكون ناهد رشاد أو ناهد بكير. نؤكد أن التركيز على ذكر تفاصيل حادث القصاصين كان له من القيمة التاريخية الهامة فى حياة ناهد. . أكثر من قيمته بالنسبة لحياة زوجها يوسف. . ويؤكد هذا المعنى ما ذكره مرتضى المراغى وزير الداخلية والحربية السابق فى عهد الملك فاروق الذى قال: «ولم يكن يوسف رشاد وحده هو الذى استولى على إعجاب الملك. فقد شاركه فى هذا الإعجاب أيضا زوجته «ناهد» التى اشتهرت باسم «ناهد رشاد» لقد كانت فى ذلك الوقت سيدة صغيرة السن. . فلم تكن قد تعدت الثانية والعشرين من عمرها. بجانب جمالها الشركسى». . فقد كانت على حد قول مرتضى المراغى الذى رآها كثيراً فى حضرة صاحب السمو الملكى شقراء ذات عينين سوداوين كعيون نساء المغول. ومنذ حادث القصاصين قرر الملك فاروق أن يلحقها هى الأخرى وصيفة لشقيقته الأميرة فوزية(٢).

(٢)مرتضى المراغى ـ المصدر السابق.

إذن لقد أعاد حادث القصاصين ناهد بكير إلى القصر من جديد بعدما خرجت منه مع أمها التى كانت من قبل وصيفة لزوجة عم الملك فاروق السلطان حسين كامل. ويبدو أن هذه العودة الجديدة قد ارتبطت فى ذهن ناهد هانم رشاد بأحلام وطموحات ظلت تراود خيالها حتى وصلت بها إلى طريق مسدود. فقد تخيلت نفسها فى يوم من الأيام وهى تجلس على عرش البلاد ملكة لمصر!!.

ليس هذا فقط.. بل كان الحادث نفسه أحد الأسباب الرئيسية وراء اختيارها زعيمة لما سمى فيما بعد بالحرس الحديدى. ذلك الحرس الذى كونه فاروق تحت قيادة زوجها الدكتور يوسف رشاد كى يتخلص به من خصومه السياسيين والذى كان على رأسهم مصطفى النحاس وأمين عثمان، بسبب ما لحقه من إهانه من الإنجليز فى حادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢!.

ولك أن تتعجب مثلى من قول مرتضى المراغى: «لقد كان يوسف رشاد رجلاً مغموراً أحبه والده كثيرا فلم يعنفه على سقوطه فى الإمتحان ومغامراته النسائية. وصبر عليه حتى نال شهادة الطب بعد أن تعدى الثلاثين من عمره. وكان لقاء الملك فاروق بالدكتور يوسف رشاد فى حادث القصاصين خطوة ما بعدها خطوة. فقد أصبح يوسف منذ هذا اليوم من نوفمبر عام ١٩٤٣ شريكا دائما فى الحاشية التى تحيط بفاروق وتنقلاته. وكذلك تم تعيين ناهد زوجته وصيفة فى قصر عابدين للأميرة فوزية».

وسبب علامات التعجب الكثيرة التى يتركها قول مرتضى المراغى أنه يقدم لنا هاتين الشخصيتين بكل ما لهما من مواهب قد أعانتهما كثيرا على الوصول بسرعة الصاروخ إلى قلب وعقل الملك الشاب للدرجة التى جعلته يأمن لهما على حياته..

ولولا هذه المواهب المتعددة وهذا الاستعداد المبكر للانخراط فى حياة اللهو التى كان يعشقها الملك فاروق، لكان دور الطبيب يوسف قد انتهى بعد شفاء الملك ولرجع لعمله طبيبا فى البحرية كما كان، أو على أكثر تقدير.. كان سيمنحه الملك فاروق مثل غيره من الأطباء الذين أحاطوا به فور وقوع الحادث.. لقب «باشا». ولكن أن يختاره نديماً دائما له هو وزوجته الجميلة ناهد هانم.. بل ويختاره زعيما للضباط الذين قرر بهم تكوين عصابة لقتل خصومه.. فهذا لم يكن يتم لولا ما كان يملكه يوسف من مواهب وإمكانيات.. ربما فاقت إمكانياته العضلية.. ولولا ما كانت تتمتع به زوجته من جمال تتصف به النساء الشركسيات من عيون واسعة.

لقد لاقت هذه الصفات خاصة ما كانت تتمتع به ناهد بشكل شخصى قبولاً وحضوراً ملكياً.. فى الوقت الذى كان فيه فاروق قد بدأ الإقبال على حياة الليل وعشق الغانيات.. حيث تساوت لديه مع غيرها من النساء اللائى عرفن طريقهن إلى مخدع الملك!.

والتاريخ يؤكد لنا أن هذه العلاقات النسائية المفضوحة التى بدأت تهز أركان القصر الملكى والتى اشتهر بها فاروق وسط حاشيته.. بل

ووسط شعبه، كانت السبب الأول والأخير فى انفصاله عن زوجته الأولى.. الملكة فريدة.

أكثر من ذلك فقد تفوقت ناهد رشاد على غيرها من نساء الملك وحاشيته بما كانت تتمتع به من ذكاء فاق جمالها، مكنها من التأثير على ذلك الملك الشاب.. بل وكما ذكر مرتضى المراغى.. مكنها من التأثير على تاريخ مصر كله!.

دخلت ناهد رشاد القصر الملكى لأول مرة للعمل به كوصيفة عام ١٩٤٥.. حين تم اختيارها وصيفة خاصة للأميرة فوزية التى عادت إلى القاهرة فى ذلك الوقت بعد طلاقها من شاه إيران. رغم أن ناهد رشاد لم تكن غريبة على حياة القصور.. إلا أنها قد خرجت من هذه النعمة الملكية بعد الاستغناء عن خدمات أمها وخالتها بعد رحيل السلطانة «ملك» زوجة السلطان حسين كامل. واختيار وصيفة جديدة لخدمة ملكة مصر التى اختارها الملك فؤاد بجواره على العرش.

لقد أصدر الملك فاروق أمراً ملكيا بتعيين ناهد رشاد ليست وصيفة فقط.. بل كبيرة للوصيفات.. وكان دافعه إلى ذلك وكما يقول مرتضى المراغى أنها دخلت إلى قلب فاروق من أول يوم رآها فيه مع زوجها الدكتور يوسف.. ذلك الرجل السمين الذى كان يمثل وجودا طبياً غير رسمى!!.

وأول هذه القصور التى عملت بها ناهد رشاد بجوار الأميرة فوزية كان قصر أنطونيادس فى الاسكندرية الذى تم إعداده على عجل

لإقامة مطلقة شاه إيران. ويقول عادل ثابت أحد أقارب فاروق أن ناهد رشاد كانت فى ذلك الوقت داخل قصر أنطونيادس سيدة هذه الفيللا بأوامر شخصية من الملك نفسه بل أكثر من ذلك وكما يؤكد عادل ثابت أن ناهد رشاد كانت العين التى يرى بها فاروق أحوال أخته المطلقة. وبالتالى تحولت إلى جهاز رقابى حتى على سلوكها الشخصى!.

وحتى عندما قرر فاروق فى نهاية صيف عام ١٩٤٥ عودة الأميرة فوزية إلى قصرها بالقاهرة وإخلاء فيللا أنطونيادس لازمتها ناهد رشاد من جديد.. فى الوقت الذى برزت فيه مسألة طلاق الأميرة فوزية من الشاه على السطح حين علم بأنها تريد إنهاء هذا الزواج. لذلك قبل الشاه طلب الأميرة وطلقها.. ومن ثم استقرت فى مصر بشكل نهائى تحت سمع وبصر الملك فاروق من خلال عيونه وآذانه التى تمثلت فى ناهد رشاد شخصيا[٣].

ولا يتوقف الحديث عن ناهد رشاد عند هذا الحد فقط. بل يتعداه ويتقدمه مسافات طويلة يمكن قياسها بآلاف الكيلومترات.. لأنها حتى وهى وصيفة خصوصية للأميرة فوزية أخت فاروق كانت ولا تزال تفكر فى الملك بشكل شخصى جدا، وتعد الأيام بل والساعات التى سوف تكون بعدها بجواره من جديد.

وقد كان لها ما أرادت.. وتحقق ما خططت له.. فبعد طلاق

(٣) فاروق الأول ـ الملك الذى غدر به الجميع ـ عادل ثابت.

الملك فاروق لزوجته فريدة، وبعد زواج الأميرة فوزية بعد طلاقها من شاه إيران. . عادت ناهد هانم رشاد مرة أخرى إلى قصر عابدين مقر حكم فاروق، ابتداء من منتصف عام ١٩٤٨. . ويحدد بعض المؤرخين تاريخ دخول ناهد رشاد إلى قصر عابدين بجوار فاروق حين صدر أمره الملكى فى عام ١٩٤٨ بطلاق صافيناز ذو الفقار «الملكة فريدة».

لقد كان رجوع ناهد رشاد هذه المرة وعلى حد قول مرتضى المراغى الذى كان يشغل فى ذلك الوقت منصب وكيل وزارة الداخلية رجوعاً قوياً. حيث أمر فاروق بأن تكون بجواره وصيفة بلا ملكة. . بل ربما قصد بذلك أن تكون وصيفته الخاصة. لقد دخلت ناهد رشاد مقاصير الحريم الملكى وصارت من يومها أحب الشخصيات إلى فاروق لجمالها وجرءتها. وفى المقابل انجذب إليها فاروق بكل كيانه ووقع فى غرام أنوثتها وعقلها. . فلم يعد يفارقها والكلام مازال لمرتضى المراغى ـ منذ رحيل زوجته الأولى بطلاقها. . وظلت بجواره فى جناح الحريم داخل القصر الملكى[٤].

وحين نعود للتقليب فى أوراق ناهد رشاد الخاصة نكتشف أنها لم تنكر هذه العلاقة الخاصة جداً بينها وبين فاروق ذلك الملك الشاب. بل تحدد لنا موعد التحاقها بالعمل بجوار أخته الأميرة فوزية. . فقد حكت لمحكمة الثورة كيف تعرفت على فاروق. . وكيف دخلت القصور الملكية مع أخته الأميرة فوزية فقالت:

(٤) مرتضى المراغى ـ مصدر سابق.

فى عام ١٩٤٥ أصدر الملك فاروق قرارا ملكيا بتعيينى وصيفة للامبراطورة فوزية. . لأنه كان يعلم مسبقا أن لدى فكرة عن بروتوكول السراى، منذ أن كنت مع والدتى وخالتى وصيفتى السلطانة «ملك» زوجة السلطان حسين كامل. أيضا كان زوجى فى ذلك الوقت يشتغل فى السراى. والملك رآنى شخصيا عدة مرات داخل القصر الملكي. . وكان يعرفنى حيث كنت من المترددات على القصر الملكى بحكم علاقة أمي بالسلطان حسين وزوجته.

لقد عيننى الملك فاروق وصيفة للامبراطورة فوزية قبل رجوعها من طهران بخمسة أيام فقط[٥].

أما عن الظروف والملابسات التى تعرفت خلالها على الملك فاروق فذكرت:

«كانوا عاملين حفلة بمناسبة نجاة الملك فى حادث القصاصين. وكان فيها كل الضباط وموظفو السراى وكل سيداتهم. ولقد طلبنى الملك فى التليفون فى منزلى وأبلغنى بقرار اختياره لى وصيفة للأميرة فوزية. ثم أكد هذا الاختيار مرة أخرى أثناء زيارته لمنزلنا بحدائق القبة. وقد انتابَنى وقتها شعور فى غاية السوء لأنه كان عندى طفلة عمرها ثلاثة أشهر وكنت باشعر كيف كانت والدتى تترك المنزل بسبب عملها فى السراى. . لأن الوصيفة يقتضى عملها أن تبتعد عن بيتها.

لذلك كنت باشعر أن هذا العمل بالنسبة لى كوصيفة سوف يبعدنى

(٥) اعترافات ناهد رشاد ـ جريدة المصرى فى ٢١/ ١/ ١٩٥٣.

عن ابنتى ومنزلى خصوصا كان المطلوب منى ملازمة الامبراطورة فوزية باستمرار لأن الملك قد بلغه قبل رجوعها أن الامبراطورة مرهقة للغاية. . وقال لى بالحرف: أحب أن يبقى جنبها حد كويس زيك وأنا أعتقد إنك تقدرى تقومى بهذه المأمورية! . .

ولقد اعتذرت فى بادئ الأمر لكنه قال لى إن فوزية جاية تعبانة خالص ومفيش حد قدامنا غيرك ولا قبول للإعتذار!

وحين قبلت العمل بجوار الامبراطورة فوزية. . كان ذلك العمل يقتضى أن ألازمها باستمرار وقضيت معها شهرين فى قصر أنطونيادس بالإسكندرية مع الحاشية التى جاءت معها من إيران. لقد جاء معها ثلاث وصيفات من إيران وكبير الياوران وكبير الأمناء وضابط وكنت أنا المصرية الوحيدة. وقليلا ما كان الملك فاروق يزورها فى هذه الفترة. لكنه طلب منى الاتصال به من حين لآخر كى أبلغه بتحركات أخته أولا بأول».

ولم يفوتها أن تذكر للمحكمة فى نفس الجلسة حكاية صداقة زوجها الدكتور يوسف للملك وكيف تعرف عليه. فذكرت:

«إن أيام حادث القصاصين كان زوجى يوسف رشاد بيشتغل قبل كده فى البحرية الملكية. لكن مع ذلك فإن الملك لم يكن قد رآه من قبل. ويوم جه «سالم البدن» وفات عليه الساعة سابعة بالليل يوم حادث القصاصين!. وكان يوسف طبيب البحرية. . ففات عليه وأخذه وراحوا على القصاصين. ولما راحوا هناك كان الملك متألماً

جداً يظهر كانوا عاوزين يحركوه وما كانوش قادرين! إلا أن يوسف تمكن من إنه يريح الملك. فهو إستبقاه وفضل معاه طول الأيام إللى قضاها هناك. وبعدما رجع إلى قصر «عابدين» فضل معاه لحدما خف خالص ونشأت بينهم صداقة وبقى ياخده معاه فى الرحلات بتاعته»!!.

ثم تعود وتؤكد فى نفس الاعترافات على الظروف التى تم فيها اختيارها وصيفة للامبراطورة فوزية كما تحدثت كذلك عن نفس الظروف التى جعلت الملك يختارها وصيفة خاصة له حتى بعد طلاقه الملكة فريدة فقالت:

«لقد تم اختيارى وصيفة للملك.. لأنه ماكنش فيه ملكة فى ذلك الوقت وقد أبلغنى الملك فاروق بهذا الإختيار أثناء وجودى فى أمريكا للعلاج.. رغم رفضى للعمل الجديد فقد أصر على هذا الاختيار ولم يشفع لى عنده قولى له إن صحتى لا تساعدنى على أن أشتغل مرة أخرى.

إن تعيينى تم وأنا فى أمريكا فقد قرأت خبر التعيين فى الجرائد هناك.. وحتى عندما رجعت واستلمت عملى الجديد.. كانت فعلاً صحتى تعبانة فلم أعمل أى شئ داخل القصر إلا حضور الحفلات الرسمية فقط.

وكان هناك أربع وصيفات للملك يتناوبن العمل كل واحدة عشرة أيام. ولكن أنا ماكنتش بآخد عمل فى هذه الفترة.. وطلبت أن

أستقيل عدة مرات لأنى كنت تعبانة وعملت عملية فى المستشفى. .
وده كان قبل خطوبة الملك لناريمان فقال لى: انت تعبانة فى إيه لما
تخفى تبقى تيجى ومستعدين نعطيكى أجازات زى ما انت عاوزة.
وبعد الخطوبة أبديت رغبتى تانى فى الاستقالة فهو قال لا إحنا
عاوزين واحدة جنب الملكة الجديدة علشان توريها اللازم تعمله.
وبعد الجواز على طول أبديت رغبتى للملكة فى الإستقالة لأنى
اعتقدت إن ده أسهل انى أقولها. . لكنها قالت لى أنا لسه جاية هنا
جديد وأرجوك تقعدى معايا سنة واحدة.

وبعدين سافروا أوروبا الملك والملكة وأنا رفضت أسافر معاهم.
وقعدوا فى أوروبا ثلاثة أشهر ثم استدعونى للسفر لأن الوصيفة اللى
هناك صممت على الرجوع. وكان وقتها مفيش غيرنا احنا الإثنين.
وكان الملك مصمم إنه يكون هناك وصيفة بجوار الملكة. وأول ما
وصلت فاتحت الملك فى الاستقالة من جديد وقلت للملكة أيضا
فأخبرنى أن الوقت غير مناسب الآن، لأن الملكة على وشك
الولادة. . وإذا كنت فاهمة إنك تستقيلى فإنت وجوزك تخرجوا من
القصر مش إنت بس!، فقعدت هناك معاهم ١٨ يوما ورجعنا. ولما
رجعنا ماكنتش بروح القصر إلا فى الاستقبالات الرسميةالضرورية
جداً.

ثم قدمت استقالتى تانى لكنهم رفضوها وقطعوا علاقتهم بنا غير
الملكة ناريمان التى كلمتنى مرتين وطلبت منى أن أكون بجوارها لأنها
تعبانة!!»

* * *

وحين نتوقف أمام ما روته ناهد رشاد وصيفة الملك فاروق فى غياب الملكة.. نكتشف صدق ما وصل إليه مرتضى المراغى آخر وزير داخلية فى العهد الملكى.. حين كتب فى مذكراته أن ناهد رشاد كانت على وشك أن تجلس على كرسى العرش بجوار الملك الشاب فاروق خاصة بعدما طلق زوجته الأولى الملكة فريدة.. ولكنها حينما عرفت بقصة خطوبته من الآنسة ناريمان.. أصابها الهوس ومسها الجنون.. لأن الملك فاروق قد أخل بوعده معها.. حين كرر على مسامعها فى إحدى الليالى وهى بين ذراعيه..إنه يفكر فى أن يتزوجها لتصبح ملكة مصر القادمة. ولسوف يكون لنا وقفة طويلة مع قصة هذه السيدة التى نجحت فى الفوز بكيان وروح الملك الشاب ولكنها فشلت فى الفوز بكرسى العرش.

والغريب فى هذا الأمر أن كل حاشية الملك فاروق قد اعترفوا بنفوذ تلك السيدة داخل جدران القصر وخارجه.. حتى الملكة الأولى نفسها قد عانت منها الأمرين إذ سعت ناهد هانم بكل ما لديها من مواهب وأنوثة وذكاء للفوز بالملك الشاب كى تجلس معه على عرش مصر حتى ولو أدى ذلك إلى التضحية بزوجها وبأسرتها. ولما فشلت فى ذلك استدارت للانتقام من الملك فى شخص أحد رجال الحرس الحديدى. بل أكثر من ذلك كانت تعلم هى وزوجها كل أسرار ثوار يوليو قبل قيامهم بحركتهم داخل الجيش وخارجه.

ولقد رأت فى هذه الحركة خير انتقام لها من ذلك الملك الذى

خدعها طويلاً ولم يف بوعده فى أن تكون بجواره ملكة. . وفضل عليها «ناريمان» مع أن ناهد رشاد كانت مثل الملكة السابقة فريدة تربية قصور وابنة إحدى الوصيفات!.

ولم يعد أمامنا الآن سوى الإنصات لما ذكرته ودونته الملكة فريدة الزوجة السابقة لفاروق عن علاقة زوجها الشاب بتلك السيدة مما جعلها المنافس الوحيد لها داخل جناح الحريم. رغم أن الملك كانت له محظيات نسائية كثيرة ومتنوعة.

تقول فريدة عن ناهد رشاد: لقد شاءت الظروف والأقدار أن تظهر في حياة فاروق امرأة أخرى استولت على قلبه. . تلك المرأة هى ناهد رشاد حرم الدكتور يوسف رشاد طبيب الملك الخاص. وقد بدأت قصة الملك مع ناهد عندما وقع حادث تصادم مع سيارة الملك عند القصاصين. . حيث ذهب الدكتور يوسف إلى المستشفى التى كان بها فاروق. . وتمكن يوسف بما لديه من قوة عضلية من حمل الملك إلى المستشفى. . وظل بجواره طوال فترة علاجه حيث لازمه ملازمة الظل.

وبعد هذا الحادث عينه الملك طبيبا خاصا له. وكانت ناهد رشاد تحضر لزيارة الدكتور يوسف في القصر فرآها فاروق وأعجب بها وفتن بجمالها لدرجة الجنون، وبالتالى ألحقها بالقصر وصيفة للأميرة فوزية!. . واختار فاروق لها مكاناً للنوم قريبا منه. وأصبحت الملكة غير المتوجة نظراً لتأثيرها الطاغى على الملك(٦).

(٦) فريدة ملكة مصر تروى أسرار الحب والحكم ـ فاروق هاشم ص ٥٩.

لقد كانت ناهد رشاد بارعة الجمال، ممشوقة القوام، طويلة الشعر، جريئة متغطرسة، فقربها فاروق إليه وأصبحت تلازمه فى كل سهراته وتحركاته مما جعلنى أقاطع هذه السهرات وتلك التحركات حيث كان الملك يداعبها فى حضورى وحضور زوجها. وقد شاهدته يوما ونحن فى كازينو الرومانس وبرفقة أخته فوزية وأمام الجميع قام الملك بوضع وردة حمراء بيده فى صدرها العارى الصارخ الفتنة وبين نهديها!!.

بل أكثر من ذلك والكلام لايزال للملكة السابقة فريدة: لقد وصل الأمر بالملك أن استأجر لها شقة بالجيزة وأخذ يقضى أغلب الليالى معها لدرجة أنه يلغ به الهيام بها فى فترة من الفترات أنه لم يكن يستطع فراقها! بل إن الملك وضع لها صورة عارية بالحجم الطبيعى فى قصر أنشاص. وظلت هذه الصورة معلقة على جدران إحدى حجرات القصر حتى قيام الثورة!.

بل إنه من الطريف أن إحدى لجان جرد القصور المصادرة وجدت هذه الصورة.. وأصبحت بندا من بنود جرد قصر أنشاص.

وزاد فاروق تقربه من ناهد، فأصبحت ترافقه فى زياراته الخارجية مما جعل حلم حياتها فى أن تصبح ملكة يراودها.. فعملت على تسميم العلاقة بين الملك وبينى.. بل ونسف الجسور بيننا.

وقد كذبت ناهد رشاد ما ذكرته الملكة فريدة.. حتى قبل أن تكتب مذكراتها.. ودافعت فى تكذيبها عن علاقتها بالملك وعن ذلك الاتهام

الذى ردده كل المحيطين بفاروق. والغريب أن هذا التكذيب قد صرحت به لإحدى الصحف المصرية التى أجرت معها حورا فى أعقاب قيام ثورة ٢٣ يوليو. . وقالت فى هذا التكذيب بالحرف الواحد:

«أنا دخلت السرايا وفاروق وفريدة منفصلين!. كما أننى ماشفتش فريدة فى حياتى غير مرتين. . مرة فى البرلمان. . ومرة فى التشريفة. ولا أقدر أقول عنها أى شئ. كما أننى لا أعرف السبب الحقيقى لإنفصالهما. . لكن يجوز إن السبب إنهم إتجوزوا وهما صغيرين!»

* * *

وبصرف النظر عما حكته الملكة فريدة وعن صحته. . وبدون الالتفات إلى ذلك التكذيب الذى صرحت به ناهد رشاد فى الصحف التى صدرت بعد الثورة. . فقد أثبتت الأحداث السابقة واللاحقة. . أن ناهد رشاد كانت بالفعل على درجة عالية من الذكاء. . جعلها تخطط بدقة ليس للوصول إلى قلب فاروق فقط. . بل إلى عرشه أيضا.

لقد قررت منذ أن أصدر فاروق قراره بتعيينها وصيفة خاصة لقصره الذى لم يكن به ملكة. . أن تنزل إلى الشارع للمشاركة فى الخدمة العامة والأعمال الوطنية بشرط أن تكون تحت إشراف الملك شخصياً. ولا مانع أبداً من أن تشارك حتى أخته الأميرة فوزية فى مثل هذه

الأعمال الوطنية. ولم تجد أمامها سوى التطوع فى صفوف الجيش المصرى الذى كان يحارب فى فلسطين عام ١٩٤٨.

وبهذه المناسبة أنعم عليها الملك فاروق برتبة عسكرية هى رتبة «صاغ»! متطوع فى الجيش..

وفى تبريرها لهذه الرتبة العسكرية التى حصلت عليها بدون وجه حق اللهم إلا لكونها عشيقة الملك وصديقته.. قالت فى أوراقها الخاصة: «إننى لم أطلب من الملك أن أحصل على رتبة عسكرية، وقصة اشتراك المجندات والمتطوعات فى حرب فلسطين تبدأ مع بداية الحرب حين كنت وصيفة فى القصر أتقاضى ٥٢ جنيها فى الشهر من ميزانية الدولة، وليس من جيب الملك فاروق الخاص كما أشاعت ذلك الصحف. لقد تطوعت فى الحرب بدون أجر.. ولم يكن دافعى إلى ذلك سوى حبى الشديد للوطن.. وهو وطننا جميعاً. أنا كنت بأذهب إلى المستشفى فى الساعة الثامنة صباحاً ثم أذهب بعدها لى القصر لأقوم بتأدية وظيفتى.

وأول مصرية تطوعت كنت أنا.. ولم أكن فى حاجة إلى الإسم أو إلى الشهرة. لقد كنا نحن المتطوعات خمسا وثمانين سيدة.. وكانوا يعطوننا المرتب على حسب المجهود. ولست أقول إن الأربع والثمانين سيدة الأخريات كن متطوعات بدافع وطنى، ولكنى أقول إن التطوع كان أفضل من السينما واللعب.

لقد سافرت إلى غزة ومكثت هناك عشرة أيام.. ولم يكن الجنود

يحترموننا فى بادئ الأمر. لذلك رأينا ضرورة الحصول على رتبة عسكرية شرفية حتى يحترمنا الجنود!!».

ورغم ما ذكرته ناهد رشاد فى أوراقها الخاصة عن موضوع هذا التطوع.. إلا أنها قد نسيت أو تناست أن تذكر لنا المهمة الرئيسية من وراء هذا التطوع. بخلاف العمل فى صفوف القوات المصرية المحاربة فى فلسطين.. لقد اكتشفنا أن هذه السيدة الذكية جداً.. قد ذهبت إلى غزة بالقرب من المعارك العسكرية كى تبحث عن عناصر من الضباط المصريين تشاهدهم عمليا فى مسرح العمليات من أجل أن تضمهم إلى تنظيم الحرس الحديدى! الذى كان قد تم تكوينه منذ أكثر من خمس سنوات تحت رئاسة زوجها الدكتور يوسف رشاد لحماية الملك فاروق من خصومه السياسيين.

وقد شهد بذلك أحد أعضاء الحرس الحديدى.. بل وسجل هذه المهمة فى مذكراته التى سوف نشير إلى ما جاء ببعضها فى الأوراق القادمة.

* * *

رغم أننا حين حاولنا الإجابة على الشق الأول من ذلك السؤال الذى طرحناه من قبل عمن تكون ناهد ومن يكون يوسف؟!. لم نتعمد اللجوء إلى قاعدة الفصل بين كل منهما رغم ما بينهما من فوارق جسمانية وفسيولوچية. لأننا رغم هذه الفروق اعتبرناهما شخصية واحدة،.. لعدة أسباب أولها: أن ناهد هانم ـ رغم أن

اسمها الذى ولدت به وحملته وفقا لأوراقها الرسمية هو ناهد أحمد بكير - إلا أنها عُرفت داخل القصور الملكية.. بل وعلى صفحات التاريخ باسم ناهد رشاد.. نسبة إلى زوجها الدكتور يوسف رشاد.

أما ثانى هذه الأسباب وأهمها.. هو أن الدكتور يوسف رشاد يرجع إليه الفضل فى عودة ناهد هانم إلى حياة القصور من جديد بعدما هجرتها فور خروج أمها وخالتها وجدتها من قصر عابدين بعد رحيل السلطانة ملك زوجة السلطان حسين كامل.

هذه العودة حملت فى طياتها حلم العرش.. والجلوس بجوار الملك تحت التاج المرصع بالأحجار الكريمة. ولم لا.. فقد كانت الملكة فريدة ملكة مصر السابقة تعيش نفس ظروف ناهد رشاد.. فهى ابنة وصيفة اختارتها الملكة الأم «نازلى» رفيقة حياة لابنها فاروق!.

والغريب أنه لو تحقق حلم ناهد فى الفوز بالملك الشاب.. لكانت قد ضاعت حياة الرجل الذى أدخلها القصر من جديد.. لقد كان مصير الدكتور يوسف معلقاً بين السماء والأرض.. وربما طواه النسيان أو قتلته رصاصة غادرة من رجال الحرس الحديدى!. ولكن والحق يقال، لم يغب هذا المصير عن ذهن زوجته ناهد هانم وهى تخطط للجلوس على عرش مصر بجوار فاروق.. لقد أخذت تفكر بجدية فى هذا المصير.. ووضعت له الحلول انتظارا لقرار الملك بزواجها!. ويقول مرتضى المراغى عن هذا المصير: لقد أخذت ناهد رشاد القرار ووضعته موضع التنفيذ.. فلابد من مكافأة مجزية

للدكتور يوسف ومنحه منصبا سياسيا رفيع المستوى.. ردا على موافقته على طلاق زوجته ناهد كي يتزوجها الملك فاروق!!

ولكن الله كان رحيما بالزوج المسكين. وظل يوسف رشاد ملازما لزوجته التي فشلت في الفوز بعرش مصر حتى آخر العمر. كما ظل يوسف ملازما لزوجته ناهد حتى داخل محكمة الثورة.

* * *

وتبقى الإجابة على الشق الثاني من سؤالنا السابق والذى تقول كلماته.. ومن يكون الملك فاروق؟

لقد أبقينا الرد على هذا الشق من السؤال إلى حين.. لأننا على يقين من أن جانباً كبيراً من الشباب يعرف بعض الشئ عن ذلك الملك.. فهم على الأقل يعرفون أنه آخر ملوك مصر من أسرة محمد علي.. وأنه قد رحل عن مصر وعن عالمنا مصحوباً بأسوأ موجة من اللعنات التى صبت عليه وعلى رأسه ورأس أسرته ليس فى واقع الحياة فقط.. بل وعلى صفحات الجرائد والكتب سواء المترجم منها أو الذى صدر باللغة العربية.

ومع ذلك رأينا أن نسوق بعض المعلومات العامة عن ذلك الملك منذ مولده وحتى اعتلائه عرش مصر.. فهو أحد الشخصيات الرئيسية في هذه الأوراق.. ولسوف يكون مصاحباً لنا على طول الخط وحتى نضع القلم ونغلق آخر صفحات هذه الأوراق.

لقد ولد الملك فاروق الأول فى ١١ فبراير عام ١٩٢٠ وهو ابن الملك فؤاد الأول وخلفه من سلالة أسرة محمد على الكبير الذى تولى حكم مصر مستقلا عن الدولة العثمانية عام ١٨٠٥ . وقد تعلم فاروق على يد أساتذة مصريين حتى بلغ الخامسة عشرة ثم أرسله والده إلى انجلترا كى يكمل تعليمه هناك. ولكه سرعان ما عاد إلى مصر عقب وفاة والده فى ٢٨ إبريل عام ١٩٣٦ . وكان عمره آنذاك ١٦ سنة وشهران ونصف شهر.

وقد جلس فاروق على عرش مصر ولم يكمل عامه السابع عشر. . وعندما خرج من مصر كان عمره اثنين وثلاثين عاماً. . أى استمر فاروق فى الحكم لمدة خمسة عشر عاماً شهدت مصر خلالها سبع عشرة وزارة من بينها ثلاث وزارات لحزب الوفد رأسها جميعا مصطفى النحاس. وقد استمرت هذه الوزارات مدة ست سنوات. ثم خمس وزارات فى خلال ستة أشهر قبل رحيل الملك.

وعندما عاد فاروق من انجلترا على إثر وفاة والده تم تعيين ابن عمه الأمير محمد على ابن الخديو توفيق وصياً على العرش حتى بلغ فاروق سن الرشد فى ٢٩ يوليو عام ١٩٣٧ .

تزوج فاروق من سيدتين هما: «صافيناز ذو الفقار» عام ١٩٣٨ والتى سميت بعد الزواج بالملكة فريدة ثم طلقها عام ١٩٤٨. . وتزوج فاروق بعد ذلك من ناريمان وأنجب منها ولدا هو الأمير أحمد فؤاد. وقد ظل هذا الزواج مستمرا بينهما حتى بعد رحيل الملك وتنازله عن العرش عام ١٩٥٢ .

والملك فاروق هو ابن الملكة نازلى التى تزوجها الملك فؤاد بعد توليه عرش مصر. وبعد طلاق الأميرة شويكار التى تزوجها عام ١٨٩٥ عقب عودته من أوروبا بعد الانتهاء من دراسته.

وكان الملك فؤاد يبلغ من العمر ٢٧ عاماً. وقد أنجب منها ولدين هما الأمير إسماعيل الذى مات وهو طفل ثم الأميرة فوقية. وربما كان هذا هو الدافع الحقيقى نحو لجوء الملك فؤاد للبحث عن زوجة أخرى. فقد كان فى حاجة إلى وريث. وها هو الوريث قد جاء من زوجته الجديدة الملكة نازلى.

الفصل الثالث

عندما فشلت
فى أن تكون ملكة مصر

على . طول التاريخ المصرى كله المدون والمسموع . . ومنذ ظهور أشكال الحكم المدنى عرفنا أن هناك سيدات كثيرات قد نجحن فى الوصول إلى الجلوس على عرش البلاد وبصرف النظر عن اختلاف التسميات لأشكال هذا الحكم التى تتغير من عصر لآخر . . فإن هناك شبه إجماع على أن المرأة قد تمكنت من إقناع الرجل بدورها فى الحياة السياسية . .[1] هذا الاقتناع قد تجلى فى قبوله لجلوسها على العرش فوق الكرسى الذى يجلس عليه الملوك من الرجال .

وفى عصور كثيرة قرأنا بخلاف ذلك أنه فى الوقت الذى كان فيه الرجل يجلس على العرش . . كانت امرأته وهى بذاتها التى تمتعت بلقب الملكة . . هى التى كانت تدير دفة الحكم على مرأى ومسمع منه ومن أعوانه. ومن أفراد شعبه . بل وكثيراً ما كان يتم ذلك عن رضاً وتأييد .

---

(١) النساء ولعبة السياسة ـ كتاب للمؤلف .

ولعل أشهر السيدات التى حكمن مصر فى عصورها المختلفة وتمتعن باللقب الملكى أو الامبراطورى. . هن الملكة حتشبسوت ونفرتيتى وكليوبترا وفى العصور الوسطى برزت على أرض مصر ملكة أخرى جلست على العرش بإرادة الشعب. . ونزلت من فوقه بإرادة الشعب أيضا وهى الملكة شجرة الدر التى ارتبط دورها تاريخيا بالحملات الصليبية المشهورة آنذاك.

وأما فى العصر الحديث. . فلم يكن للمرأة أية كيان داخل البيت أو خارجه فما بالك بنظام الحكم وأشكاله. حتى حينما تولى محمد على حكم مصر ابتداء من عام ١٨٠٥. . لم يكن لزوجاته أى نشاط خارج المنزل سوي أنهن حريم الوالى فقط. ولولا أن محمد على باشا كان لديه استعدادات للأخذ بالحضارة لما عرفنا عن زواجه أية معلومات.

ويقول التاريخ إن محمد على قد تزوج من سيدتين: الأولى كانت تعرف باسم أمينة هانم وهى ابنة على باشا الشهير «بمصرلى» من أهالى قرية نصرتلى التابعة لبلدة دراما اليونانية. وقد حضرت إلى مصر عام ١٨٠٨ حينما استقر الأمر لزوجها. . وقد أنجب منها محمد على باشا خمسة أولاد. . ثلاثة ذكور وهم الأمير إبراهيم باشا والأمير أحمد طوسون والأمير إسماعيل كامل. كما أنجب منها بنتين هما: الأميرة توحيدة والأميرة نازلى.

أما زوجته الثانية كانت تدعى «ماه دوران هانم أو قمش». . ولم يرزق منها بأولاد.

ولقد ظلت المرأة حتى بعد حكم محمد على تعيش خلف الحجاب وفى قصر الحريم ولم يكن ينظر إليها حتى فى قصر الوالى إلا باعتبارها امرأة للفراش وإنجاب الأمراء والأميرات. والدليل لدينا أن الوالى ومن بعده الخديوى قد كان يتزوج أكثر من امرأة بحثا عن ولى العهد وليس إلا!.

ويبدو أن هذه النظرة المتأخرة لدور المرأة داخل المجتمع قد ارتبطت بواقع الحياة فى مصر فى ذلك الوقت. ولكن مع الأيام ومع الإيمان المتزايد من جانب الرجل بدور تلك المرأة. بدأت النظرة تتغير وبالتالى بدأت المرأة تزحف نحو الحياة الاجتماعية والسياسية المصرية بكل ثقلها(٢).

ولقد انعكست هذه النظرة المتغيرة على مشاركة المرأة فى الحياة السياسية خارج القصور وفى داخلها. لذلك سمعنا لأول مرة عن لقب «السلطانة ملك» زوجة السلطان حسين كامل ومشاركتها لزوجها فى الاستقبالات الرسمية وفى الحفلات العامة.. كذلك، كان قد سمح بنشر صورها فى المجلات والجرائد التى كانت تصدر فى ذلك الوقت. ومن بعدها سمعنا عن الأميرة شويكار زوجة الأمير أحمد فؤاد وأخبار طلاقها منه.. ثم الملكة نازلى زوجته الثانية التى أنجبت له ولى العهد فاروق الأول.

ولما تولى ابنه فاروق عرش مصر.. سمح هو الآخر للمرأة كى

(٢) وللمزيد من التفاصيل ارجع إلى كتاب النساء ولعبة والسياسة.

تشاركه ولو اسماً فى حكم مصر . . حيث وافق على إعطائها لقب «ملكة» فى مقابل لقبه السياسى كملك للبلاد. وبذلك جلست بجواره على العرش تماما كما كان يفعل الفراعنة من قبل وهم الذين صوروا هذا الجلوس الملكى فى تماثيلهم الكثيرة التى خلفوها لنا هنا وهناك .

ولقد تزوج فاروق وفقا للأوراق الرسمية زوجتين . . الأولى هى الملكة فريدة والثانية هى الملكة ناريمان . . ولعل دافعه الأساسى نحو طلاق الملكة الأولى بالإضافة إلى الأسباب العديدة التى قيلت هو البحث عن ولى عهد يرث الحكم من بعده مثلما فعل أبوه من قبل حين طلق زوجته الأولى الأميرة شويكار بعدما مات طفلها الأول الأمير إسماعيل .

ولقد نجح فاروق فى العثور على ولى عهده من زوجته الثانية ناريمان . . ولكن لحظه العاثر فقد رحل هو وولى عهده إلى خارج مصر . . وهناك مات وحده وترك ولى عهده يحمل لقب ملك مصر السابق أحمد فؤاد .

ويبدو أن صفة البحث عن الزوجة التى تنجب ولى عهد . . هى صفة كانت ومازالت مشتركة فى أنظمة الحكم الملكية التى يورث فيها الحكم للأبناء .

وبخلاف عدد زوجات الملك فاروق وفقا للشريعة الإسلامية . . فقد عُرف عنه أنه قد ارتبط بنساء كثيرات سواء بعقود عرفية أو

شفهية.. وكانت أقرب هؤلاء إلى قلبه وإلى العرش ناهد رشاد. ولكن لظروف ما حالت دون إتمام زواجها رسميا من فاروق.. وبالتالى استمرت فى موقعها القديم داخل القصر الملكى ترقب الزواج الثانى لعشيقها الملك.. وقد بدأت من ذلك الحين تتحين الفرصة تلو الأخرى كى تنتقم منه لضياع العرش الملكى من تحت أقدامها. هذا الضياع له قصة مثيرة سوف نرويها فى حينها.

وكان علينا قبل أن نخطو تلك الخطوة.. ونقترب من هالات قصة ناهد وفاروق وضياع العرش. أن نعيش ولو للحظات قد تطول وقد تقصر فى ظل الأسرة المالكة وأعضائها سواء أكان الملك أم زوجاته!. ثم من بعد ذلك ننطلق إلى رحاب حديث الملكة التى ضاعت أحلامها فوق رمال صيف ساخن كانت تقضيه على شاطئ المنتزه.. ذلك القصر الذى دخلته مرات عديدة ليس بصفتها الملكية التى لم تتحقق.. ولكن بصفتها الوصيفة المحببة إلى عقل وقلب ذلك الملك الشاب.

* * *

تقول سطور التاريخ الذى سجلته الوثائق الرسمية الصادرة عن قصر عابدين أنه فى ٢٠ يناير عام ١٩٣٨.. تزوج الملك فاروق الأول من الآنسة صافيناز ذو الفقار التى تقلدت التاج الملكى.. وصار اسمها بعد حفل التتويج الملكة فريدة. هذا اللقب التى ظلت تحمله طوال أحد عشر عاماً وهى بجوار الملك الزوج.. ومن بعد هذا

التاريخ ظلت تحمل نفس اللقب ولكن كان يعقبه كلمة دائما «سابقا» . . ولهذا الزواج قصة من المؤكد أن أصدق من يرويها هى الملكة نفسها من خلال ما تركته من أوراق مع الاستعانة ببعض ما كتب عن هذا الزواج من أجل تقديم صورة متكاملة بلا رتوش.

ذكرت فريدة ملكة مصر سابقاً عن ظروف هذا الزواج أنها قد رأت فاروق لأول مرة بعد عودته من انجلترا وبعد وفاة والده الملك فؤاد «فقد ذهبت مع والدتى إلى القصر لكى تلتقى بصديقتها الملكة نازلى حيث كانت والدتى وصفيتها، وألتقى أنا بصديقتى فوزية شقيقة الملك فاروق التى كانت قد دعتنى لزيارتهم فى هذا اليوم. وذهبت إلى القصر فوجدت عدداً من الفتيات الأخريات فى مثل سنى ولم أكن أعرف وقتها أن الملكة نازلى وشقيقات الملك الأميرات يبحثن عن عروس لفاروق.

وأمام حمام السباحة بقصر عابدين أخذنا نضحك ونمرح ونسبح سعيدات بالجو الملكى، وفجأة ظهر فاروق وصاحت الفتيات. . الملك وصل. . واتجهن حيث يقف فاروق إلا أنا وقفت فى مكانى، بل وابتعدت عن المكان الذى يقف فيه فاروق حيث وقفت وحدى بجوار والدتى. لكننى فوجئت بفاروق يترك جميع الفتيات ويتقدم إلى حيث تجلس والدتى وسألها عمن أكون؟! فقالت له إنها ابنتى صافيناز. ونظر إلىّ حيث أقف وحيانى بإيماءة من رأسه ثم انصرف. لقد كانت هذه اللحظة هى أول مرة أرى فيها فاروق ولم أكن أدرى أن القدر قد

اختارنى لأكون زوجة وسأصبح ملكة مصر، وقتها كان سنى خمس عشرة سنة. . لقد كنت صغيرة فمازلت طالبة فى المدرسة ولم أكن أفكر فى الزواج. وهكذا كان اللقاء مع الحب!.

ويقول فاروق هاشم فى كتابه «فريدة ملكة مصر»: سألت الملكة فريدة ونحن نجلس فى هدوء: هل حقا كنت تحبين الملك فاروق؟!. ومتى ولد هذا الحب؟ وضحكت الملكة واحمر وجهها خجلا وقالت: فى سويسرا ولد حبنا أنا وفاروق. لقد تأكدت من حبى له وأحسست بحبه واهتمامه بل كان حبى يشمل كل من كان فى هذه الرحلة!.

وعلى ظهر الباخرة «فيكتورى أوف أنديا» والتى أطلقت عليها الملكة فريدة فيما بعد «زورق الحب» كانت رحلة الحب قبل التتويج إلى سويسرا. وفى يوم ٢٧ فبراير عام ١٩٣٧ غادر فاروق بصحبة أمه الملكة «نازلى» وحاشيته التى كانت تتكون من ٣٧ شخصا وبصحبته أيضا السيدة زينب ذو الفقار صديقة الملكة نازلى ووصفيتها فى الوقت نفسه وابنتها صافيناز ذو الفقار وحسين صبرى خال الملك وزوجته. ولقد استغرقت رحلة الحب والتثقيف أربعة أشهر حتى يوليو من عام ١٩٣٧.

وتواصل الملكة فريدة حديث الذكريات فتقول: وأنا وسط ذكريات الأحلام وبعد عودتنا من الرحلة الملكية إياها وبعد حفل تتويج الملك؛ فوجئنا بفاروق يحضر إلى قصرنا بالاسكندرية يطلب زواجى منه. ولقد كان والدى ينظر إلىّ على أننى مازلت طفلة. فقد كان

عمرى وقتها ستة عشر عاماً وفاروق أيضا كان عمره فى هذا الوقت ثمانية عشر عاماً. ولكن فاروق صمم على أن يتم الزواج بسرعة وأن ستة أشهر كافية للإعداد للزواج وليس عدة سنوات كما كان يرى ذلك أبى.

وبناء على ذلك انتقلنا من الاسكندرية إلى القاهرة ولم يكن لدينا مقر إقامة فى العاصمة لذلك دبر لنا الملك إقامة فى أحد قصور مصر الجديدة. وفى ٢٠ أغسطس عام ١٩٣٨ تم عقد قرانى على الملك فاروق بقصر القبة. لقد كان فاروق يومها محبوبا من جميع أفراد الشعب والجيش أيضا. ولم يكن يتصور أو يتخيل أحد وقتها أن هذا الجيش المصطف فى ميدان عابدين هو نفسه الجيش الذى أخرج الملك يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢.

لقد عشت الصورتين يوم أن شاهدت الشعب يرقص يوم تتويج فاروق ويوم زواجنا ورأيت نفس هذا الشعب وهو يرقص لخروج الملك .. وما أبعد الفارق بين المشهدين.

لقد حكت لنا الملكة السابقة البداية.. ولكن هل تقول لنا بعض ذكرياتها عن النهاية.. والنهاية التى نقصدها ليست نهاية فاروق وحكمه.. بل نهاية ملكة تخلى عنها زوجها والأسباب كثيرة ومتنوعة سوف نعرف بعضها الآن.. والبعض الآخر نحاول استنباطه من مجريات الأحداث.

تقول الملكة السابقة فريدة:

عند زواجى من فاروق أحسست أننى أسعد نساء العالم. . ملك شاب وسيم، وشعب يحب مليكه حتى إنه يطلق اسمه دائما مقرونا «بالملك المحبوب» وكانت فرحة الشعب به عظيمة.

وفى ١٧ نوفمبر عام ١٩٣٨ رزقنا الله بطفلة جميلة سميناها فريال وكنت فرحة بها، ولكن من كانوا حولى فى القصر حولوا الفرحة إلى دموع. لقد عرف الجميع أن نقطة الضعف فى فاروق هى النساء والفتيات. ومما زاد همى أن حملونى مسئولية عدم إنجاب «ولى العهد». وعقب كل ولادة كانت الملكة نازلى أم فاروق تقول لى أمام الأميرات والوصيفات بالقصر: أنا جبت للملك فؤاد ولى العهد. . لما نشوف إمتى حتجيبى لفاروق ولى العهد؟!. وكأنما الأمر بيدى ونسوا أن هذا الأمر بيد الله.

وماتت الفرحة فى قلبى وأحسست بالحزن يزحف على وجهى فقد كان كل الزوار يطالبوننى بولى العهد. لذلك أصبحت كل ولادة تشكل لى هماً كبيراً لا أستطيع أن أتحمله فكان ينتابنى إحساس قبل كل ولادة كأننى أصعد إلى حبل المشنقة. هذا الإحساس داهمنى أكثر عند ولادة ابنتى فوزية. لقد كان الجميع يتوقعون أن يكون القادم ولداً ليكون «ولى العهد». لكن شاء الله أن تكون بنتا. وقد ولدت فوزية فى ١٧ أبريل ١٩٤٠. أما فادية فقد رزقنى الله بها فى ١٥ ديسمبر عام ١٩٤٣. وكان آخر مارزقنى الله من أولاد.

وقبل أن ألد فادية كان كل ما بينى وبين فاروق قد انقطع وأصبحنا

زوجين اسماً فقط. . كما أصبحت يائسة من أن ألد ولى العهد، للدرجة التى جعلتنى أفكر فى التخلص من الحمل الأخير ولكن إيمانى بالله منعنى من تنفيذ هذا الأمر. لقد بدأت هوة الخلاف بينى وبين فاروق تتسع، لذلك أصبحت لا أراه إلا قليلا. كما أصبح لا يرانى إلا فى مناسبات عيد ميلاد البنات. لقد اكتشفت أن حياتى أصبحت بلا معنى وبلا هدف حين اكتشفت أن الملك فاروق بدأ يسهر فى الخارج وإذا ما حضر ليلا فلكى ينام فقط.

وبدأ كل منا يتجاهل الآخر لذلك ازدادت المسافات بيننا. فرحت أعتنى بتربية البنات. كما أصبح فاروق فى أغلب الوقت غائبا أو بمعنى آخر الزوج الحاضر اسما الغائب فعلاً. وقد انعكس هذا الوضع على نفسى وأصبحت حزينة فانقعطت عن الحياة الاجتماعية، كما أصبحت أكره التواجد بين أشخاص منافقين وكنت كثيرا ما أرفض مغادرة القصر. كما تحولت الحفلات والمقابلات إلى عبء ثقيل لم أعد أتحمله. فقد تحولت هذه الحفلات إلى مسرح وعروض لبيع الرذيلة والمتاجرة بالأعراض واصطياد الفريسة حتى الحفلات الخيرية التى تقام من أجل الخير كانت هى الأخرى بعيدة كل البعد عن أهدافها السامية. وأصبحت الصورة معكوسة. وأدركت كل سيدة وفتاة نقطة الضعف فى زوجى وهى النساء. كما كانت عقدته أيضا. وللتاريخ أقول إن زوجى الملك فاروق لم يحاول أن يقاوم العبث النسائى وغرامه للنساء. بل كان شغوفا بهذا العبث اللا أخلاقى. وتلك كانت مأساته.

وأمام حالة الفساد التى كان يعيشها الملك فاروق كان قرارى بالمصارحة بكل أبعادها وأنه لا مفر من التصريح له بكل تلك السخافات. وحاول الملك أن يهدئ من ذلك الموقف فأهدانى أرضا مساحتها ٢٠٠٠ فدان سميت باسم «تفتيش الفريدية» بمحافظة الشرقية لكى يضمن سكوتى. ثم حاول رشوتى مرة أخرى حين أهدانى (قصر الطاهرة» الكائن الآن فى منطقة الزيتون بالقاهرة، وقد سمي بذلك نسبة لى.. فقد أطلق الملك عليه هذا الاسم كما كتبه باسمى بعدما استولى عليه من ابن عمه الأمير محمد طاهر مقابل ٤٠ ألف جنيه!!.

ولكن بعد أن أصبحت الأمور شائعة والفضائح منشورة فى كل الجرائد العالمية والمحلية بدا لى أن سكوتى سيعتبر نوعا من الموافقة على سلوك الملك من أجل التاج. لقد تحملت ما لا تتحمله الجبال ولم أهرب من أول معركة.. بل عشت أحارب عن نفسى وعن زوجى وعن بناتى ضد هذا الفساد. ولكن عندما أدركت أن الفساد قد تغلب على الملك. كان تصميمى على الطلاق عن اقتناع كامل.

واختار الملك وقتا معينا لتنفيذ رغبتى هذه، توقيتا اعتقد أنه التوقيت الصحيح الذى يناسبه كى يلبى طلب الطلاق. لقد كان فاروق حريصا على أن يتم ويتزامن الطلاق فى نفس الوقت الذى تم فيه طلاق أخته الأميرة «فوزية» من شاه إيران، وذلك خوفا من رد الفعل لدى جماهير الشعب. وبالفعل تم طلاقى يوم ١٩ نوفمبر عام

١٩٤٨. وقد صدر بيان رسمى من الديوان الملكى بهذا الأمر مصحوبا بطلاق الأميرة فوزية من الشاه.

وانتقلت فريدة أو صافيناز ذو الفقار بعد الطلاق إلى منزل والدها. وفى هذه الأثناء حاول الملك فاروق أن يستصدر فتوى من الأزهر يحرم على فريدة ملكة مصر السابقة الزواج من بعده!!. كما حاول مرة أخرى استصدار فتوى جديدة تمتنع بموجبها الملكة عن رؤية بناتها بعد الطلاق!. والتاريخ يقول إن الشيخ المراغى كان هو البطل الذى رفض استصدار مثل هذه الفتاوى غير الإسلامية.

وقبل أن نترك حديث الملكة فريدة.. كان علينا أن نقدم بعض المعلومات الموثوقة عن أسرتها. ثم نعرج من بعدها إلى رواية أخرى نقلت إلينا بصدق هى قصة زواج الملك الشاب.

ولعل السبب الحقيقى وراء هذا التوقف المستمر أمام أحداث زواج الملك من «صافيناز ذو الفقار» هو نقل الإحساس التاريخى لما كان يدور خلف كواليس الحكم فى تلك الفترة باعتبار أن ما كان يدور خلف جدران القصور العالية هو الأرض الخصبة التى نبتت فوقها قصة ناهد رشاد الملكة التى فشلت فى الفوز بالملك الشاب رغم أن ظروفها وظروف حياتها المعيشية جعلتها فى لحظة من اللحظات مهيأة للفوز بهذا المنصب الرفيع وكما ستثبت ذلك الوقائع القادمة.

إن نسب الملكة فريدة وكما تقول الوثائق التاريخية يرجع إلى أصول تركية.. فقد قدم جدها الأكبر من تركيا وهو فى سن

السابعة. . وقد رباه الوالى محمد على باشا، وأدخله الجيش. . فظهرت قدراته خلال فتوحات إبراهيم باشا. . ثم تولى قيادة الجيش المصرى الذى تواجد فى تركيا أثناء الحرب الروسية التركية. وقد سمى منذ ذلك الوقت باسم «ذو الفقار». نسبة إلى سيفه. . ومن بعده انتقل ذلك اللقب إلى بقية أسرته وعائلته.

أما والدة فريدة فهى السيدة زينب ذو الفقار «كريمة سعيد باشا» الذى ترأس الوزارة المصرية أكثر من مرة واشترك لآخر مرة فى وزارة سعد زغلول.

ويؤكد عادل ثابت فى شهادته للتاريخ عند الحديث عن الملكة فريدة. أن إسراع الملكة نازلى الأم لإتمام هذا الزواج كان غرضه الأساسى سياسيا من الدرجة الأولى. .

يقول عادل ثابت فى روايته: كان من بين السياسيين الذين استعان بهم الملك الشاب فاروق هو على ماهر باشا الذى كان زعيما لحزب الملك فى عهد فؤاد للحصول على الكثير من تعليمه السياسى المبكر. . غير أنه قد برز عنصر سياسى آخر جديد بعد زواج الملك فاروق من صافيناز ذو الفقار، حيث اتجهت مجموعة أفضل ماتوصف به هو أنها من أسرة الملكة فريدة بزعامة خالها حسين سرى باشا لمنافسة على ماهر باعتبارها ممثلة لزمرة سياسية ملكية. ولما كان سرى باشا ليست لديه أى شعبية داخل الحياة السياسية فإنه مدين بصعوده إلى حد كبير إلى الروابط العائلية بملكة مصر الشابة فريدة.

وفى عام ١٩٣٦ أصبح معروفا أن فاروق يحب صافيناز «فافيت» ذو الفقار وكانت الملكة نازلى أم الملك قد تأكدت من ذلك. والملكة الأم كانت امرأة فى الأربعين من عمرها، وقد تحررت مؤخرا بوفاة الملك فؤاد، وهى تستعد لبدء أول أدوارها السياسية وتوجيه ابنها خلال شلالات المسرح السياسى المصرى.

وكانت أولى الخطوات على هذا الطريق هى أن تجعل فاروق الذى لايزال فى طور المراهقة نقيا يستقر ويتزوج فى أمان من فتاة مطيعة ومؤدبة! . فتاة من عامة الشعب كما كانت هى ذاتها. وكانت هناك كثيرات من أميرات الأسرة المالكة يتمنين الفوز بفاروق ولكن من المحتمل ألا يقبلن الخضوع لسلطان الملكة نازلى.

وكان هناك اعتبار آخر هو خلافة الملك. لذلك كلما أسرع الملك الشاب بإنجاب ابن كان ذلك أفضل. وكان ذلك بالفعل من الضرورى لمواجهة التهديد الكامن المتمثل فى مطالبة الأمير محمد على توفيق ولى العهد الذى بلغ السبعين من عمره بحقه فى وراثة العرش. وقد زاد تودده المستمر نحو السفارة البريطانية نشاطا مما كان يبرر مخاوف أنصار حق فاروق الشرعى. لذلك كانت صافيناز مناسبة إلى حد كاف لأداء كل هذه المهام. إنه فعلا كان زواجا سياسيا بالدرجة الأولى، بدأت مراسمه حين أعطت الملكة نازلى الضوء الأخضر. . وقد تم لها ذلك عن طريق «زينب» هانم والدة «صافيناز» والتى كانت إحدى وصيفات الملكة «نازلى».

. ويؤكد عادل ثابت فى نفس شهادته التى كتبها للتاريخ على أن هذا الزواج المبكر لفاروق كان وراءه أهداف سياسية بحتة. . ودليله فى ذلك أنه لم يكد يمر عام واحد على هذا الزواج حتى كانت صراعات فاروق قد بدأت خاصة داخل القصر بين زوجته الملكة «فريدة» وبين أمه الملكة «نازلى».

لقد كانت أم الملك فاروق امرأة طموحة وقوية الإرادة. . وقد اختارت الزوجة لابنها وأشرفت على هذا الزواج من الألف إلى الياء. ولكن سرعان ما أدركت الملكة الأم أن فريدة الشابة الجميلة لم تعد تلك البنت الصغيرة التى تسمع الكلام. . بل على العكس فإن فريدة اتجهت إلى أن تقوم بدور الملكة.

وهنا كانت تكمن أسس النزاع. ليس نزاع الحماة مع زوجة ابنها. . بل كان نزاعاً على عرش مصر حيث شعرت الملكة نازلى بقرب ضياعه من بين أقدامها. . وهى التى جلست فوقه لأكثر من سبعة عشر عاماً حتى رحيل زوجها الملك فؤاد. ولم يهدأ لها بال حتى وضعت نهاية لهذا النزاع ولصالحها بطبيعة الحال. . فقد استطاعت أن تختلق موقفا لم يحدث فى مصر من قبل على مدى تاريخ الملكية كله. . لقد كان الدستور المصرى لا يتضمن أى نص يتعلق بالوضع العام داخل الدولة بالنسبة للملكة الأم. وكان ينظر إليها باعتبارها ملكة سابقة!.

وبما كان للملكة الأم «نازلى» من قوة شخصية على الملك وأيضا

على الحكومة . . فقد تمكنت من تغيير بعض نصوص ذلك الدستور . وخاصة المادة التى تنص على وضع الملكة الأم. لقد تغيرت هذه المادة بحيث سجلت فيها نازلى لقب ملكة مصر الثانية «الملكة الأم» . . وبناء عليها احتفظت بكل الامتيازات الملكية .

والغريب أنها فى هذا الوضع الجديد قد تفوقت على زوجة ابنها التى تحولت بعد طلاقها إلى ملكة سابقة! . فى الوقت الذى ظلت فيه نازلى الملكة الأم فى ظل الدستور والشرعية .

* * *

وفى حقيقة الأمر . . لقد ذكرت لنا بعض الوثائق التاريخية مدى المعاناة التى لحقت بفريدة داخل القصر الملكى . . عرفنا بعضا منها . . ولسوف نعرف البعض الأكثر قيمة من خلال متابعة متأنية لحديثنا عن علاقة فاروق بناهد رشاد . .

والملكة فريدة لم تذكر لنا فى أوراقها الخاصة من صنوف هذه المعاناة إلا ما عانته من امرأتين . . الأولى كانت الأميرة شويكار مطلقة الملك فؤاد التى تخلص منها قبل توليه حكم مصر . . واستبدل بها الملكة نازلى التى أنجبت له ولى العهد.

لقد سعت الأميرة شويكار بعد موت الملك فؤاد أن تنتقم من الملك الراحل ومن زوجته نازلى . . فى شخص ابنهما الشاب الملك فاروق . . فخططت ودبرت وعملت على إفساده بكل ذكاء ودهاء .

أما المرأة الثانية. . فكانت ناهد رشاد التى ساقتها الأقدار كى تظهر فى حياة فاروق منذ حادث القصاصين.

وهناك نقطة فى غاية الأهمية رأينا التنويه عنها قبل مواصلة الحديث عن ملكة مصر غير الشرعية.

فرغم أن التاريخ المصرى الحديث قد سجل فى أوراقه العديدة أن ملكة مصر الثانية هى «ناريمان» ـ ولذلك كان علينا أن نحوم حول قصتها وقصة علاقتها مع الملك فاروق ـ ولكن ما حصلنا عليه من معلومات وأسرار حول علاقة فاروق بناهد رشاد واقترابها من موقع كرسى العرش . . يجعلنا. . نبدأ بها حديث الفقرة القادمة. . ثم نتبع ذلك بحديث آخر عن الملكة الشرعية الثانية لمصر وهى «ناريمان» مع أن الترتيب هنا سوف يكون معكوساً. وربما يؤيدنا فيه بعض المؤرخين من المهتمين بتاريخ مصر الحديث.

وإذا كانت الملكة فريدة ملكة مصر الرسمية الأولى وزوجة فاروق قد حكت لنا عن بعض أسرار حياة ناهد رشاد داخل القصر الملكى وما لاقته من منافستها على قلب وعقل فاروق. . فإن أحد السياسيين المصريين الذين عايشوا تلك الفترة واقترب كثيرا من أسرار القصر الملكى أكثر من اقتراب الملكة فريدة نفسها، سوف يحكى لنا عن المزيد من هذه الأسرار فكثيراً ما شاهد هذه الملكة غير المتوجة وكيف أحكمت سيطرتها على الملك فاروق من أجل تحقيق أمنيتها الكبرى فى الجلوس بجواره على عرش مصر.

ولكن وقبل الاستماع لتلك الكلمات التى سوف يتلوها علينا مرتضى المراغى من واقع ما سجله فى مذكراته علينا التوقف عند تلك الكلمات التى سجلتها ناهد رشاد هانم عن علاقتها بالملك فاروق فى أوراقها الخاصة . .

تقول ناهد رشاد عن هذه العلاقة:

كان الملك فاروق يعتبرنى أختا كبيرة له!! . وكان يمنحنى ثقته . . كما أننى ظللت وصيفة فى القصر الملكى سبع سنوات . . كنت خلالها على الدوام محل اطمئنانه . وكان يسمح لشقيقاته بالخروج معى وكانت معاملته لى معاملة الأخ للأخت! . وكثيراً ما كان يعرض علىّ مشاكله ويرويها لى، وكنت أتشاور معه فى حلول لها .

وكانت فى حياة الملك فاروق حادثتان جعلته لايثق بأحد غيرى! . الأولى طلاق الملكة فريدة، والثانية موضوع والدته وأخته فتحية . وقد لاحظت عقب هاتين الحادثتين أن فاروق لم يعد يثق فى أى إنسان، وكانت ثقته كلها قد وضعها فى شخصين غيرى هما : «محمد حسن» و «بوللى» . وكان يقول لى دائما إننى أثق فيهما لأنهما خدمى . وثقتى فى كليهما تفوق ثقتى فى كثير من الباشوات . وهما يخلصان لى لأنهما من الخدم الذين لا طموح لهم ولا غرض .

وحين تحدثت عن بداية دخولها السراى كوصيفة قالت فى نفس هذه الأوراق:

إن جدتى كانت وصيفة عند السلطانة «ملك» ووالدتى كانت

وصيفة عند إحدى الأميرات. ولما بلغت ٢٢ سنة تزوجت الدكتور يوسف رشاد وسافرنا سويا إلى العريش حيث مقر عمله هناك.

وفي حادث القصاصين كان الدكتور يوسف أحد الذين تولوا علاج الملك فاروق. وقد أعجب الملك فارورق به وكان يستريح إليه. فلما شفى من إصابته أمر بنقل يوسف إلى القصر. وكان زوجى يوسف حريصاً على ألا أظهر في السراى حتى أكون بعيدة عن محيط عمله داخل القصر الملكى غير أنه تصادف أنى كنت أنا ويوسف مدعوين لإحدى ولائم القصر فرآنى الملك فاروق واقترح على زوجى تعيينى وصيفة للملكة.

لقد كان ذلك في الوقت الذى خرجت فيه الملكة فريدة من السراى فتظاهرنا أول الأمر بأننا لم نلتفت إلى هذه الرغبة حتى لا أشغل نفسى بغير شئون المنزل. غير أن الملك فاروق كرر رغبته أكثر من مرة مما اضطرنا إلى الرضوخ للرغبة والتحقت بالعمل كوصيفة للقصر.

إلى هنا انتهت رواية ناهد رشاد عن علاقتها بالملك فاروق رغم أنها لم تقل لنا كيف سعت لتحقيق حلمها في أن تكون ملكة بدلاً من الملكة السابقة فريدة. ولكن حين نواصل قراءة ما كتبته ناهد رشاد في أوراقها الخاصة عن مكانتها في السراى الملكى في غياب الملكة التى طلقها فاروق، وأصبح من بعدها ولمدة ثلاث سنوات ملكاً أعزب. نعرف هل صحيح كانت مجرد وصيفة كما ذكرت أم كانت ملكة غير شرعية..؟!

تقول ناهد رشاد عن علاقاتها بحاشية الملك:

أنا مثلا لا أعرف أحدا من الوزراء أو المسئولين قال للملك لا يجوز لك أن تذهب الأوبرج، بل إننى أعرف أن كثيرين منهم كانوا يتمنون لو دعاهم الملك إلى الأوبرج! وكنت أعرف أن الملك فاروق يعجب بالنقراشي باشا وكان يحترمه لأنه كان رجلا نزيها. كما كان يعجب بشجاعة أحمد ماهر. ولذلك عندما قتل النقراشى وقتل من قبله أحمد ماهر حزن الملك. ولم أره حزينا كما رأيته فى هذه المناسبات. وكان يقدر الشيخ المراغى وكان لا يستريح للأستاذ سليمان حافظ. وكان يقول لى دائما إن المعلومات التى لديه تشير إلى أن سليمان حافظ شيوعى.

أيضا لم يكن يستريح لأحمد حسنين وكان يضايقه لأنه علم أنه ـوج الملكة نازلى. ولم يكن يستريح لأحمد عبود فى أواخر أيامه ـما كان لا يرتاح لعلى ماهر. أما الحاشية التى كانت حول فاروق فقد كانت لا قيمة لها فى رأيى، ولا تستحق أن أقول رأيى فيها. ولكننى كنت أرى الملك فاروق يحب هؤلاء الناس لأنهم عاشروه من صغره وكان يحب «بوللى» حبا جماً!. أما كريم ثابت فقد كان الملك يحبه فى أول الأمر ثم اختلف معه وغضب عليه.

وحين نستمع إلى المزيد مما رواه مرتضى المراغى عن موقع ناهد رشاد فى حياة فاروق سوف نتيقن جيداً من أنها كانت وعلى حد قول الملكة فريدة.. «ملكة غير متوجة أو ملكة غير شرعية». وحتى لا

نسبق الأحداث بإصدار الأحكام قبل التروى والانتظار لسماع المزيدعن الظروف التى أحاطت بحياة ناهد يوسف رشاد.. أو الملكة ناهد. علينا أن نستجيب لنداء مرتضى المراغى بضرورة الانتظار حتى الانتهاء من روايته التى سجلها للتاريخ فى أوراقه الخاصة والتى ذكر فيها: إن انتمائى الأول والأخير هو إلى مصر التى أرى من حق أبنائها أن يعرفوا تاريخ بلادهم من مختلف الزوايا والاتجاهات. وإذا كان القدر قد حتم علىّ أن أتحدث عن بعض النساء.. فليس ذلك بقصد التشهير أو الشهرة.. بل يعلم الله أننى ما كنت أود أن أتحدث عن مثل هذه الموضوعات. ولكن بالنسبة لبعض الشخصيات.. لا يمكن إطلاقا الهروب من الحديث عنها. وقد كان لها ما كان من تأثير على شخصية فاروق وعلى تاريخ مصر.. وبالتالى إن إحدى الشخصيات التى لعبت دورا مؤثرا وخطيرا فى تاريخ مصر هى ناهد رشاد.

فبعد طلاق فاروق لزوجته فريدة.. أصبحت ناهد رشاد وصيفة فى القصر بلا ملكة.. لقد دخلت رسميا مقاصير الحريم الملكى وصارت أحب الشخصيات إلى الملك لجمالها وأنوثتها وذكائها وجرأتها.

لقد انجذب إليها الملك بكل كيانه.. ووقع فى غرامها.. وتحت تأثير أنوثتها الطاغية كان كثيرا ما يصحبها إلى رحلات الصيد فى مصر.. وإلى «الكوت دازور» فى فرنسا وكابرى فى إيطاليا وقبرص ورودوس على يخته الصغير «فخر البحار». وقد طلب منها أن تسافر معه بغير زوجها.. ولكنها أبت ذلك ونصحته ألا يفعل حتى لاينكشف الأمر وتصبح العلاقة بينهما مثار الأحاديث والشائعات.

ولكن الأمر كان مكشوفاً بعد أن صارت صحبتها رغم وجود زوجها للملك غير منطقية. وكانت فى مصر تصاحب الملك إلى نادى السيارات وتظل جانبه وهو يلعب الميسر حتى مطلع الفجر والزوج المسكين كان يذهب إلى إحدى الصالونات ويتوسد كنبة ينام عليها حتى يوقظه أحد خدم النادى منبهاً إلى أن الملك بدأ فى الانصراف. ليس هذا فقط بل كانت تدعى مع الملك فاروق فى جميع الدعوات الخاصة التى توجه إليه من أصدقائه الأثرياء. وكان هؤلاء الأثرياء يقدمون إليها الهدايا النفيسة.

لقد أحبها الملك كما لم يحب امرأة أخرى!!. وأصبحت ذات تأثير بالغ عليه خصوصاً بعد أن اقتنع بأنها الشخص الوحيد الذى يقول له الحقيقة وأنها لا تكذب عليه. لكن الحقيقة لم تكن صادقة ولم تكن كذلك كاذبة.

لقد كانت حريصة فى بعض المواقف وجريئة فى بعضها الآخر. وفى جميعها كانت تعرف كيف تختارها. ولقد جر على الملك هذا الاقتناع بصدقها وإخلاصها وبالاً كبيراً. وكانت ناهد أحد العوامل التى حجبت عن الملك الثورة التى أطاحت بعرشه.

ليس هذا فقط. بل اختار لها الملك فاروق مسكنا فاخرا فى حى الأثرياء بدلا من شقتها المتواضعة التى كانت تقيم فيها فى حى حدائق القبة. كما دخل منزلها الجديد أثاث فاخر خليط بين صالون من طراز لويس الرابع عشر إلى قاعة طعام من طراز إنجليزى قديم، إلى غرفة للنوم كل ما فيها وردى اللون.

وبعد هذا الانتقال إلى حياة الأثرياء تحت سمع وبصر الملك هيأت ناهدرِ رشاد نفسها لكسب المزيد من الأرض التى تقربها إلى عرش مصر. . فقد رن جرس التليفون فى منزلها الجديد ذات ليلة. وكان المتحدث هو الملك فاروق نفسه الذى اعتذر لها عن عدم تمكنه من مصاحبتها هذه الليلة لأنه مشغول وكان بجوار الملك سيدة أخرى كانت تعرفها ناهد رشاد وهى الأميرة فاطمة طوسون. لذلك كاد التليفون أن يسقط من يدى ناهد. . فقد تصورت أن فاطمة. . تلك الفتاة الجميلة ستحل محلها فى قلب الملك وعندئذ ربما يضيع من بين أقدامها الطريق إلى العرش.

وفى الصباح التالى لنفس اليوم. . توجهت إلى القصر لتؤدى وظيفتها الخيالية حيث كانت وصيفة بلا ملكة!. وكان الصباح أشد كآبة من الليل. إذ أن الملك لم يستدعها إلى جناحه كعادته. وعادت إلى منزلها مرة أخرى. ثم مضت ثلاثة أيام لا ترى الملك. لذلك لم تنقطع فيهم ناهد رشاد عن التدخين وشرب الخمر. وفى المساء التالى للأيام الثلاثة دق جرس التليفون كما هى العادة فى غرفة نومها، وسمعت صوت الملك فاروق حيث طلب منها التوجه إلى جناحه فى الصباح.

ولما جاء الصباح أكملت زينتها وارتدت الثوب الذى يروقه ودخلت عليه. فلم تجد أن شوقه إليها قد فتر. بل قبلها بحرارة وداعبها وأثنى على جمالها وجمال ثوبها. إلا أنها وضعت أصبعها بدلال على شفة الملك فاروق تداعبه: مبروك يامولاى؟!. مبروك على خطوبة

الملك لفاطمة. فصرخ الملك فى وجهها مؤكداً أنه لم يخطر على باله أن يتزوج من فاطمة طوسون إنها مجرد صداقة.

قالت فى دلال: إنى أعرف نوع الصداقة التى تمارسها يامولاى..

ضحك الملك وأخبرها بأنها الليلة غيورة.. ومن ثم طمأنها فلن يتزوج فاطمة. فانطلقت ناهد بفرح تقول لفاروق ولكن يامولاى يجب أن تتزوج. إن العرش لا يكون كرسيا واحدا وأنت لم تنجب ذكراً ليكون وليا للعهد.

فقال لها الملك: إننى بالفعل أريد أن أتزوج.

سألت ناهد: ومن تلك السعيدة يامولاى؟!

قال الملك وهو ينظر إليها بدهاء: المشكلة أن التى أريد أن أتزوجها سيدة متزوجة!.

قالت رداً عليه فى دلال أكثر: وهل بين جميع نساء مصر لا تجد إلا سيدة متزوجة لتكون بجوارك ملكة!؟

قال الملك فاروق: لأنى أحبها، ولأنها بذكائها وجمالها تصلح أن تكون ملكة.

قالت: وماذا ستصنع بزوجها؟!

قال: حين أعتزم سأطلب منه أن يطلقها!!.

ولم تترك هذه الفرصة كيما تتأكد بنفسها من تلك السيدة التى

ستكون ملكة مصر . . ربما تكون امرأة غيرها. لذلك طلبت من الملك في هذه الليلة أن يقول لها من هذه السيدة؟!

فقال فاروق: إنها أنت ياناهد.

وكانت لحظة لم تصدقها ناهد رشاد. . حيث كادت أن تسقط مغشياً عليها فقد أصبحت هذه الليلة ملكة مصر. . ولم يتبق سوى الإعلان الرسمى عن هذا الزواج. . إذن المسألة أصبحت واضحة، وحلمها بات على أبواب التحقيق والواقع. يومها خرجت ناهد من جناح فاروق كى تعد نفسها لهذه المهمة. . فهى ملكة مصر المقبلة.

ومضى عام كامل على هذه الواقعة حين استدعاها الملك من منزلها على عجل فى يوم مطير. . لقد تصورت أن الموعد قد حان. . ومن المؤكد أن الأمر العاجل الذى دعى الملك إلى استدعائها فى مثل هذا الجو المطير. . هو أن يخبرها بأن غدا سوف يعلن زواجه منها كى تصبح ملكة مصر الثانية!.

فى تلك الليلة تزينت كما لم تتزين من قبل. إن يومها المرتقب قد جاء. من المؤكد سيزف الملك إليها نبأ خطبته لها. ولم تفكر فى ذلك الزوج المسكين الذى ينتظره مستقبل غامض فى ظل إرادة الملك التى لا يستطيع هو أو غيره أن يردها بالرفض. ولكنها أحست بالراحة حين صور لها خيالها أن زوجها الدكتور يوسف سوف يفرح بالوظيفة الكبيرة التى سوف ينعم بها الملك عليه نظير موافقته على طلاقها.

وصلت ناهد هانم إلى قصر عابدين ودخلت إلى الجناح الملكى.

وعندما جلست بجوار الملك فاروق دس يده فى جيبه وأخرج مظروفا أبيض به صورة لفتاة صغيرة وجميلة. وعندما سألته عمن تكون هذه الفتاة. أخبرها فى برود بأنها زوجته المقبلة!!!.

ولم تصدق ناهد رشاد ما سمعته هذه الليلة من الملك فاروق. فقد ضاع حلم حياتها وابتعدت آلاف الكيلو مترات عن عرش مصر.. خاصة حين أخبرها الملك أنه قد طلب منها الحضور هنا هذه الليلة كى تساعد خطيبته الجديدة فى أشياء كثيرة!. إنها طالبة فى أولى مراحل التعليم الثانوى ولم تدخل الحياة العملية بعد.

واختتم الملك حواره مع ناهد رشاد بهذه العبارة التى قضت على كل ما تبقى من أحلامها: «لقد كنت وصيفة بلا ملكة.. والآن أصبحت وصيفة ملكة.. إنها ملكة مصر القادمة.. ناريمان!.. ناريمان صادق».

لقد عادت ناهد إلى منزلها وحاولت أن تهرب من واقعها المؤلم فأقبلت على شرب الخمر.. وظلت كذلك حتى عاد زوجها من الخارج فحكت له ما كان من أمر الملك معها. فقد خدعها.. ولابد وأن تنتقم منه. وخير وسيلة لهذا الانتقام ألا تهرب من القصر الملكى.. بل بالعكس قررت قبول وظيفتها الجديدة كوصيفة للملكة القادمة «ناريمان» لأنها لو تركت القصر فلن تستطيع أن تنفذ خطة الانتقام.

إن الذى يريد أن يخرب على حد قول مرتضى المراغى يجب أن

يكون التخريب من الداخل لا من الخارج. وكانت هذه خطة انتقام العقل.

ومن أجل أن تفوز بهذا الانتقام كما يجب أن يكون لجأت ناهد رشاد إلى زعيم الحرس الحديدى للتخلص من فاروق والتحريض على قتله.. من ناحية أخرى ظلت تحتفظ بأسرار ثورة يوليو وضباط الجيش الأحرار دون أن تبلغ الملك بما كانت تعرفه من معلومات عن هؤلاء الضباط الذين خططوا لعزله من عرش مصر.

* * *

ولعلنا نتوقف عند هذا الحد من الحديث عن تلك الملكة التى فشلت فى الفوز باللقب والمنصب. بعدما نجحت فى الفوز بقلب الملك وعقله. على أن نواصل مرة أخرى كى نفصح أكثر عن تفاصيل خطة الانتقام التى تفرعت إلى طريقين. الأول كان الحرس الحديدى.. الذى كونه الملك فاروق لحمايته.. واختار لرئاسته فى بداية تكوينه الطبيب يوسف رشاد وزوجته ناهد هانم التى رأت فى أعضاء هذا الحرس الحديدى وخاصة فى الضابط مصطفى كمال صدقى أبرز هؤلاء الأعضاء خير وسيلة لتحقيق أولى نقاط خطة الانتقام.

أما الطريق الثاني.. فهو التقرب إلى ضباط الجيش الذين بدأوا حركة تذمر كبيرة وواسعة ضد الملك منذ حرب عام ١٩٤٨ وتورطه فى أزمة الأسلحة الفاسدة. وكان سبيلها إلى ذلك هو الضابط أنور

السادات الذى كان حلقة الاتصال الرئيسية والذى علمت منه بتفاصيل تحركات الضباط الأحرار وبالتالى تفاصيل ثورة يوليو. ورغم ذلك لم تبلغ الملك عن هذه التحركات.. أملاً فى تنفيذ البند الثانى من خطتها الطموحة بالانتقام من الملك فاروق.

ورغم أن هذا الانتقام لم يصور لها إمكانية أن يرحل الملك عن مصر.. ويتولى بدلا منه ابنه عرش مصر. لقد كانت تظن ذلك ولكن الأحداث لم تسعفها فرحل الملك عن مصر إيذاناً بانتهاء عصر بأكمله استمر لأكثر من مائة وأربعين عاماً.. ولم يتول ابنه بدلاً منه.. بل رحلت الملكية وأختفت من تاريخ مصر منذ عام ١٩٥٢.

* * *

ويقى لنا أن نعرف بقية مسيرة التاريخ الملكى المصرى الحديث.. هى فى واقع الأمر استكمال لتاريخ أسرة محمد على التى بدأت منذ عام ١٨٠٥.. ولا يكتمل هذا التاريخ إلا بالحديث عن الزوجة الشرعية الثانية للملك فاروق. بعدما تحدثنا عن الزوجة غير الشرعية.

لقد اعتلت ناريمان صادق عرش مصر بجوار فاروق كى تسجل لها أوراق التاريخ موقعها على خريطة الأحداث السياسية.. إذ شهدت رحيل آخر ملوك أسرة محمد على.. بل ورحلت مع هذا التاريخ تحمل بين يديها ولى عهد طالما تمنى فاروق أن يراه بدلا منه جالساً فوق عرش مصر كى يواصل مسيرة هذه الملكية، ولكن مسيرة هذا التاريخ بالنسبة للملكية المصرية قد توقفت عند يوم ٢٦ يوليو عام ١٩٥٢.

وبجلوس ناريمان على عرش مصر فى مايو عام ١٩٥١ فإنها قد وضعت نهاية لآمال وطموحات ملكة أخرى سبقتها فى العلاقة مع فاروق. . إلا أن الحظ لم يسعفها كى تكمل مشوار الجلوس فوق العرش بجوار الملك. وبالتالى. . فقد كانت سبباً غير مباشر فى الإسراع بسقوط تلك الملكية فى قاع التاريخ المصرى.

والغريب فى حكاية الملكة ناريمان مع الملك فاروق أنها قد بدأت بنوع من الضغط وعدم القبول. . وربما يكون السبب فى إقدام الملك على مثل هذا الفعل الذى اتسم بالخطف والسطو. . هو رغبته المدفونة فى صدره للانتقام من ناهد رشاد التى صرح لها قبل هذا الزواج بعام كامل. . أنها ملكة مصر القادمة. هذا الانتقام الذى ظل يراود الملك كان دافعه فى رأينا هو أن ناهد رشاد كانت امرأة متزوجة من أحد رجال الحاشية. ولم يكن الأمر من السهولة بحيث يقدم الملك فاروق على إرغام يوسف رشاد كى يطلق امرأته كى تجلس بجواره على العرش، وإلا لأصبح أضحوكة الشعب والجيش على السواء. وهو الرجل الذى كان يمر بأزمة نفسية مع الجماهير التى كرهت فيه خضوعه لحاشية السوء وفساده الذي بات يزكم كل الأنوف حتى التى لم تكن تشم!.

لقد لعبت الأقدار دورا غريبا ومثيرا مع الملكة ناريمان. وهذه الأقدار كما أكدت بنفسها قد ظلمتها إلى أقصى درجات الظلم حين أُجبرت على الزواج من فاروق الذى كان فى ذلك الوقت النموذج

الصارخ للفساد، والشعب المصرى كله كان يغلى من أعماقه من سوء تصرفات هذا الملك وفضائحه فى الداخل والخارج[3]

وحينما طلب الملك فاروق «ناريمان» لتكون زوجة له كانت فى ذلك الوقت مخطوبة للدكتور زكى هاشم. وكانت الأسرة على أهبة الاستعداد لعقد القران والزفاف. بل إن بطاقات الدعوة للحفل المرتقب والمحدد موعده مسبقا كانت قد وزعت. إلا أنه وبناء على الأوامر الملكية ألغى كل شئ استعدادا للزواج الجديد بين الملك فاروق وبين ناريمان صادق. هذا الزواج الذى رفضه بشدة والدها حسين صادق وبإصرار. . ولعل هذا الرفض كان السبب فى إصابته بأزمة قلبية حادة أدت إلى وفاته. وقد ذهب فاروق يومها للعزاء والمواساة فى منزل ناريمان. ثم تبادل معها رسائل الحب والغرام!.

ويقول التاريخ القريب جداً من حياتنا المصرية الحديثة أن الذى لعب الدور الرئيسى فى قصة هذا الزواج هو الجواهرجى المشهور «أحمد نجيب» الذى نجح فى التأثير على أسرة العروس كى تقبل الملك فاروق زوجا لناريمان بدلا من خطيبها!.

وبعد وفاة والد «ناريمان» حزنا على زواج ابنته من الملك فاروق تولى عمها مصطفى صادق أمر هذا الزواج لذلك قرر الملك اصطحابه فى رحلته إلى أوروبا مع ناريمان ووالدتها «أصيلة هانم» والغريب فى

(٣) ناريمان آخر ملكات مصر ـ سمير فراج.

الأمر أن الملك فاروق قد اختار لناريمان خلال هذه المرحلة اسما «مستعارا» هو «سعاد صادق». وكانت هذه الرحلة لتدريب ناريمان على أصول وقواعد البروتوكول.

وبعد انتهاء الرحلة التى لم تكتمل.. وصلت ناريمان وأسرتها إلى القاهرة.. ومرت الأيام وإذا بالمفاجأة الكبرى يعلنها الملك فاروق فى نشرة الأخبار من راديو القاهرة.. «خطوبة الملك لناريمان حسين صادق».

وبعد إذاعة نبأ الخطوبة بدأ الملك يعد نفسه لإتمام الزواج. وبالفعل يوم ٦ مايو عام ١٩٥١ تم زفاف فاروق على الآنسة ناريمان كى تصبح ملكة مصر الثانية وبشكل شرعى.

وقد قام الملك وزوجته برحلة شهر العسل لمدة ١٣ أسبوعاً ظهرت خلالها أعراض الحمل على الملكة.. حدث ذلك أثناء إقامتهما فى مدينة «كان» بفرنسا. والغريب أن ناهد هانم رشاد كانت تصاحب الملك فاروق فى هذه الرحلة.. ليست كملكة كما كانت تحلم.. بل كوصيفة للملكة الجديدة «ناريمان»!!.

وبعد رجوع الملك والملكة من فرنسا وبصحبتهما الوصيفة ناهد رشاد وضعت ناريمان طفلها الأول والأخير من الملك فاروق. وكان ولى عهده هو الأمير أحمد فؤاد الذى لايزال يعيش خارج مصر حتى كتابة هذه السطور.

لقد شاركت.ناريمان الملك فاروق فى حكم مصر لمدة ثلاثة عشر

شهرا وعدة أيام.. فقد ظلت بجواره حتى يوم الرحيل الأخير فى ٢٦ يوليو عام ١٩٥٢ حاملة معها طفلها الرضيع إلى طريق مجهول فوق باخرة ملكية من طراز فريد كانت تسمى «المحروسة».. ثم تغير اسمها إلى «الحرية»!

وفى ٦ أكتوبر من عام ١٩٥٢.. وبعد رحيلها مع الملك وولى عهده طلبت الملكة ناريمان صادق الطلاق من الملك فاروق.. ولكنها لم تحصل عليه إلا فى فبراير عام ١٩٥٤، بعد ما تنازلت عن حضانة ابنها أحمد فؤاد. ثم تزوجت بعد شهور من الدكتور أدهم النقيب ابن أحد الأطباء المعالجين للملك فاروق فى حادث القصاصين. وقد أنجبت منه ابنها الثانى أكرم الذى يعتبر الأخ الثانى للأمير أحمد فؤاد ولكن من أب آخر غير والده الملك فاروق. والآن تعيش الملكة السابقة مع زوجها الثالث الدكتور إسماعيل فهمى وهو لواء طبيب بإدارة الخدمات الطبية بالقوات المسلحة(٤).

(٤) ناريمان آخر ملكات مصر ـ مصدر سابق.

الفصل الرابع

الحرس الحديدى
الذى تحول إلى طريق
للانتقام

لو أن الملك فاروق كان يعلم أن هؤلاء الضباط الذين استعان بهم لتنفيذ أغراضه فى التخلص من خصومه.. سوف ينقبلون عليه، ويصبح هو غرضاً وهدفاً لأسلحتهم بدلا من هؤلاء الخصوم لما أقدم على مثل هذه الخطوة. ولكن يبدو أن كل أفعال الملك السابق قد اتسمت بالصبيانية وعدم التدقيق حتى فى علاقاته النسائية وغرامياته المتعددة والمتنوعة..

ما علينا.. المهم أن الملك فاروق حين أعطى لطبيبه الخاص يوسف رشاد وزوجته الشابة الجميلة الضوء الأخضر من أجل تكوين جماعة مسلحة تعمل لحسابه الخاص - وهى الجماعة التى أطلق عليها «الحرس الحديدى» - لم يكن يعرف أن هذه السيدة الجميلة زوجة طبيبه الخاص. «ناهد هانم رشاد» سوف تستخدم نفس سلاح أنوثتها بعد ما فشلت فى الفوز بمنصب الملكة من أجل أن تتخلص من الملك نفسه.

لقد لجأت ناهد رشاد إلى زعيم هذه المجموعة وهو الضابط

مصطفى كمال صدقى الذى وقع فى غرامها حين تعرفت عليه لأول مرة فى بيتها عام ١٩٤٣.. من أجل أن ينفذ أولى بنود خطتها للانتقام من الملك فاروق الذى غدر بها وتخلى عنها، بل وأبعدها عن عرش مصر بعدما أعطاها كلمة اتفاق فى لحظة غرام وانسجام!. هذا الضابط كان على استعداد لينفذ أوامر الملكة غير المتوجة بسبب حبه الشديد لتلك السيدة.. وكرهه الأشد للملك فاروق!.

وقبل أن نستغرق فى سرد حكاية الحرس الحديدى.. ذلك السلاح الذى أراد به فاروق التخلص من خصومه.. والذى أنقلب عليه وبالاً ونقمة حين تحول إلى سيف مسلط فوق رقبته.. لابد لنا من أن نعرف من هو مصطفى كمال صدقى. ذلك الضابط الذى أرادت ناهد رشاد استخدامه لتنفيذ أغراضها فى الانتقام من الملك فاروق عقابا له على التغرير بها. كما كان علينا أيضا أن نعرف كيف نشأت العلاقة بينهما حتى وصلت إلى هذا الحد؟.

لقد التحق مصطفى كمال صدقى بالجيش المصرى بعد تخرجه من مدرسة الحربية والتحق بأحد الألوية المرابطة بالصحراء.. وكان يتمنى فى هذه الفترة أن ينتقل إلى القاهرة. ولولا ارتباطه بمجموعة الحرس الحديدى التى كونها الطبيب يوسف رشاد لما تحقق له ما أراد.

وحين تم اختياره ضمن هذه المجموعة طلب الملك فاروق تقارير أمنية عنه مع بقية الزملاء.. ولسوف نلاحظ أن الملك فاروق قد أبدى اعتراضه على وجود مصطفى صدقى فى مجموعة الحرس

الحديدى لعدة أسباب ذكرها فاروق ليوسف رشاد حين قابله كى يعرض عليه أسماء هؤلاء الضباط الذين تعرف عليهم ووافقوا على الالتحاق بالعمل تحت رئاسته لحماية الملك شخصيا.

لقد ذكر الملك ليوسف رشاد وزوجته ناهد أنه طلب إجراء تحريات عن هؤلاء الضباط أسفرت عن أنه لا غبار على خمسة منهم.. أما مصطفى فقد تبين أنه يعتنق المذهب «التروتسكى» الذى كان يرى أن ستالين يخون المذهب الشيوعى. كما أنه عضو بارز فى جماعة «التروتسكيين» فى مصر. وهو يشرب الخمر بشراهة ويدمن تعاطى الحشيش.

ويقول سيد جاد أحد رجال الحرس الحديدى وزميل مصطفى كمال صدقى رئيس هذه المجموعة: حين تعرفت على الضابط مصطفى كمال صدقى رأيت فيه شخصية غريبة الأطوار.. مازالت تحيرنى. فهو يصلح ليكون ممثلا سينمائياً أكثر منه ضابطا مغامراً. وقد سيطرت على عقله فكرة أنه رجل التاريخ وكان يتصور أنه معبود النساء فامتلأ غرورا على الضباط إلى حد الانفجار مما دفع أحد زملاء المجموعة إلى إطلاق الرصاص عليه فأصابه فى ساقه[1].

أما أوراقه الخاصة فتقول: إن اسمه بالكامل يدعى مصطفى كمال صدقى تخرج من الكلية الحربية والتحق بسلاح الفرسان الملكى بعدما

(١) الحرس الحديدى ـ كيف كان الملك فاروق يتخلص من خصومه ـ سيد جاد.

وافق على الانضمام لمجموعة يوسف رشاد.. ثم التحق ضابطا لمخابرات فرقة الكوماندوز المصرية في حرب عام ١٩٤٨.

أما ناهد رشاد فتحدثنا عن صديقها الثانى «مصطفى كمال صدقى» من واقع أوراقها الخاصة فتقول: إننى أعرف مصطفى كمال صدقى من الصغر وكان جاراً لنا فى حلوان قبل زواجى. وكانت علاقاته العائلية وطيدة بعائلتنا.

وفى وقت من الأوقات كان لمصطفى كمال صدقى ابنة خالة تعيش معه ومع والدته فى منزله. وكانت ابنة خالته يتيمة كما كانت والدته شديدة الرغبة فى تزويجها له على غير إرادته فحضر لى كى أقنع والدته بالعدول عن فكرتها بهذا الزواج. غير أن والدته أصرت على زواجه من ابنة خالته. وبناء على هذه الرغبة استطعت أن أقنعه بالزواج منها إرضاء لوالدته. وفعلاً تم الزواج، وكان من الواضح احتمال فشله.

وفعلا لم يدم زواجه هذا أكثر من ثلاثة أشهر كانت كلها نفور وخلافات زوجية انتهت بالطلاق. ولقد قيل وقتئذ إن مصطفى طلق زوجته من أجلى.

وبعد الطلاق كان يحس بالضيق والألم والوحدة فكان يتردد علينا أنا وزوجى كى نخفف عنه هذه الصدمة.

* * *

أما فى عام ١٩٥٤ وأثناء التحقيق مع ناهد رشاد بعد رحيل الملك وقيام الثورة ذكر ممثل النيابة أن يوسف رشاد اتصل بمصطفى كمال صدقى وبعض الضباط وكانوا مجتمعين فى منزله. وكانت ناهد تجتمع بهم. ومن هنا نشأت العلاقة بين ناهد وبين مصطفى.. ويضيف ممثل النيابة بقوله: إن ناهد رشاد ذكرت فى ذات التحقيق إنها ومصطفى صدقى كانا قد اتفقا على الزواج.. والذى يقطع بهذه العلاقة هى المراقبة التليفونية التى أمرت الحكومة بوضعها على اتصالات ناهد رشاد.. خاصة بعد الفترة التى أعقبت زواج فاروق من ناريمان.

ولقد تبين لرجال السراى فيما بعد من خلال هذه المراقبة أن مصطفى صدقى كان يتحدث مع ناهد رشاد يوميا فى التليفون.. ويسمى فاروق فى كل محادثاته بلقب «البغل»!. وكان هؤلاء الرجال كثيرا ما يسارعون إلى نقل هذا الوصف للملك شخصيا. من هنا بدأ فاروق ورجاله يفكرون جيداً فى التخلص من مصطفى صدقى.. وقد كان الرجل الأول فى تنظيم الحرس الحديدى الذى كان يقسم على الولاء للملك ويحافظ عليه ويحميه. ولكنها المرأة التى غيرت من مفاهيمه.. وحولته بأنوثتها إلى دمية تحركها كما تشاء!.

لقد سارعت ناهد رشاد بالاتصال بصديقها الجديد مصطفى كى تحذره من تهديد الملك فاروق.. هذا التهديد الذى وصلها من مصادرها الخاصة داخل القصر الملكى.

ليس هذا فقط.. بل فكرت ناهد جيداً فى ضرورة الإسراع باستخدام مصطفى صدقى من أجل تنفيذ أول بنود خطتها. وقبل أن يفوز الملك برأسه.. لذلك لم تمانع فى أن تعطيه حبها وحياتها بعدما أخرجت هذا الحب وهذه الحياة من وراء جدران القصر فهو ذلك الرجل الذى سوف يخلصها من فاروق.

وقبل أن نعيش فى قلب ذلك النزاع الذى نشب بين الملك فاروق وبين الضابط مصطفى صدقى الذى كان حتى سنوات قريبة من رجال الملك وحرسه الحديدى.. نود التوقف ولو للحظات كى نقرأ معاً ما جاء من كلمات ذكرها مرتضى المراغى فى أوراقه الخاصة. وكيف حدثنا بالتفصيل عن تلك العلاقة الغرامية التى انتعشت وازدهرت على غير العادة بين ذلك الضابط وبين ناهد هانم خاصة فى الفترة التى أعقبت زواج فاروق من ناريمان.

يقول مرتضى المراغى: كان من بين التقارير التى كانت تعرض علينا أثناء عملى وزيرا للداخلية نصوص الأحاديث المسجلة بين لضابط مصطفى عضو الحرس الحديدى البارز. وسيدة القصر «السيدة نهى».. وهو بالطبع ليس اسمها الحقيقى.. ولكننى - والكلام لايزال لمرتضى المراغى - قصدت بعدم الإشارة إلى الاسم الحقيقى ألا يفهم البعض أن الهدف من ذكرها هو التشهير لا سرد وقائع التاريخ التى أصبحت ملكاً خالصاً لمصر. ومن حق كل مصرى أن يعرفها.

كانت حكومة الوفد قد وضعت تليفون اليوزباشي مصطفى تحت المراقبة وصارت تقارير محادثاته التليفونية ترسل إلى إدارة الأمن العام التى تعرض بدورها على وزارة الداخلية.

وفى فبراير عام ١٩٥٢ استلفت نظرى حديث مسجل تقدم به مدير الأمن بين السيدة المذكورة وصيفة القصر وبين اليوزباشى مصطفى كمال صدقى.

لقد كان حديثا بالغ العاطفة والبذاءة معاً. ورغم الاسم المجهل الذى أشير به إلى سيدة القصر فإننى لا أستطيع نشر شئ عن هذا الحديث. ولكن اللافت للنظر أن مصطفى كان يطلبها فى إليوم الواحد ثلاث أو أربع مرات ويناجيها بغرام مصطنع وتناجيه بغرام لا يقل اصطناعاً.

وكان من الواضح أنها لا تعرف الحب وإنما تعرف وتحب المال والحياة والمنصب. وقد عرف مصطفى ذلك فيها جيداً.

لقد تصورته من الضباط الأحرار ولما كان الملك لم يتزوجها ولم يجعلها ملكة!. فإنها قد تصبح فى المستقبل زوجة لمن سيحل محله!.

ولم تكن تدرى أن الحديث معها تليفونيا مراقب لأنها لم تكن تتصور أن تراقب وزارة الداخلية وصيفة القصر. أما مصطفى فقد كان يشك أحيانا فى وجود هذه الرقابة. وكثيراً ما كان يطلب إنهاء الحديث ثم يوجه الشتائم إلى وزارة الداخلية.

وفى أحد الأيام طلبت سيدة القصر من مصطفى أن يحضر إليها بسرعة لأن زوجها مسافر والأولاد فى المدارس. وفى حجرة مغلقة تم انفراد الإثنين بعد أن أغلقا عليهما الباب. ولكن مصطفى سمع صوت سعال خفيف وراء الباب فقفز وفتحه ليجد خادمة صغيرة السن وراء الباب. صرخ فى وجهها. ثم أخذ يضربها بعنف وجرى وراءها ناحية المطبخ ثم ألقى بها من الدور السابع.. ووقعت الخادمة على سور المبنى الحديدى.. ونفذت حرابه فى صدرها وأحشائها.. ثم جرى التحقيق معه ومع ناهد رشاد وأقفل المحضر على أنه انتحار!.

وبعد رحيل فاروق أثير الموضوع كله من جديد.. وتم مواجهة ناهد رشاد بتفاصيل حادث مقتل تلك الخادمة، عندما وجهت النيابة تهمة القتل العمد لليوزباشى مصطفى كمال صدقى. وقد استمعت النيابة وقتها إلى أقوال أحد عشر شخصاً ، كان من بينهم مصطفى صدقى ومحمد حسن خادم الملك فاروق وناهد رشاد وشقيقتها نهاد والسفرجى والطباخ وفاطمة ابنة خالة محمد حسن والسيدة إيلين صديقة ناهد رشاد.. بخلاف ثلاث خادمات. وقد قرروا جميعا أن الخادمة ماتت منتحرة بإلقاء نفسها من فوق العمارة.

ولولا شهادة ناهد رشاد التى أيدت وجهة نظر مصطفى أمام النيابة.. ولولا أنها أجبرت الآخرين على تأييد هذه الأقوال.. لتم الحكم على مصطفى بالإعدام.. لقد استماتت ناهد فى الدفاع عن صديقها الجديد والقديم مصطفى صدقى على أمل أن يخقق حلم حياتها فى تنفيذ مخططها بقتل الملك فاروق.

ولعل التوقف قليلا أمام نص شهادة ناهد أمام النيابة يؤكد ما ذهبنا إليه من حرصها على خروج مصطفى براءة من هذه القضية.

قالت ناهد رشاد فى تحقيقات النيابة إن الخادمة كانت مصابة بمرض يسمى مرض السرقة.. فكانت تسرق كل ما تصل إليه يدها. ومن ذلك أننى كنت لا أعد فلوسى الفكة.. وكنت ألاحظ اختفاء هذه الفلوس. وفى مرة من المرات فكيت عشرة جنيهات صرفت منها أربعة وقلت لها يافاطمة هاتى الفلوس الباقية.. فأحضرت خمسة جنيهات.. فقلت لها دول ستة، فأخرجت الجنيه السادس من صدرها وأعطته لى.

وفى اليوم السابق ليوم سفرى إلى الاسكندرية فى صيف ١٩٥٠ تركت المنزل وخرجت. وكان يوسف والأولاد فى الاسكندرية وقلت لها يافاطمة لا تخرجى من البيت لحين عودتى.

وبعد عودتى قال لى السفرجى إنها دخلت حجرة نومى. وتبين أنها سرقت من شنطى الموجودة بالحجرة ٦ قمصان نوم وبعض البيجامات وبعض المايوهات وملابسى الداخلية ونصف دستة شرابات جديدة.

ولما واجهتها خرجت وعادت مع مصطفى كمال صدقى كى يتوسط لدى حتى لا أبلغ البوليس عنها. فلما سمعت منه هذا الكلام خرجت وبعد شوية فوجئنا بأنها قد ألقت بنفسها من الدور السابع من حجرة

الأولاد. وقبلها قالت لى إن لم أسافر معك الاسكندرية سوف أنتحر. وبالفعل نفذت تهديدها!.

وبعد التحقيق الذى شهدت فيه ناهد رشاد مع مصطفى كمال صدقى قيدت القضية انتحارا!.

* * *

ويتضح من تتبع واع لمجريات الأحداث التى شاهدتها ناهد رشاد بجوار مصطفى كمال صدقى.. أن تواريخ هذه الأحداث تأرجحت ما بين عامى ١٩٥١ و ١٩٥٢.. وهى أعوام الخصام بين ناهد والملك فاروق. كما أنها ذاتها كانت الأعوام التى شهدت رغبة ناهد فى التخلص من الملك.. وعلى ذلك نجد أن التقارب الواضح بين ناهد وبين مصطفى قد ازداد أكثر من ذى قبل فى تلك السنوات.

ولعل بداية العلاقة بين مصطفى وبين ناهد رشاد تشهد بذلك. هذه البداية التى اتسمت بالخوف والتشكك من جانب ناهد تجاه مصطفى.. بل إنها أيضا قد اتسمت بالنفور!.

والقصة التى سوف نروى تفاصيلها تؤكد هذه النظرة التى حكمت العلاقة بينهما والتى ما لبثت أن تطورت.. وهى تخالف إلى حد كبير ما أكدته ناهد رشاد من أن مصطفى كمال صدقى كان ابن أحد الجيران.. وكانت بينهما علاقات عائلية.

يقول مرتضى المراغى: دعا يوسف رشاد بعض أصدقائه إلى مأدبة طبقها الرئيسى كان بط الصيد الذى غنمه فى آخر رحلاته مع الملك

فاروق. وكانوا ستة من الأصدقاء: أربعة منهم من صغار ضباط الجيش والخامس ضابط مطافئ والسادس كان من صغار الموظفين. وكانت أعمارهم تترواح ما بين الخامسة والعشرين والثلاثين.

ولما اكتمل شملهم جلسوا فى حجرة الصالون يحتسون الويسكى ويدخنون حتى امتلأت الحجرة بسحب الدخان اضطرت ناهد إلى فتح النوافذ، ولم تكن ناهد تضيق بالدخان.. فقد كانت هى الأخرى تدخن بشراهة.

أخذت ناهد تتطلع إلى وجوه المدعوين واسترعى انتباهها أحد هؤلاء الضباط.. وكان وسيما جريئاً وشاربه قصير. ولم يكن قد سبق له دخول منزلها.. فقد كانت أول مرة يزور فيها منزلها. ورغم ذلك كان مصطفى لا يشعر بأية كلفة، وكأنه صديق قديم، ورأته يحدق فيها ويطيل التحديق فيها ثم يضحك بصوت مرتفع.

ولم تكن ناهد فى العادة تستقبل فى منزلها مثل هذا النوع من الضيوف على حد قول مرتضى المراغى. خاصة هؤلاء الذين يتكلمون بلهجة الطبقات الدنيا.. إنها وصيفة فى القصر ولا تسمع بين الجدران سوى الهمس والمشى على الأطراف. وبعد انتهاء حفل العشاء وشرب القهوة وفى ساعة متأخرة من الليل قام المدعوون للانصراف.. إلا الضابط مصطفى الذى شد على يد ناهد رشاد بقوة وكأنه يصافح رجلاً. وبعدها خرج ومن معه.. وهى تسمع خلف الباب صوت مصطفى وهو يصيح ضاحكاً. وقد صعد الدم فى

رأسها من الغضب خشية الجيران وتعليقاتهم. ودخلت ناهد مع زوجها غرفة النوم وبدأت تعاتب زوجها الدكتور يوسف كيف يصاحب مثل هؤلاء؟!. وعلى رأسهم مصطفى. فأكد لها أنه ليس صديقه وإنما اصطحبه معه هذه الليلة صديقه فهمى.

وفى ليلة أخرى أقام يوسف رشاد مأدبة عشاء ثانية لهؤلاء الأصدقاء. وبعد الانتهاء من تناول الطعام أخرج مصطفى علبة من معدن أبيض وفتحها وكان بها دخان وورق لف سجائر. بدأت ناهد تراقبه وهو يضع الدخان فى اللفافة وزادت دهشتها حين رأته يخرج من جيبه قطعا صغيرة من القماش ثم يأخذ منها حبة صغيرة وفركها ثم نثرها فى الدخان. لقد كانت قطعة حشيش.

ومنذ هذه الليلة ازداد حنق ناهد على الضابط مصطفى.. ولولا توجيهات الملك فاروق وأوامره التى أصدرها لزوجها بضرورة استمرار مصاحبة هؤلاء الشباب وإقامة الحفلات لهم لما قبلت وجوده فى منزلها.

لقد كان هؤلاء الستة هم بذرة الحرس الحديدى التى وضعت فى شقة يوسف رشاد. وكان على رأسهم الضابط مصطفى كمال صدقى. وإذا ما لجأنا لقاعدة التواريخ.. ربما يكون قد حدث هذا اللقاء عام ١٩٤٣ أو ١٩٤٤ على أكثر تقدير باعتبار أن الملك فاروق لم يفكر فى تكوين الحرس الحديدى إلا بعد حادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢.. وبعد نجاته من حادث تصادم القصاصين الذى وقع عام ١٩٤٣.

وربما يكون مصطفى كمال صدقى قد بدأ يتقرب ليوسف رشاد وزوجته فى هذه الفترة حتى يزيل من آثار هذه العلاقة المتوترة مع ناهد هانم فادعى حكاية زواجه من ابنة خاله نزولا على رغبة أمه كما حكت لنا من قبل ناهد رشاد. بدليل أن مصطفى ظل على علاقة طيبة مع الدكتور يوسف وزوجته.. فذهب إليهما مهنئاً بانتقالهما إلى الشقة الجديدة التى استأجرها الملك فاروق فى الجيزة. بدلا من شقة حدائق القبة.

ويقول مرتضى المراغى: إنه بعد أسبوع واحد فقط من الانتقال إلى شقة الجيزة زارهما مصطفى كمال صدقى، وما أن دخل الصالون حتى أخذته الدهشة.. وطلب من ناهد أن يرى بقية الغرف ومحتوياتها. لقد أخذت ناهد تنظر إليه ساخرة! ولكن لم يتملكها شعور بالغضب، وإنما شعرت بالضعف أمام ذلك الرجل. فهى امرأة جريئة أمام الملك وكبار القوم يقبلون يدها وينحنون وتسيل لها عبارات الإطراء .والملق من أفواههم. أما هذا الضابط الصغير الرتبة فإنه يغمزها ويلمزها.. ومن ثم أخذت تشعر بأنه أقوى منها وأنها أضعف منه. لقد أحست بانجذاب غريب ناحية مصطفى. وكان وجهها يحمر كلما التقى نظرها بنظره.

والسؤال الذى يفرض نفسه فى مثل هذه الحالة.. لماذا اختارت ناهد رشاد.. الضابط مصطفى كمال صدقى بالذات لتنفيذ أغراضها فى الانتقام من الملك فاروق؟!. بل هناك سؤال آخر ربما يلغى

السؤال الأول وهو لماذا قبل مصطفى القيام بدور العدو اللدود للملك فاروق؟!. رغم أنه كان فى بداية الأمر من رجاله المقربين بحكم وجوده على رأس مجموعة الحرس الحديدى.

إن الإجابة على هذين السؤالين لابد وأن تحدد لنا الأسباب التى دفعت مصطفى صدقى للقيام بالأعمال الإرهابية ضد الملك فاروق. ومن المؤكد أن السبب ليس عيون ناهد رشاد وأنوثتها وحدهما بل السبب الأكبر كان هو ذلك العداء السافر الذى نشأ بين مصطفى وبين فاروق خاصة وأنه كان يعتنق المذهب الشيوعى الذى كان يمقت الملكية ورجلها الأول.

بل أكثر من ذلك نقول إن سعى مصطفى كمال صدقى الدائم من أجل الارتباط بالدكتور يوسف رشاد وزوجته ناهد كان سببه الوصول إلى الملك شخصياً باعتبار أن هذه الأسرة كانت على صلة وثيقة بالملك.. بل وكانت تنقل إلى مصطفى ومجموعته رغبات الملك فى التخلص من خصومه السياسيين. وإلا لما كان من السهل على مصطفى أن ينقلب على الملك فاروق بهذه السهولة ولا كان يقبل المهمة التى كلفته بها ناهد رشاد لقتل فاروق من أجل عيونها.

وباختصار شديد نقول إن رغبات وأهواء كل من الضابط مصطفى كمال صدقى وناهد هانم رشاد قد التقيا فى طريق واحد، ورمت إلى هدف واحد أيضا وهو التخلص من فاروق وإن اختلفت الأسباب والدوافع.

وهناك رأى يقول إن مصطفى كمال صدقى كان يتقرب إلى الضباط الأحرار فى الوقت الذى عرف فيه خصومة ناهد رشاد مع فاروق. . فأصبح هدفه واحداً. . هو أن يسجل دوره فى تاريخ مصر الحديث بالوقوف ضد الملك فى الوقت الذى كان يعلم فيه بوقوف الجيش كله فى وجه فاروق وليس ناهد رشاد وحدها. . وحتى لو لم ينجح هؤلاء الضباط فى إزاحة الملك عن العرش. . فإنه كان سوف يسعى بمفرده كى يقتل الملك كى يرضى غرور ناهد هانم.

ويبدو أن إقدام مصطفى كمال صدقى على اغتيال الملك فاروق لم يكن المحاولة الأولى من نوعها ضد فاروق. . بل سبقه غيره من أعضاء الحرس الحديدى على مرأى ومسمع منه. . وربما شارك هو الآخر فى تلك المحاولة كبروفة نهائية تمكنه من تنفيذ مخططه فى القضاء عليه وقتله.

يقول سيد جاد إن الحرس الحديدى قد وجه إحدى طلقات مدافعه إلى الملك فاروق نفسه لإرهابه عندما قبل لقب «جنرال فخرى» فى الجيش الإنجليزى. وقتها اجتمع أعضاء الحرس الحديدى فى منزل الدكتور يوسف رشاد واستشرنا ناهد هانم فأخبرتنا أن الملك غير راض عن الحرس الحديدى، ولم تعد لديه الثقة الكافية فيه. وأن الملك سوف ينضم إلى الإنجليز. ومن ثم تركنا منزل يوسف رشاد وتوجهنا إلى منزل حسن فهمى عبد الحميد وقررنا إرهاب الملك. . وبدأت أدرس عاداته. كان بعد تناول العشاء يخرج إلى «الفراندة» ليجلس

منفرداً. وأحيانا كان يتطلع إلى الحديقة من النافذة، وكانت هذه هى الفرصة الوحيدة أمامنا للنيل منه.

ومن أعلى منزل يطل على القصر وبواسطة منظار ميدانى، أطلق حسن فهمى عبد الحميد دفعة من النيران لكنها لم تصبه.. وأصيب الملك بنوع من الجنون واعتقد أن الوفد يرد عليه بهذا النوع من التصفية الجسدية. وكانت النتيجة هى استبعاد «مرتضى المراغى» قليلا[٢].

وفي ورقة أخرى من مذكرات سيد جاد زميل مصطفى كمال صدقى في الحرس الحديدى ومن أوائل الذين دبروا لاغتيال الملك فاروق.. ذكر لنا بتفصيل أكثر رغبة مصطفى كمال صدقى فى التخلص من فاروق، فقال:

جرت معى أكثر من محاولة لجذبى بعيداً عن الحرس الحديدى، أو استقطابى لتنظيم الضباط الأحرار.. فذات يوم كنت خارجاً من الجامعة وفوجئت بمصطفى كمال صدقى ينتظرنى فى سيارته الخاصة. وعندما اقتربت منه عرض علىّ أن يوصلنى إلى أى مكان أريده بعد أن أخبرته بأن سيارتى ليست معى. ووافقت وقفزت إلى جواره داخل السيارة ثم انطلق بنا.. حيث طلبت منه أن يذهب بى إلى المعادى.. لكنه اتجه إلى شارع الهرم.. وفاتحنى فى رغبته فى أن أنضم إليه فى مغامرة كبرى.

ورغم أنى لم أكن أخشى منه عنفا لأنه مسالم ولا يميل للعنف أو

(٢) الحرس الحديدى ـ مصدر سابق.

لسفك الدماء.. إلا أننى كنت مرتابا فى ميوله.. إلى أن بلغنا الهرم فتوقف وطلب منى أن نتعهد كى نكون سويا فيما هو آت.. ثم استمر فى حديثه الجاد قائلا:

إن الملك المجنون سيقود الوطن إلى الدمار.. فهو جاهل وأرعن ورغم كراهيته للإنجليز إلا أنه يكره الجميع كذلك وينوى أن يفر تاركا الوطن فى أسوأ حالاته!. ولم يعد - أى الملك فاروق - يهتم إلا بالقمار وبالنساء.. ولابد أن نهاجمه فهو لم يعد يمثل قيمة لأحد!.

وظللت صامتا مما أثاره وجعله يصيح بصوت عال: «إنت موافق أم غير موافق؟!» ثم انهال علىّ بالشتائم.. لكننى لم أصدق ثورته وانفعاله ولم أفهم وجهة نظره آنذاك لأننى كنت متشككاً فى كل من حولى. ثم انتهت هذه المقابلة بعد ما أعادنى إلى المعادى دون أن نتبادل كلمة واحدة ولم أتحدث مع أحد من زملاء الحرس الحديدى حول هذا الموقف. ورغم أنى ظننت أنه كان يختبر ولائى للملك إلا أن الأحداث أثبتت أنه كان جاداً فى هذه المرة..

وفى مرة أخرى.. انفجر مصطفى كمال صدقى فى حضور ناهد رشاد قائلا: إنه من السهل قتل الملك فاروق بقنبلة زمنية تلقى على سيارته!. وبدأ يطلق سيلا جارفاً من الشتائم على الملك فتدخلت ناهد رشاد وحذرته منى بجدية لأننى أحب الملك.. واستمرت ناهد رشاد بجواره تهدئ من ثورته[٣]

* * *

(٣) المصدر السابق.

وأثبتت الأيام التى أعقبت ذلك اللقاء الذى تم بين سيد جاد ومصطفى كمال صدقى فى منزل ناهد رشاد. . أن مصطفى كان جاداً بالفعل فيما كان يفكر فيه بضرورة التخلص من الملك فاروق. سواء بدافع حبه وغيرته على ناهد رشاد أو بسبب ميوله الشيوعية أو رغبته فى الانتماء إلى الضباط الأحرار.

ففى يوم ٣ مايو عام ١٩٥٢ أرسل مراسل وكالة اليونايتدبرس بالقاهرة المستر «كولنز» برقية إلى المركز الرئيسى فى لندن تعليقا على نبأ أذاعه راديو N. B. C. الأمريكى ذكر فيه أنّ حادثا جرى للملك فاروق فى نهاية شهر مارس عام ١٩٥٢.

ويقول المستر «كولنز» فى برقيته أنه توجه إلى الأمير عباس حليم ابن عم الملك ورئيس نادى السيارات. وسأله عن فترات حضور الملك إلى النادى فى الفترة ما بين الخامس والعشرين من مارس والخامس والعشرين من إبريل. فقال الأمير إن الملك حضر إلى النادى إحدى وعشرين مرة طبقا لما هو مدون فى دفاتر النادى. وأنه كان دائما بصحة جيدة جداً. وأن الأيام الأربعة التى غابها الملك كانت خارج المدينة.

وبالبحث والتدقيق فى معنى هذه البرقية وما تحمله من مغزى. اتضح أنه فى مساء يوم ١٥ إبريل عام ١٩٥٢ توجه الملك فاروق إلى منزل ناهد رشاد فى الجيزة فى الساعة العاشرة مساء كى يتناول العشاء ويلعب الورق مع بعض أصدقائه. وكان مدخل المنزل قليل الإضاءة

ويحجبه عن المنزل المجاور حائط مكلل بالأشجار. ولم يكن الحائط عاليا، ونهايته التى تؤدى إلى المدخل الداخلى للمنزل كانت مظلمة تماماً. ولما نزل الملك من سيارته، لم يتقدم هو للدخول بل سبقه رجل الحاشية الإيطالى «بوللى» ثم تبعه الملك.

فى هذه اللحظة أطلق شخص كان فى الناحية الأخرى النار على الملك فأصاب «بوللى» فى ساقه.. ومن ثم نجا الملك. وفر القاتل بعيدا عن الحادث. ولقد أخفى الملك هذا الحادث عن وزارة الداخلية. ولكنه طلب تعيين حارسين أحدهما أمام مدخل ناهد رشاد والآخر وراء الحائط. كما أمر بوضع أنوار فوق الحائط.

ويقول مرتضى المراغى وزير الداخلية تعليقا على هذا الحادث: لقد علمت بما تعرض له الملك من محاولة لاغتياله.. وبالتالى قمت بعمل تحريات جادة عن القاتل. فعلمت أن مصطفى كمال صدقى كان موجوداً فى القاهرة فى ذلك اليوم. وأنه غادر منزله الساعة التاسعة فى سيارة كان يقودها بنفسه. وقد أخبر ناهد رشاد تليفونيا بأنه سيخرج للنزهة.

ومما يؤكد صدق الرواية التى ذكرها مرتضى المراغى فى مذكراته ما أدلى به محمد حسن السلمانى الأمين الخاص للملك فاروق فى عام ١٩٥٣ أثناء التحقيق فى قضية مقتل الضابط «عبد القادر طه» الذى قال أمام وكيل النائب العام: إن الملك فاروق كان يخشى أن يقتله اليوزباشى مصطفى كمال صدقى بسبب التنافس على الفوز بقلب ناهد رشادا.

وفى هذا الوقت توقعت وزارة الداخلية اعتداء مصطفى صدقى على الملك فوضعته تحت الرقابة. كما وضعت تليفونه تحت المراقبة. وكان هناك شعور عام داخل السراى أن مصطفى شخص خطر ويجب تحذير الملك منه.. وفى يوم من الأيام كان الملك قد سافر إلى الاسكندرية ونزل فى المحروسة وكانت معه ناهد رشاد.. فاتصل مرتضى المراغى بالسراى يؤكد أن مصطفى راح وراء ناهد إلى الاسكندرية. وأنه يخشى بأن ناهد ومصطفى كمال يقتلان الملك!.

ليس هذا فقط بل إن مرتضى المراغى أبلغنى شخصيا بأنه يخشى على الملك من ناهد بالذات لأن مصطفى له سلطان كبير عليها وكان دائما يقول إن الملك فاروق ماشى وراء ناهد مع أنها لا تعيره اهتماما. كما اتضح من المراقبة التليفونية أن مصطفى كان يصف الملك بأنه «بغل وطور»!

وعندما تلقيت تحذير المراغى بشأن سفر الملك إلى الاسكندرية وسفر مصطفى كمال صدقى وراءه كى يلحق بناهد رشاد أبلغت أحمد كامل باعتباره القائم بالحراسة للتحذير.

وعلى ما أذكر أن تحذيرى لأحمد كامل كان برسالة كتبتها وأنا هنا فى القاهرة وأرسلتها إليه مع أحد رجال بوليس القصر فى نفس اليوم فى الاسكندرية. ولما رجع أحمد كامل رد لى الجواب وقال أنا شددت الحراسة على الملك والحمد لله مافيش حاجة حصلت![4]

(٤) أقوال محمد حسن وناهد رشاد فى قضية مقتل عبد القادر طه وقد نشرت فى جريدة المصرى فى ٢١/١/١٩٥٣.

واستطرد محمد حسن فقال: وكان يوسف رشاد يعلم بالعلاقة بين ناهد ومصطفى كما كان يخشى على الملك فاروق من اعتداء يقع عليه من مصطفى صدقى. كما كان يتصور أن فيه حاجة أوشكت أن تحصل. وقد أفضى لى بذلك الأمر.

وكان الملك يتردد على منزل يوسف رشاد فى الجيزة لأنه «هو اللى جهزه لهم وكمان هوه اللى قال لهم ياخدوا بيت كويس لانهم الأول كانوا ساكنين في حدائق القبة فى بيت صغير، وأخيرا سكنوا فى الجيزة» لذلك كان الملك يتردد على هذا المنزل. ولخوفه من الاغتيال على يد مصطفى صدقى أمر الملك بقطع الأشجار التى كانت مزروعة فى مدخل البيت خوفا من أن يختفى فيها أحد من أتباع مصطفى كمال صدقى لاغتياله وهو داخل. وفعلاً تم قطع هذه الأشجار ويوسف رشاد هو الذى أمر بقطعها.

وكان الملك فاروق يتصور أن العدواة التى بينه وبين مصطفى بالذات ستدفعه إلى قتله فأمر حيدر باشا بطرده من الجيش. إلا أن حيدر باشا طلب ضرورة وجود سبب لهذا الطرد. وقد أوقع الحظ العاثر مصطفى صدقى فى طريقه ومكنه من هذا السبب. فقد كتب مقالا فى «روزاليوسف» عن الأسلحة الفاسدة. وقد قدم للمحاكمة بسبب هذا المقال باعتباره مخالفة للنظام العسكرى تقتضى الطرد من الخدمة. ولكن حيدر باشا ذكر أن أقصى ما يمكن اتخاذه من إجراءات هو نقل مصطفى للحدود عند حسين سرى عامر. وبالفعل

صدر القرار بنقل مصطفى كمال صدقى إلى العريش. ومن هناك كان يتصل يوميا بناهد رشاد.

ويواصل محمد حسن أقواله: وفى يوم جاء الأميرالاى محمد وصفى الذي قال لأحمد كامل.. حين يصاب الملك بمكروه فأنت المسئول.. لأن مصطفى كمال يتكلم فى كل مكان وأنا أعرف خباياه هو وناهد رشاد. وعندى معلومات من واحد كان فى مجموعتهم. لقد كان محمد وصفى يحصل على معلومات ثم ينقلها إلى أحمد كامل. وكان واجبى فى هذه الحالة أن أبلغ الملك بكل ذلك. كما أن وصفى كان دائما يطعن فى يوسف رشاد بسبب العلاقة التى كانت بين ناهد وبين مصطفى.. وقال وصفى أكثر من ذلك.. إنه على استعداد لإزاحة مصطفى كمال صدقى وقتله خوفاً على حياة الملك فاروق.

وفعلاً بدأ محمد وصفى يتتبع خطوات مصطفى الذى كان فى هذا الوقت قد نُقل إلى العريش. وحين يأتى إلى القاهرة كان يتتبعه وصفى بواسطة أعوانه. وقد اقترح وصفى على أحمد كامل التخلص أولا من أخ لمصطفى، ولا أعرف اسمه. إلا أن أحمد كامل طلب قتل مصطفى فقط.

كما أشار وصفى على أحمد كامل بضرورة التخلص من بعض أعوان مصطفى كمال صدقى وكان منهم عبد القادر طه الذى تم اغتياله فعلاً على يد على حسنين. الذى استدرجه للروضة حيث

ارتكب الحادث. لقد كان الهدف من هذا الاغتيال هو تخويف مصطفى كمال صدقى حتى يعيد حساباته مع الملك فاروق.

* * *

لم يكن القصد من ذكر «الحرس الحديدى» مراراً فى حديثنا هو ذلك الحرس ودوره فى حد ذاته.. بل كان المقصود هو إلقاء الضوء المبهر على هذه الجماعة المسلحة التى أمر الملك بتكوينها لحمايته من خصومه والتى كانت السبيل الوحيد أمام ناهد رشاد للأخذ بثأرها من الملك فاروق.

ولعلنا بعد ما عرفنا كيف استطاعت هذه المرأة الجميلة أن تستخدم أحد رجال هذه الجماعة المسلحة لتنفيذ أول بنود خطة التخلص من الملك فاروق.. رأينا من المفروض أن نعرف الشئ الكثير عن تلك الجماعة التى اتخذت من لفظ «الحرس الحديدى» اسماً. خاصة وأن تلك الجماعة المسلحة قد تكونت تحت سمع وبصر ناهد رشاد وزوجها الدكتور يوسف رشاد. بل أكثر من ذلك تولت ناهد.هانم قيادة هذه الجماعة فى تنفيذ العديد من جرائم الاغتيال إرضاء للملك فاروق وأملاً فى تحقيق حلمها فى الجلوس على عرش مصر.. بعد طلاق الملكة السابقة فريدة.

ويبدو أن قيادتها المبكرة للحرس الحديدى.. قد زاد من خبرتها وجعلها تفكر فى أخريات أيام الملك فى استخدام ذلك الحرس للتخلص منه.. ولكن سوء الحظ يقف أمام محاولتها هذه ويفشل

زعيم المجموعة مصطفى كمال صدقى فى اقتناص رقبة الملك فاروق وهو على أعتاب منزلها الجديد الذى استأجره لها الملك نفسه.

وبعد هذا الفشل.. لم يكن أمام ناهد سوى اللجوء إلى البند الثانى من الخطة التى وضعتها ليلة أن أخبرها الملك بنبأ خطوبته من ناريمان.. وهى التستر على الضباط الأحرار الذين كانوا يعدون العدة للتخلص من الملك.. وكان سبيلها فى ذلك الأمر وطريقها نحو تطبيق هذه الخطة المُحكمة هو الضابط محمد أنور السادات.. سواء كان يعلم بذلك أو لا يعلم وهذا الأمر سوف يكون لنا معه وقفة طويلة من خلال الأوراق القادمة.

* * *

إننا نعود أدراجنا كى نقول كلمتنا عن الحرس الحديدى وكيف تكوّن.. ومن هم رجاله؟!. وكيف تم اكتشاف أمرهم؟.

يقول بعض المؤرخين إنه إذا كان حادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢ هو الدافع والمحرك الأساسى وراء تفكير الملك فى إنشاء الحرس الحديدى. فإن حادث القصاصين كان البداية لإخراج الفكرة إلى حيز النور أو إلى التنفيذ، فلقد وجد الملك فاروق من يستطيع تشكيل الحرس الحديدى.

فالدكتور يوسف رشاد الذى تعرف عليه فور إصابته فى حادث القصاصين.. أصبح هو رئيس ذلك الحرس وزوجته ناهد بكير هى العقل المفكر والمدبر لهذا التنظيم.. حيث عرفت بما تتمتع به من ذكاء

حاد ماذا يريد الملك؟!. وما الهدف الذى من أجله تم الإقدام على هذه الخطوة..؟!.

لقد كان فى مقدمة هذه الأسباب التخلص من خصوم الملك فاروق وعلى رأسهم.. مصطفى باشا النحاس رئيس وزراء مصر ورئيس حزب الوفد بسبب موافقته على تولى رئاسة الوزارة نزولا على رغبة الإنجليز.. فيما عرف باسم حادث ٤ فبراير.

أما الشخصية الثانية فى قائمة اغتيال هؤلاء الخصوم فكان أمين عثمان وزير المالية فى حكومة النحاس باشا. والذى قتله حسين توفيق أحد أعضاء الحرس الحديدى بمساعدة محمد أنور السادات.

وهناك رواية تثبت أن ناهد هانم رشاد هى التى بلورت فكرة هذا التنظيم بعدما حكى لها زوجها الدكتور يوسف ما دار بينه وبين الملك فاروق أثناء أولى رحلة صيد يصاحب فيها الملك باعتباره أحد حاشيته الجدد. وقد دفعت ناهد زوجها الدكتور يوسف لكى يتحدث إلى الملك فاروق بخصوص هذا الحرس الذى سرعان ما وافق على تكوينه.. بل أعطى الدكتور يوسف الضوء الأخضر كى يبدأ فى البحث عن الأعضاء المختارين للانضمام لهذا الحرس.

ويقول الصحفى مدحت البسيونى إنه عندما تيقن د. يوسف رشاد من رغبة الملك فى الانتقام من خصومه السياسيين، فكر ودرس كيف يُنشئ تنظيماً أو فرقة خاصة للقضاء على هؤلاء الخصوم. وهذا يؤكد الرأى القائل بأن الحرس الحديدى قد أنشئ بإيعاز من الملك فاروق.

أو بمعنى آخر فكرة الحرس الحديدى كانت فى عقل الملك وأخرجها إلى حيز الوجود الدكتور يوسف رشاد(٥).

وكان لابد من الاتجاه إلى أشخاص أقوياء على درجة عالية من التدريب العسكرى، وفى نفس الوقت يحملون قدراً كبيراً من الولاء الشخصى للملك فاروق. أو على الأقل لا يبغضونه أو يكرهونه.

واتجهت أنظار الدكتور يوسف إلى الجيش حيث كان فى ذلك الوقت يوجد اتجاه وشعور كبيرين لدى بعض العسكريين بأن السياسيين كانوا رمز الفساد في البلاد، وعملاء للإنجليز الذى يحتلون مصر، وكانت هناك بعض الأصوات التى خرجت من الجيش وتنادى بضرورة التخلص من المحتلين وأعوانهم بعد حادث ٤ فبراير الذى اعتبره العسكريون إهانة ليست موجهة للملك وحده ولكن لمصر كلها. وكانت السمة البارزة فى هذا الوقت للتعبير عن الضيق الشعبى هو اللجوء إلى تكوين الجمعيات السرية التى تبلور نشاطها ضد بعض السياسيين وبعض قادة الجيش الموالين للإنجليز.

لقد كانت الظروف مهيأة ومناسبة أمام الدكتور يوسف رشاد للقيام بمهمته فى تكوين ذلك الحرس، خاصة عندما أخفقت الجمعية الوطنية الاشتراكية المتطرفة فى تحقيق أهدافها لإصلاح الجيش واغتيال الشخصيات السياسية الموالية للإنجليز، مثل اللواء إبراهيم عطا الله رئيس أركان الجيش المصرى فى ذلك الوقت.

(٥) فاروق والحرس الحديدى ـ مدحت البسيونى.

وقبل أن يتصل الدكتور رشاد بأعضاء المجموعة العسكرية التى وقع عليها الاختيار درس ملف قضية إبراهيم عطا الله وأعضاء الجمعية الوطنية الاشتراكية المتطرفة. ومن ثم اكتشف أن هؤلاء الأعضاء هم أصلح العناصر التى يمكن الاعتماد عليها فى تشكيل ذلك الحرس، خاصة بعد ذلك المنشور الذى وجهه أعضاء هذه الجمعية إلى الملك فاروق معبرين فيه عن ولائهم له ويصفونه فيه بأنه المنقذ ورمز الوطنية والخلاص الوطنى من الفساد الذى استشرى فى كل مكان.

بل أكثر من ذلك لقد طالبه هؤلاء الأعضاء فى ذات المنشور بضرورة أن يتقدم بهم الصفوف للنهوض بالشعب وتخليصه من الفساد!!.

أضف إلى ذلك أن التحقيق مع أعضاء هذه الجمعية كشف أنه لم يكن فى مخططها القيام بأعمال عدوانية ضد الملك فاروق. لذلك بادر الدكتور يوسف رشاد بالاتصال بزعيم تلك الجمعية وهو اليوزباشى «مصطفى كمال صدقى» أثناء التحقيق معه فى هذه القضية، وقدم إليه المساعدات الشخصية. بل وعرفه بأنه سيخرج من هذه القضية بدون إدانة. وكانت حجته فى ذلك أنه ـ أى يوسف ـ كان ضد سياسة إبراهيم عطا الله وأن دافعه وراء مساعدة مصطفى للخروج من هذه القضية أنه غير مذنب. وأن دافعه فى الأساس دافع وطنى!.

ولم تقتصر هذه المساعدات على مصطفى كمال صدقى فقط.. بل شملت جميع أعضاء الجمعية. وبعد الانتهاء من القضية وبراءة

مصطفى كمال صدقي ورفاقه.. بدأ يوسف رشاد يوطد علاقاته بهم ويدعوهم إلى بيته كأصدقاء، وبالتالى بدأ ينقل هذه الاتصالات إلى الملك فاروق الذى أعطاه الضوء الأخضر فى المضى قدماً نحو الاتصال بهؤلاء وإتمام ما تم الاتفاق عليه بشأن الحرس الحديدى وأهدافه ومهامه الملكية.

وحتى كتابة هذه السطور.. لايزال هناك خلاف كبير بين المؤرخين حول طبيعة تكوين هذا الحرس وأعضائه.. بل وأهم المهام الذى كلف بها وهل كانت هذه المهام وطنية فى المقام الأول أم شخصية بالدرجة الأولى.. بل أكثر من ذلك هناك من المؤرخين من يرفض وجود مثل هذا التنظيم من أصله.. بل ويشككون فى اسمه وموعد تكوينه.. حتى الدكتور يوسف رشاد نفسه أعلن أمام محكمة الثورة أنه لا وجود لهذا التنظيم ولا لهذا الاسم.

ولكن مع ذلك.. ومع مرور الأيام بدأت تظهر حقيقة هذا التنظيم العسكرى السرى وأغراضه وأعضائه.. بل وكيف كان يتم تجنيد العسكريين فيه. لقد أكد مرتضى المراغى آخر وزير داخلية فى مصر فى العهد الملكى حقيقة وجود هذا التنظيم.. وحقيقة أغراضه وأهدافه.. بل أزاح الستار عن أبرز أسماء هؤلاء الأعضاء.

ثم جاء السادات وحدثنا فى مذكراته الشخصية عن الحرس الحديدى وأهدافه بل وأهم الجرائم السياسية التى ارتكبها أعضاء هذا التنظيم باعتباره كان واحداً من هؤلاء!.

وأخيراً صدرت مذكرات اللواء سيد جاد. . أحد أعضاء الحرس الحديدى الذين انضموا إليه فى وقت متأخر قليلاً عن بقية الزملاء من رجال الجيش.

وفى هذه المذكرات أفصح لنا عن ماهية هذا التنظيم ودوره السرى وأهم المهام التى كان يكلف بها. بل أكثر من ذلك تحدث عن دور كل من الدكتور يوسف رشاد وزوجته فى تكوين هذا التنظيم.

وأنه شخصيا قد انضم إلى الحرس الحديدى بناءً على رغبة ناهد رشاد التى وجدت فيه الرجل العسكرى الملائم لتنفيذ جرائم الحرس الحديدى!!.

وإذا كان الوزير مرتضى المراغى لم يفصح لنا عن أسماء ضباط ذلك الحرس سوى الأسماء الأولى بعدما أغفل ألقابهم. فإن سيد جاد قد ذكر لنا أسماء هؤلاء بالتفصيل. . بل وذكر أيضا دور كل منهم فيما كان يسند إليه من مهام لابد من قيامه بتنفيذها. .

يقول مرتضى المراغى عن هؤلاء الأعضاء أن أسماءهم الأولى هى: مصطفى وخالد وفهمى وحسن وإبراهيم وتوفيق. . أما عن وظائفهم فهى كانت كالتالى: أربعة منهم من صغار ضباط الجيش، والخامس ضابط مطافئ، أما السادس فكان من صغار الموظفين. ويتضح من هذا القول أن الحرس الحديدى قد بدأ محدوداً للغاية. . ثم سُمح بعد ذلك بإنضمام ضباط آخرين. . كان من أبرزهم سيد جاد والسادات وحسن عزت وحسن إبراهيم.

أما سيد جاد فقد ذكر لنا أسماء هؤلاء الأعضاء.. بل وذكر لنا دور كل منهم وموقعه داخل هذا التنظيم السرى الكبير. وهؤلاء الذين ذكرهم كانوا بالترتيب الآتى:

** عبد الرؤوف نور الدين: كان برتبة يوزباشى بالجيش. وكان بطلا للملاكمة.. وهو نموذج للمقاتل الطيب والنقى.

** يوسف حبيب: خريج الكلية الحربية.. وكان على حد قول سيد جاد أشجع ضابط فى الجيش المصرى كله.

** خالد فوزى: كان أخوه الضابط صديقاً لسيد جاد ومات فى حادث. وكان هوائيا ومتقلب الشخصية.

** مصطفى كمال صدقى: كان زعيم هذه المجموعة السرية.

** يوسف رشاد: طبيب الملك الخاص.. والعقل المدبر والمفكر للحرس الحديدى.

** ناهد رشاد: كانت ملكة مصر الحقيقية لفترة من الزمن ليست قصيرة. وكانت الدافع الحقيقى لكثير من أعضاء الحرس الحديدى لتنفيذ ما تطلبه من جرائم أو اغتيالات.

** حسن فهمى عبد الحميد: معتدل فى كل شئ حتى فى القتل.

** عبدالله صادق: ضابط شرطة سابق. وكان همزة الوصل بين ضباط الحرس الحديدى والدكتوز يوسف رشاد.

** بهجت بك: سفير مصر فى ليبيا. الذى كان يتاجر فى السلاح ويمد به الحرس الحديدى.

** حسين توفيق: المتهم الأول فى اغتيال أمين عثمان وتم تهريبه إلى سوريا.

** أنور السادات: ضابط مصرى.. أعاده يوسف رشاد إلى الجيش من جديد ومنحه إعانة ألف جنيه.. ثم قدم له القصر أتعاب المحاماة فى قضية مقتل أمين عثمان.

** حسن التهامى: كان عضوا بارزاً فى الحرس الحديدى واشترك فى إطلاق النار على رفيق الطرزى فى مصر الجديدة.

** حسن عزت: حاول يوسف رشاد ضمه إلى الحرس الحديدى ولكنه لم يواصل نشاطه داخل هذا التنظيم السرى.

* * *

والثابت تاريخيا أن عمر هذا التنظيم السرى كان قصيراً للغاية ولم ينعم طويلاً بحب الملك أو مباركته لما يقوم به من نشاط.. بل أصبح هذا التنظيم السرى العسكرى يمثل خطراً داهماً على حياة الملك فاروق شخصياً.. سواء بطريق مباشر أو غير مباشر. لذلك وفى أواخر عام ١٩٥٠ وبداية عام ١٩٥١ بدأت العلاقة بين فاروق وبين الحرس الحديدى وأعضائه تهتز بشدة.. بل وتتجه إلى النهاية.

لقد بدأ يتكون لدى الملك شعور أو اتجاه بأن الحرس الحديدى لم

يقم بدوره كما هو مأمول! . بل فشل فى تنفيذ الكثير من المهام الموكلة إليه خاصة محاولة قتل النحاس باشا ورفيق الطرزى والإمام حسن البنا. فى الوقت الذى دخلت فيه وصيفة القصر ناهد رشاد حلبة المنافسة بين الملك فاروق وبين مصطفى كمال صدقى العضو الرئيسى فى ذلك التنظيم . .

ويؤكد بعض المؤرخين ان أغتيال الشيخ حسن البنا الذى تم على أيدى قتلة من خارج الحرس الحديدى كان القشة التى قصمت ظهر البعير . . فأصبح الملك لا يثق فى ذلك الحرس. بل واقتنع بضرورة التخلص من أعضائه البارزين.

والغريب أن الملك فاروق أراد التخلص من بعض أعضاء الحرس الحديدى بالقتلة الجذد الذين أظهروا براعة فى قتل الشيخ حسن البنا. فعهد إليهم بهذه المهمة.

ولولا قيام الثورة فى الوقت المناسب لازداد حمام الدم . . ولازدادت طلقات الرصاص المتبادلة بين الملك فاروق وبين أعضاء الحرس الحديدى. رغم أن بعض هؤلاء الأعضاء قد سارعوا للانضمام إلى تنظيم الضباط الأحرار . . فراراً من التصفية الجسدية التى قررها الملك وبدأها بالضابط عبد القارد طه.

الفصل الخامس

كنت أعرف أسرار
الثورة قبل وقوعها !

أثبتت حوادث التاريخ التى لعبت فيها المرأة الأدوار الرئيسية، أن حواء ذلك المخلوق الضعيف كما يبدو لك من الوهلة الأولى. . لا تستسلم للهزيمة بسهولة. . وإن كانت تستكين إلى حين، لكنها سرعان ما تستعيد نشاطها وتواصل جهادها حتى ولو بأظافرها الملونة أو بأسنانها الضعيفة من أجل إحراز الفوز الذى تمنته مهما طالت بها الأيام.

وحتى إذا ما استسلمت إلى حين إنما ذلك يرجع إلى أسباب قد تكون خارجة عنها. . وقد تكون لأسباب تقربها مما كانت تقاتل من أجله. . وهنا يظهر الذكاء الكامن وراء الوجه الجميل والنظرة البريئة. . فلم القتال والجهاد مادام حلمها قد تحقق ونالت ما كانت تقاتل من أجله دون إراقه نقطه دماء واحدة. . هذه النقطة الحمراء ربما تستبدلها بوردة حمراء تعلقها فوق صدرها إيذانا ببداية يوم جديد، أصبحت فيه أنثى رقيقة حالمة. . تأنف من مجرد ذكر العنف ووسائله.

وحوادث التاريخ التى نحن بصدد التعليق عليها . . أكدت بخلاف ما ذهبنا إليه أن حواء يزيد تحديها فى القتال وتمسكها بالكفاح من أجل إحراز النصر . . إذا ما كانت تقاتل دفاعاً عن حب قد ضاع منها أو شرف قد داسه الآخرون.

وفى مثل هذه الحالة لا يمكن لتلك المرأة المقاتلة أن تستسلم إلا إذا شعرت بالانتصار، حتى ولو داخل تجويف صدرها فقط، بصرف النظر عن حصولها على مغانم ما حاربت من أجله ـ وهى فى ذلك عكس الرجل على طول الخط .

وحتى نكون منصفين فى القول . . فإن هذه الأحداث التاريخية التى ارتبطت بكفاح المرأة ورغبتها فى إحراز نصر ما ربما يكون على عدو وهمى لم تؤكد لنا ما إذا كانت هذه قاعدة ثابتة . . أم أن هناك حالات أثبتت على مر التاريخ وجود قصور نسائى فى المواجهة . . مثلما يحدث مع الرجل تماماً . .

وعلى أية حال . . فى اعتقادنا أن التاريخ لا يقدم قواعد جامدة فى المعاملات الإنسانية على اختلاف أنواعها، وإنما هى تتغير بتغير الزمن والموقع . . وأيضا الأشخاص . لكننا على سبيل التأكيد ربما نقول إن السمة الغالبة فى معظم حوادث التاريخ التى تكون حواء أحد أطرافها، يكون من الصعب عليها الاستسلام دون الفوز . . خاصة فى دفاعها عن الحب وعن الشرف .

وأرجو ألا يظن القارىء أننا قد عرضنا هذه المقدمة خصيصا للربط

بينها وبين حالة السيدة التى مازالت تعيش بيننا فوق هذه الأوراق. إذ نحن نؤكد كما يؤكد التاريخ نفسه أن حواء رغم ضعفها الظاهر فإنها قوية فى الحب.. ولا تنسى أبداً من يجرح كرامتها أو يدوس فوق كيانها الذى لا تملك سواه.

ولا فرق هنا بين امرأة تعيش فى الحارة وأخرى تعيش فى القصور. فالمرأة.. فى كل الموقعين هى امرأة بأحاسيس واحدة.. والفرق قد يكون بسيطاً فى التفاصيل..

وبالنسبة للمرأة التى مازالت تعيش معنا فى هذه الأوراق.. وهى ناهد هانم رشاد. التى كانت تحلم بالعرش الملكى فى مصر والتى أعطت الملك فاروق كل حياتها وحبها وأيضا كيانها الذاتى بلا حدود، وعلى أمل أن يختارها كى تجلس بجواره ملكة لمصر.. مثلما فعل مع فريدة.!. هذه المرأة حين شعرت بالفشل.. بل حين واجهته داخل جدران القصر الملكى، لم تستسلم كما سبق وأوضحنا..

وإبتداء من منتصف عام ١٩٥١ وحتى ليلة ٢٣ يوليو ع ١٩٥٢.. ظلت ناهد هانم فى حالة حرب مستمرة مع فاروق وحاشيته.. رغم أنها لم تعلن هذه الحرب.. أو يعرف تفاصيلها سوى زوجها الدكتور يوسف وزعيم الجماعة المسلحة.. مصطفى كمال صدقى وآخرين سوف نعلن عنهم حالاً..

وكان هدفها الرئيسى من وراء إعلان حالة الحرب، هو القضاء على فاروق والتخلص منه، إما بالموت أو بالرحيل.. وهى فى كل

ذلك لم تفكر فيما سوف ينالها من مصير مجهول. المهم أن ترى ذلك الرجل الذى خدعها وضحك عليها مضرجاً فى دمائه.. أو راقدا تحت التراب.

والغريب أن ناهد رشاد فى هذا الهدف الذى أرادت الوصول إليه بطرق عديدة، لم تكن وحدها التى تنشده.. بل شاركها فيه الكثيرون سواء فى داخل القصر الملكى أو فى داخل الجيش.. أو حتى فى الشارع وعلى المقاهى. والنهاية التى أتت على فاروق أوضحت لنا ذلك وأكثر.. بل إن بعض المصادر القريبة من الملك قد أوضحت أنه فى أيامه الأخيرة، وابتداء من شهر يناير عام ١٩٥٢ ـ وبعد حريق القاهرة كان يحلم بالرحيل من مصر سالماً وبدون أن يصيبه مكروه.

* * *

لقد أوضحنا فى الأوراق التى شملت الحديث السابق، أن ملكة مصر غير المتوجة.. ناهد رشاد.. حين علمت بأن الملك قد غدر بها. وفوت عليها فرصة الجلوس على عرش مصر. بجواره، بعدما فضل عليها امرأة أخرى، بدأت على الفور فى وضع خطة من بندين أو طريقين للانتقام من الملك فاروق..

البند الأول من تلك الخطة.. هو الاستعانه بأحد رجال الحرس الحديدى الأشداء من أجل التخلص من الملك. ثم البند الثانى.. هو إخفاء تحركات ضباط الجيش عن الملك وحاشيته.. وطبعا الهدف كان واحداً..

ولقد أفضنا فى الحديث عن البند الأول من هذه الخطة.. ولكن للأسف لم يحالفها النجاح، وباءت بالفشل حين خابت رصاصات مصطفى كمال صدقى فى أن يصيب قلب فاروق وهو على أعتاب منزل ناهد رشاد.. ومن ثم لم يكن أمامها سوى الطريق الثانى، الذى كان فى تصورنا أصعب من الأول بمراحل كثيرة.. سواء فى النتائج أو فى الإجراءات.

لقد بذلت ناهد رشاد جهداً جباراً من أجل السيطرة على مصطفى كمال صدقى بكل الطرق وبكل الوسائل، حتى بات جنديا يعمل من أجلها فقط.. بعدما كان يأتمر بأوامرها ويعمل من أجل الملك. فكيف لها أن تنجح فى تحقيق البند الثانى من الخطة.. والخاص بمعرفة أخبار الضباط الأحرار.. هؤلاء الضباط الذين وضعت عليهم آمالاً كبيرة فى الخلاص من الملك..

لقد كانت تسمع مثل غيرها من الجالسين فى القصر الملكى والمرتبطين بجماعة الحرس الحديدى، أن هناك تذمراً عاماً فى الجيش يقوده ضباط غير معروفين، من أجل التخلص من فاروق. كما كانت تعرف كذلك أن هناك عشرات من التنظيمات السرية التى تعمل فى الخفاء بين صنوف الجيش من أجل الغرض نفسه.

ولكن كيف الوصول لهؤلاء؟!. لقد كانت المهمة فى غاية الصعوبة.. ولكن حين تريد المرأة.. وتبدأ فى القتال فهى لا تعترف أبداً بشىء اسمه الصعوبة.. وهذا فعلا ما كان من ناهد رشاد تجاه

بعض التنظيمات العسكرية السرية داخل صفوف الجيش، خاصة أعضاء تنظيم الضباط الأحرار الذى كان ينتمى إليه.. الضابط محمد أنور السادات والذى كان فى الوقت نفسه أحد العسكريين المقربين للدكتور يوسف رشاد. زوج ناهد هانم رشاد.

ولعلى أؤكد وباجتهادٍ شخصىّ.. أن السيدة ناهد رشاد ابتداء من منتصف عام ١٩٥١، وبعد إعلان خطوبة الملك فاروق على الآنسة ناريمان صادق، قد بدأت فى تنفيذ بندى خطتها فى وقت واحد تقريباً من أجل الإطاحة برأس الملك فاروق بأى شكل وبأى طريق.

ففى الوقت الذى أقنعت فيه اليوزباشى مصطفى كمال صدقى بأن يخلصها من الملك فاروق بقتله برصاصة واحدة أو بإلقاء قنبلة على عربته السوداء.. كانت قد بدأت تتحسس الخطر القادم على فاروق من رجال الجيش خاصة بعد فضيحته الكبرى فى حرب عام ١٩٤٨ وقضية الأسلحة الفاسدة ثم إقدامه على قتل بعض العسكريين المنتمين إلى الحرس الحديدى.. مثل قتل الضباط عبد القادر طه.. وتوعده بالقتل لزميله مصطفى كمال صدقى.

ولم يقتصر الأمر بداخلها على مجرد الشعور فقط.. بل كانت ترى وتسمع ما يدور حولها من تحركات سرية وعلنية من بعض ضباط الجيش ضد الملك.. سواء عن طريق ما كان يصلها من منشورات.. أو ما كانت تعرفه من بعض رجال الحرس الحديدى الذين كانوا قد بادروا فى هذه الفترة بالاتصال برجال تنظيم الضباط الأحرار! وعلى

رأسهم مصطفى كمال صدقى نفسه، الذى كان قد بذل العديد من المحاولات للانضمام لهؤلاء الرجال ضد الملك. وأيضا اليوزباشى السيد جاد.

وبخلاف ما كانت تسمعه أو تقرأه من منشورات.. فقد كان لديها وبالقرب منها ومن زوجها ضابط يعمل بشكل مزدوج بين رجال الملك ورجال تنظيم الضباط الأحرار. وكان هذا الضابط هو أنور السادات حيث أكدت كل الروايات التى أعلنت بعد قيام الثورة أو التى مازالت تعلن حتى الآن أن السادات - وباعتراف بعض الضباط الأحرار أنفسهم مثل جمال عبد الناصر - كان يعمل ضابط اتصال سرى بين السراى وبين رجال الجيش من خلال الدكتور يوسف رشاد زوج ناهد هانم. وربما كان هذا الضابط لما قدمه إليه يوسف وزوجته من خدمات.. ينقل إليهما تحركات زملائه من ضباط الجيش كى يكتشف ردود أفعال الملك من واقع ما كان يرويه الدكتور يوسف نفسه.. ولم يكن السادات يدرى فى الوقت نفسه أنه يقدم خدمة شخصية لناهد رشاد التى باتت تتتبع أخبار هؤلاء الرجال، وتستعجل الوقت الذى سوف يقومون فيه بحركتهم للتخلص من فاروق.

ولسوف يتضح لنا من خلال متابعة متأنية لما سوف نسرده من وقائع أن ناهد هانم رشاد كانت على علم مسبق بأسرار ثورة يوليو. بل وبأغلب أسماء هؤلاء الضباط.. وربما أيضا بموعد القيام بها.. مما جعل زعيم هؤلاء الضباط يطلب فورا تغيير الموعد من ٥ أغسطس عام ١٩٥٢ إلى ليلة ٢٣ يوليو من نفس العام.

* * *

ولعل أهم ما نستند إليه من وقائع فى مثل هذه الأحداث. هو ما روته ناهد رشاد بنفسها وفى أوراقها الخاصة عن تحركات الضباط الأحرار. . حيث قالت بالحرف الواحد :

«كنت أعلم أن الجيش فيه حركة ضد الملك. وعلمت ذلك من المنشورات التى كنت أتلقاها. وكان الملك يتلقاها أيضا ويطلع عليها أولاً بأول. ولمست هذا الخطر أولا حين كنت مع بعض الضباط المصريين فى حرب فلسطين، عندما تطوعت مجندة فى هذه الحرب. وكان فاروق يثق فى كلامى. فلما عدت من فلسطين أخبرته بما رأيت وسمعت. كما أبلغته بطلبات هؤلاء الضباط. . ولعل الملك قد استجاب لكثير من هذه الطلبات. كما كان بعض الضباط أصدقاء لزوجى، فكنت أتصل بهم وأسمع انتقاداتهم. وكان هؤلاء الضباط يطمئنون لنا لأننا كنا لا نشى بأسمائهم. وإنما كنا نبلغ الملك بشكواهم دون ذكر الأسماء وكان زوجى ينقل بخط يده مطالب الضباط الأحرار حتى لا تقع خطوطهم الشخصية فى يد الملك.

ولقد حدث أن أبلغ حسين سرى عامر الملك بأسماء ضباط قيادة الثورة. وقد اهتم الملك بذلك وطلب من الفريق محمد حيدر أن يعتقلهم. ولكن الفريق حيدر رفض اعتقالهم وطمأنه بأن ما بلغه غير صحيح.

لقد كان الذين حول الملك يفهمونه بأن الجيش فى أيديهم. وقد حدث فى هذه الفترة أن ذهب زوجى إلى الملك وأبلغه بمطالب هؤلاء

الضباط. كما أبلغه بأنهم متذمرون ومن الضرورى تلبية مطالبهم. إلا أن الملك أرسل هذه المعلومات لرجاله فجاءوا يقولون له إنها لا أساس لها من الصحة وأن الجيش فى جيوبنا!»

وفى حوار لناهد رشاد وزوجها الدكتور يوسف.. مع الكاتب الصحفى عبد الله إمام نشر عام ١٩٥٣.. أكدت على نفس هذه المعانى حين قالت: «كنت دائما أبلغ ناريمان بأن هناك تذمر فى الجيش. وأن الضباط الأحرار قد طلبوا من زوجى فى هذه الفترة علشان يبلغ الملك حالة الجيش والبلد سيئة.. إحنا كنا بنقول له ونحذره. وغيرنا كان بيكذب عليه!»

وفى نفس الحوار تعبر ناهد عن ترحيبها باستيلاء الضباط على السلطة فيما قاموا به من انقلاب.. فقالت: «يوم ٢٣ يوليو كنت عيانة فى القاهرة. وبعدين يوسف اتصل بنا من الإسكندرية لأنه كان فى وقتها مع الملك هناك. وقال لى إن نجيب استولى على القاهرة! قلت والله بركة لأننا كنا متضايقين، وكان فيه ارتباك. وكانت الحركة مفاجأة لنا من حيث موعدها فقط!!. لأننا كنا فى انتظارها!!».

وهناك من الوقائع التاريخية الأخرى التى تؤكد معرفة ناهد رشاد المسبقة بأغلب تحركات ضباط الجيش ضد الملك فاروق. ويؤكد مرتض المراغى أنه على سبيل الانتقام، كانت ناهد هانم تضع بعض المنشورات التى كانت تصلها من الضباط الأحرار فى ملفات مراسيم الملك الخاصة التى تعرض عليه يومياً.. ولكى يؤكد لنا ذلك يروى هذه القصة التى تقول سطورها:

دخل الملك مكتبه ذات مساء ليقرأ بعض ملفات بمراسيم ومراسيم قوانين يجب عليه أن يمهرها بإمضائه. فتح الملف الأول ووجد ورقة أراد أن يمهرها حتى قبل أن يقرأها على عادته. ولكن استوقف نظره أن آخرها كان يحمل عبارة «الضباط الأحرار» ولم يصدق عينيه. أخذ يقرأ الورقة التى جاء بها: «أيها الجيش الباسل ويا شعب مصر النبيل. إن ملكاً فاسداً فاجراً يحكمك، وقد آن أوان الخلاص منه».

ولم يكمل فاروق قراءة المنشور ووضع كل أصابعه على لوحة أزرار الأجراس يدقها بعنف. وأخذت الأجراس لا ينقطع رنينها. هُرع موظفو القصر وكبار ضباطه وخدم القصر إلى حجرة الملك ودخلوا عليه وهو يصيح. «أيها الخونة.. ساقتلكم سأعذبكم حتى تعترفوا.. نعم إنكم خونة وأنا أعرف ذلك ولكنى سأقضى عليكم».

ظلوا جميعا واجمين صامتين فصاح: تكلموا من الذى وضع هذه الورقة؟!. وأخيرا جرؤ كبير الحرس على التقدم نحوه وقال: هل يسمح مولاى بأن أطلع على الورقة؟! رمى الملك الورقة فى وجهه صائحاً: أنت المسئول الأول عن انعدام الحراسة.

أمسك الضابط بالورقة يقرؤها. وكلما تقدم فى القراءة ارتجف..

قال الملك وهو ينظر إليه بغضب وعلى فمه سخرية واضحة.

هل قرأتها يا رئيس الحرس؟!.

قال الضابط: نعم يا مولاى.

قال الملك: من الكلب الذى أدخلها إلى مكتبى؟ من جرؤ علي إدخالها؟ وحاول الملك فى هذه اللحظة أن يلصق التهمة بخادمه الخاص ثم سكرتيره الشخصى. وعندما ضاق به الأمر صرخ فيهم «تكلموا أيها الخونة.. سأعرف من الذى وضعها. سأضعكم جميعا تحت التحقيق».

وبالفعل استعان الملك ببوليس السراى، وحجب عن وزارة الداخلية هذا الحادث. ولكنه تسرب إلينا.

ويضيف مرتضى المراغى أننى لم أشك لحظة فى أن ناهد هى التى وضعت المنشور. لأنى أعلم أنها كانت تدخل مكتب الملك وتخرج من غير أن يعترض سبيلها أحد. وفى مكالمة تليفونية مع مصطفى كمال صدقى قالت له ضاحكة. «لو تشوف منظره وهو بيصرخ ويشتم عندما قرأ الجواب اللى جاله، ولم تقل المنشور».

وهذه الرواية تخبرنا بأن مصطفى كمال صدقى كان يعلم أيضا باتصالات ناهد رشاد بالضباط الأحرار. أو أنها كانت تتابع أخبارهم سواء عن طريقه أو عن طريق ضباط آخرين.. ودليلنا نحو تأكيد هذه الرواية ما ذكره أحد الضباط الأحرار فى مذكراته عن «الثورة والدبلوماسية».. وهو جمال منصور. أحد ضباط سلاح الفرسا الذين شاركوا فى تنظيم ضباط الجيش العامل ضد الملك فاروق منذ عام ١٩٤٥.

يقول جمال منصور فى شهادته للتاريخ: كانت المرحلة الأخيرة من

الثورة هى مرحلة توزيع المنشورات على صناديق البريد. وهى المرحلة الشاقة فى العملية، وازداد الأمر صعوبة حينما وضع البوليس السياسي والمخابرات الحربية رقابة قوية على هذه الصناديق لمنع وصول المنشورات إلى أصحابها.

ولاقت فكرة المنشورات نجاحاً كبيراً، وتجمع حولها المزيد من الضباط.

كما امتد النشاط الثورى إلى بقية الأسلحة الأخرى[1]. وقد توالى انضمام الضباط للحركة من كافة الأسلحة فى عام ١٩٥٢ حتى وصلوا إلى ٣٠ ضابطاً.

ويواصل جمال منصور شهادته بقوله: التقت الجماعة فى إحدى الليالى فى منزل عبد الفتاح أبو الفضل لمناقشة بعض المسائل التى تتعلق بالحركة والسُبل التى تحقق انتشارها بين أكبر مجموعة من الضباط.. وفى أثناء النقاش دق الباب وإذا بالقادم هو مصطفى كمال صدقى، وبصحبته الصاغ رشاد مهنا والصاغ كمال عبد الحميد. وكانت مفاجأة لنا جميعا خاصة وأننا لم نكن قد أعطينا موافقتنا على ضم مصطفى، فضلا عن أن الصاغ رشاد مهنا كان فى ذلك الوقت أركان حرب قسم القاهرة، وكان هذا المركز من أخطر المراكز فى الجيش إذ كانت مقدرات الضباط تتحدد فى هذا المكان.

(١) فى الثورة والدبلوماسية جمال منصور.

كانت دهشتنا كبيرة. . وأحسسنا بأن قدوم رشاد مهنا إلى هذا الاجتماع ما هو إلا بداية لكى يضع المسئولون أيديهم على حركتنا. وجلس الثلاثة أمامنا وتحدثوا معنا، وظهرت على رشاد مهنا علامات الارتياح لأنه يرى هذه المجموعة من الضباط تلتقى جميعا على رأى واحد، وتعمل سويا فى عزم وإصرار أملا فى تغيير الأوضاع بواسطة الجيش.

وبعد فترة خرج هؤلاء الثلاثة: مصطفى كمال صدقى ورشاد مهنا وكمال عبد الحميد. . من الاجتماع، وظل الباقون فى اجتماعهم لمناقشة ما حدث، ولمعرفة المسئول عن مجىء هؤلاء الثلاثة إلى هذا المكان. وقام عبد السلام فريد بكل شجاعة وقال إنه أخبر مصطفى صدقى بمكان الاجتماع، على أساس أن يحضر بمفرده لكى يتحدث مع باقى أعضاء المجموعة تمهيدا لضمه إلى الحركة، ولكنه لم يكن يدر فى خلده أبداً أنه سيحضر رشاد مهنا وكمال عبد الحميد.

ولم يكن من مبادىء الحركة أن تضم أحدا من غير الضباط، أى أنه لم يكن فى الفكر ضم أحد من الصولات أو صف الضباط. ولكن مصطفى صدقى كان له رأى آخر، وهو أن يتعاون مع الصولات وصف الضباط، ويضم أكبر عدد منهم إلى الحركة نظراً لأنهم فى بعض الأسلحة كانوا يمثلون عصبا بها، فضلا عن أن معظمهم من أنصاف المتعلمين الذين يشعرون بمرارة كبيرة وعقدة نفسية تجاه القيادات المختلفة. ومع ذلك لم يتفق أحد مع مصطفى صدقى فى رأيه

وبعد عدة اجتماعات، اقترح مصطفى صدقى أن يكون الاجتماع القادم فى منزله بالمعادى، لتعريف الجماعة ببعض الضباط من الأسلحة الأخرى. . وعقد الاجتماع وحضر زملاء من أسلحة مختلفة. وكان مصطفى صدقى صاحب الدعوة وصاحب المنزل يقوم بتقديم الزملاء لبعضهم. وبعد فترة حضر إلى منزل مصطفى صدقى أحد الصولات، وقام مصطفى بتقديم الزملاء من الضباط إليه، ولم يفطن أى منهم لما كان يخبئه لهم القدر فى هذه الليلة.

فقد كان الصول حريصا على معرفة أسماء الضباط ويدقق فى صحتها عندما كان يقدمهم إليه مصطفى صدقى. ثم يخرج الصول بين وقت وآخر إلى الصالة أو إلى الحمام بعد أن يحفظ الأسماء فى ذاكرته ليكتب فى مفكرته الصغيرة أسماء من تعرف عليهم وأوصافهم والسلاح التابعين له إذا أمكن. ولعله أى الصول قد تمكن فى هذه الليلة من جمع الأسماء لمعظم الحاضرين أو الذين كانت تتردد أسماؤهم أمامه من غير الضباط الحاضرين.

لقد كان مصطفى صدقى باندفاعاته التى تتسم بطابع التهور إلى عدم تقدير المسئولية. . فقد بدأ بتنفيذ فكرته فى ضم الصولات إلى حركة التنظيم الأحرار دون أن يعبأ برأى الآخرين!. وعندما انضم الصول جمال جلال إلى مصطفى صدقى ذهب الصول إلى إبراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء فى ذلك الوقت وأخبره بأن هناك حركة فى

الجيش، وإنه انضم إليها منذ فترة. فطلب منه الاستمرار فى الحركة كى يتعرف على هؤلاء الضباط وينقل إليه أسماءهم(٢).

ويبدو أن رواية الضابط جمال منصور عما حدث من مصطفى كمال صدقى والصول الذى أتى به كى ينضم إلى جماعة تنظيم الضباط الأحرار صحيحة ١٠٠٪ والدليل على ذلك ما يؤكده مرتضى المراغى فى مذكراته عن استدعاء إبراهيم الهادى رئيس وزراء مصر لجمال عبد الناصر أحد زعماء تنظيم الضباط الأحرار كى يحقق معه فيما علم به من تحركات يقوم بها ضباط الجيش سراً ضد الملك فاروق..

يقول مرتضى المراغى: «لم تكن حركة الضباط الأحرار خافية على الحكومة، وقد عرف بقيامها إبراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء، بل هو قد عرف أن المرحوم جمال عبد الناصر كان على رأس هذه الحركة فارسل يستدعيه بحضور الفريق محمد حيدر وزير الحربية وقائد الجيش.. وبعد التحقيق مع عبد الناصر وتوجيه الأسئلة عن تفاصيل الحركة وأسماء الموجودين بها طلب رئيس الوزراء من عبد الناصر أن يقسم بأنه غير موجود بهذه الحركة.. تردد عبد الناصر لحظات ثم أقسم .

وما ساعده على الخروج من هذا التحقيق، شهادة حيدر باشا الذى أشار على رئيس الوزراء بأن ما وصله من معلومات مبالغ فيه.

(٢) فى الثورة والدبلوماسية ـ مصدر سابق.

ولقد كانت هذه المحادثة. وهذه المقابلة بين عبد الناصر وبين رئيس الوزراء إنذاراً لعبد لناصر شخصيا بأن يأخذ حذره وأن يعمل تحت طى الكتمان.

ومن ثم وافق على أن يتردد اسم بدلاً منه أمام الحكومة ولدى الملك باعتباره زعيماً لتنظيم الضباط الأحرار. وكان هذا الاسم كما يؤكد مرتضى المراغى هو أنور السادات!.

إذن كل الشواهد، والشهادات التى صدرت من رجال كانوا أعضاء في تنظيم الضباط الأحرار.. تؤكد أن ناهد رشاد كانت على علم مسبق بتفاصيل حركة هؤلاء الضباط. وبالفعل تدخلت بكل ما تملك من مهارة وذكاء من أجل أن تخفى هذا الحدث الخطير عن الملك فاروق وعن رجاله.

بل أكثر من ذلك فإن هناك شهادة تاريخية أخرى لأحد رجال الحرس الحديدى يؤكد فيها.. أن أغلب أعضاء هذا التنظيم السرى الذى كانت ترأسه ناهد رشاد وزوجها، كانوا يعرفون أسرار تنظيم الضباط الأحرار.. وأن هؤلاء الرجال من الحرس الحديدى، وقد انضم بعضهم بالفعل إلى تنظيم الضباط الأحرار. وبالتالى كانت أخبارهم وأخبار اتصالاتهم تتم تحت سمع وبصر ناهد رشاد شخصياً وكانت هذه الأخبار هى سبيلها الوحيد نحو التأكيد من حسن سير خطتها الثانية التى هدفت من ورائها التخلص من الملك فاروق..

يقول سيد جاد فى شهادته عن علاقة بعض رجال الحرس

الحديدى بالضباط الأحرار: عندما بدأ الملك يضعف. . وبدأت حركة الفدائيين فى القناة فى تزايد هنا بدأ رجال الحرس الحديدى يتقربون إلى الضباط الأحرار. . وطلب منى خالد فوزى وجمال منصور أن أقطع صلتى بالسراى نهائيا. . وأن أقاوم نفوذ الملك وأتحول إلى معول من معاول الهدم. . لأن النهاية تقترب وحركة الجيش على وشك البدء.

وتقريبا كان أغلب الضباط الذين يعملون بالسياسة أو الذين كانوا يهتمون بالعمل الوطنى على علم بكل شىء. . بل كانت مجموعة كبيرة منهم تتوقع انقلاب الجيش بين يوم وليلة.

وفى موضع آخر من هذه الشهادة يقول سيد جاد :

لقد فاجأنا حسن فهمى عبد الحميد باقتراحه العودة إلى تنظيم الضباط الأحرار. . لأن الملك لم يعد فى حاجة إلينا. . وإذا لم نعد إلى التنظيم فسوف يشكون فى إخلاصنا للوطن والجيش. . وعندما تتم الحركة الكبرى سيكون موقفنا سيئاً.

وتدخل خالد فوزى قائلاً: إن الأمر أوشك، وأنه سوف يخطرنا فى الموعد المناسب حتى نتدخل جميعا ونساعد الضباط الأحرار فيما سيقومون به.. وأكد أن كمال الدين حسين قد وعده بذلك. عندئذ سيكون لكل منا ظهر يحميه من الفراغ. الذى سينشأ بعد فرار الملك.

ودهشت. . وقلت: هل وصل الأمر بالملك إلى حد الفرار؟!

رد خالد فوزى مؤكداً أن الملك ليس أمامه غير ذلك.. إلا إذا كانوا يريدون محاكمته.. ثم أضاف موجهاً كلامه لى: أنا أطلب منك يا سيد جاد أن يكون لك صديق من الضباط الأحرار.. لأنك ظهرت بطريقه مخيفة.. وأفضل لك أن تتروى من الآن.. وهناك فرصة عظيمة.

قلت مستفهماً: أية فرصة هذه؟!

أجاب خالد فوزى إن محمد نجيب يحبنى وهو دائم السؤال عنى.. ويمكننى أن أحتمى به.

وذات يوم. أبلغنى حسن فهمى عبد الحميد بأن يوسف رشاد يريد مقابلتى فى بيته للأهمية فى حضور مرتضى المراغى.. وبعيداً عن زوجته ناهد هانم.

وفى المساء ذهبت إلى منزل الدكتور يوسف لكنى لم أجد أحداً.. وعندما رآنى دخل فى الموضوع مباشرة وكانت هذه هى عادته: لا يلف ولا يدور.

وبادرنى بقوله: اسمع يا سيد نحن نعوف أن لك أصدقاء ممن يسمون أنفسهم بالأحرار ولابد من إخطارنا بأسمائهم. فقد استفحل أمرهم.. وحين راوغت فى الإجابة فوجئت بمرتضى المراغى يدخل علينا متجهم الوجه.. وكان واضحاً أنه سمع الحديث الذى دار بيننا.. وبعد إلقائه التحية طلب منى ضرورة إخباره الآن بأسماء الضباط الأحرار.

سألته: ولماذا بالذات.. تخصنى بهذا السؤال..؟!

رد الوزير المراغى: لقد أثبتت التحريات أنك على اتصال واسع بنوعيات واتجاهات مختلفة من الضباط.. ومن الخير لك أن تخبرنا بأسمائهم.

وعدت أقول له: إذا كان الأمر بهذه الدرجة من الخطورة فلماذا لم تخطرنى من قبل. عموما أعطنى فرصة واسعة كى أخبرك بأسماء هؤلاء الضباط جميعاً..

وظهرت علامات الارتياح على وجه الوزير ومنحنى مهلة إلى نهاية الأسبوع.. وتواعدنا على هذا.. ثم تركتهما عائدا إلى حيث كان ينتظرنى خالد فوزى ليعرف ماذا يريد منى وزير الداخلية؟.. فحكيت له ما جرى.. ثم سألنى ماذا سأفعل؟!. قلت له: سوف أعطيهم أسماء جميع الضباط الأحرار!.

وضحك خالد فوزى فهو يعرفنى جيداً.. لكنه سألنى عما أعنيه بهذا الكلام؟! قلت: لو أننى رفضت فسأصبح عدواً على المكشوف.. لكنى سأعطيهم أسماء الضباط المعروفين بميولهم الشيوعية فى الجيش».

ولعل المقابلة التى تمت بين سيد جاد وبين وزير الداخلية مرتضى المراغى الذى كان يبحث فى كل مكان حتى داخل صدور الناس عن أسماء هؤلاء الضباط.. هى التى جعلت اليوزباشى سيد جاد يسارع

لمقابلة أحد هؤلاء الضباط المقربين إليه كى يحذره من محاولات ذلك الوزير الذى بات شغله الشاغل البحث عن الضباط الأحرار..

يقول جمال منصور: وقبل شهور قليلة من قيام الثورة جاءنى اليوزباشى سيد جاد عبد الله أثناء عملى فى التدريب الجامعى بجامعة فؤاد الأول ـ جامعة القاهرة الآن ـ وقال لى: تعلم أننى عضو فى الحرس الحديدى، كما أننى أعلم كثيرا عن حركة الضباط الاحرار.. وقد سُئلت عن نشاط هذه الحركة ولكنى تجاهلت أى معرفة بها. وإنى قادم إليك اليوم لكى أنقل إليك خبرا هاماً للغاية، فقد صدرت تعليمات من القصر إلى البوليس السياسى لمراقبة ضباط الجيش من ذوى الميول اليسارية والمتصلين بالإخوان المسلمين أيضا، وأخشى أن تؤدى هذه المراقبة، ولو بطريق الخطأ إلى أن يضع البوليس السياسى يده على بعض أعضاء الضباط الأحرار وتتعرض الحركة إلى نكسة خطيرة بل إلى انهيارها تماماً.

وإنى إذ أنقل لك هذا الخبر أطلب منكم «إن وقعت تشلونى وإذا وقعتم أشيلكم..» وهأنا قد بادرت بتحذيركم من نشاط السراى ضدكم وسوف أوافيكم بأى بيانات أو معلومات تساعد الحركة على السير فى طريق مأمون.

وبناء عليه دعوت الزملاء أعضاء الجمعية «التأسيسية للضباط الاحرار» بسلاح الفرسان إلى اجتماع عاجل فى شقة الزيتون وأبلغتهم بما سمعته من اليوزباشى سيد جاد. وتم الاتفاق على:

توقف الاجتماعات بعض الوقت وتوخى الحذر الكبير فى الاتصال بالضباط ذوى الميول اليسارية، أو ممن لهم علاقة بالإخوان المسلمين، واتفقت مع الزملاء على أن أذهب إلى جمال عبدالناصر لكى أخبره بما قاله اليوزباشى سيد جاد. وانفض الاجتماع ثم ذهبت إلى جمال عبد الناصر فى منزله بكوبرى القبة وأبلغته بما حدث.. فقام فى اليوم التالى بإبلاغ أعضاء خليته وطلب منهم التزام الحذر والامتناع عن الاجتماعات فى الفترة القادمة.

* * *

ويبدو أن وزير الداخلية مرتض المراغى كان جادا فى تعقب الضباط الأحرار ومراقبة تحركاتهم هم وبعض ضباط الحرس الحديدى. فبعد أن استجوب سيد جاد فى منزل يوسف رشاد.. اتجه إلى تنفيذ مراقبة صارمة على الضابط مصطفى كمال صدقى والسيدة ناهد هانم رشاد، على أمل أن يتوصل إلى أسماء هؤلاء الضباط كى يثبت للملك فاروق أنه كان ولايزال رجله الأول والأخير بعدما خذله حتى أقرب الرجال إليه وهو اللواء حيدر باشا وناهد رشاد.

ولقد أكد على هذا المفهوم مرتضى المراغى نفسه.. واعترف به فى مذكراته الخاصة حتى كان قاب قوسين أو أدنى من الكشف عن هؤلاء الضباط ولولا أن تدخلت ناهد رشاد فى الوقت المناسب لكان قد توصل إلى هؤلاء وقدمهم هديه للملك عرفاناً على ولائه الخاص له!.

وحتى حينما توصل إلى خيوط متينة كانت سوف تؤدى به إلى إلقاء القبض على هؤلاء الضباط وقفت فى وجهه ناهد رشاد.. بل وقلبت عليه الملك وحاشيته واتهمته بخيانه الملك.. شخصياً.

وحين يروى لنا مرتضى المراغى ما قام به من هذا الاتجاه.. نشعر بمدى المرارة التى أحس بها من ردود الفعل غير المتوقعة من جانب الملك أو حاشيته فيما أقدم عليه. وهو يعرف تماماً أن السبب فى ذلك كانت ناهد هانم رشاد التى عملت بكل ما لديها من حيل لإخفاء أمر هذه الحركة عن الملك فاروق من أجل الانتقام فقط. والغريب فى الأمر كما يقول المراغى أن هذه السيدة قد تمكنت من إقناع كل من كانوا حول الملك فى ذلك الوقت بأن ما يتردد بشأن هؤلاء الضباط هى معلومات غير صحيحة أو مبالغ فيها. ولعلنا قد قرأنا من قبل نفس هذه العبارة يرددها حيدر باشا بشأن تنظيم الضباط الأحرارا.

يقول مرتضى المراغى فى كلمته للتاريخ عن موقفه من تنظيم "ضباط الأجرار باعتباره كان فى ذلك الوقت وزيرا للداخلية وكانت من أولى مهامه تتبع الخارجين على القانون والذين يشكلون خطراً على حياة الملك :

«كان قد وصل إلى علمنا قبل قيام الثورة بعشرة أيام أن منشورات الضباط الأحرار تطبع فى مطبعة روتينية فى ثكنة فرقة المشاة المعسكرة فى المعادى. وراقبنا الثكنة من الخارج فوجدنا بداخلها اليوزباشى مصطفى واليوزباشى خالد فوزى وهما ليسا من ضباط الفرقة،

وأنهما يمكثان زمنا ثم يخرجان يحملان حقيبتين جلديتين منتفختين، وكانتا فارغتين عند دخولهما. وتأكدت شكوكنا من صحة المعلومات التى وصلت إلينا.

وأخذت أفكر فيما يجب أن أصنع؟!. هل أخطر الفريق محمد حيدر؟! إنه يقول دائما عن حركة الضباط الأحرار بأنها شقاوة عيال!. وإنه هو وكبار الضباط قابضون على زمام الجيش بقوة، ولن يسره أن يصل إليه الخبر من وزارة الداخلية بدلا من أن يصله من مخابراته العسكرية.

وبدا لى فورا أن من المستحسن ألا أبلغه.. هل أطلب من اللواء حسين فريد رئيس الأركان أن يقوم هو بالإجراءات؟! لقد خاب أملى فيه ولم يعد محل ثقتى.. وهل أخطر رئيس الديوان كى يبلغ الملك؟! هناك احتمال قوى بأن يبلغ الأمر إلى الفريق حيدر.. لذلك قررت أن أسلك سبيلاً وعراً تحفه المخاطر، وهو أن أترك رجال البوليس يقومون بتفتيش ثكنة الجيش. والمخاطرة واضحة فإن رجال البوليس لو فتشوا الثكنة لم يجدوا مطبعة أو منشورات فمسئوليتى ستكون فادحة وأقل ما يجب على أن أعمله هو أن أستقيل.

عندئذ قلت لرجل المباحث: متى شاهدتم الضابطين مصطفى وخالد يدخلان الثكنة ويخرجان؟.

قال الضابط: الساعة التاسعة صباحاً يدخلان ويخرجان حاملين الحقيبتين الساعة الثانية عشرة.

كتبت خطابا إلى قائد الثكنة أطلب منه فيه السماح لرجال البوليس بتفتيش هذه الثكنة. وبالفعل نفذ الرجل الأوامر.. وعندما دخل رجال البوليس.. وبعد تفتيش دقيق عثروا على المطبعة وعلى منشور جاء فيه: «يا ضباط الجيش.. ثوروا على الملك الخائن وحكومته العميلة للاستعمار. اقضوا عليهم جميعا بلا رحمة. إن عهد الطاغية يجب أن يزول، ورأسه يجب أن تسحق».

وكان حول هذه المطبعة ستة ضباط.. ثم دق التليفون وسمعت صوتا يتلعثم.. وكان صوت قائد الثكنة يخبرنى بضبط المطبعة والضباط.

قلت له: تحفظ عليهم وسأطلب من سلطات التحقيق فى الجيش أن تقوم معهم بالتحقيق. واتصلت باللواء حسين فريد وأخبرته بما حدث وطلبت إليه أن يرى بنفسه المطبعة والضباط».

* * *

ولم تنته رواية مرتضى المراغى عند هذا الحد.. بل يحكى لنا ما ناله من تعنيف وتوبيخ من الملك فاروق عقاباً على ما قام به ضد الضباط الأحرار.

يقول المراغى: كنت فى منزلى الساعة الثالثة بعد الظهر أستريح على مقعد طويل بعد تناول الغداء عندما سمعت صوت التليفون..

قلت: من المتكلم؟!

فرد قائلاً: أنا فاروق.. هل أنت مرتضى؟!

قلت: نعم يا مولاى

قال: ما هذا الذى صنعته؟! لقد أقدمت على إجراء خطير.. بل خطير جداً.. كيف ترسل البوليس ليفتش ثكنة الجيش؟.

قلت: لقد أرسلت البوليس لأن مخابرات الجيش لا تقوم بواجبها إنهم يقدمون تقارير تافهة تنصب كلها على أن الحزب الاشتراكى والشيوعيين هم الذين يقومون بطبع المنشورات، وينسبونها إلى الضباط الأحرار. وأبديت شكوكى لحيدر باشا فأكد لى أن «سيف اليزل» و«على صبرى» وهما رؤساء المخابرات العسكرية والطيران من أكبر المخلصين للعرش فهل قرأت يا مولاى هذه المنشورات؟!.

قال الملك: طبعا قرأتها. وهى كلام عيال ولعب عيال! وأنا واثق من إخلاص جيشى!!. ثم أنهى المكالمة وفى الصباح أخلى سبيل الضباط الستة!.

ويتساءل مرتضى المراغى: كيف عرف الملك بما حدث؟! ومن الذى قدم له الخبر على أنه مؤامرة ضد الجيش وليسْ ضده شخصياً.

وفى إجابته على ذات السؤال قال بالحرف الواحد: لقد كنت عقب اكتشاف المطبعة التى تأكد أن اليوزباشى مصطفى وزميله اليوزباشى خالد يستخدمانها فى طبع المنشورات الخاصة بالضباط الأحرار.. حينئذ أصدرت الأوامر باحتجاز مصطفى رهن التحقيق.

وفى الواحدة ظهراً من نفس اليوم علمت ناهد رشاد[٣] من صديق لمصطفى نبأ التفتيش الذى حدث فى ثكنة الجيش بالمعادى واحتجاز مصطفى.. كما أبلغها صديق مصطفى وكان من الضباط الأحرار. أنه ينتظر عقوبة السجن، وأن أمر الكثيرين سيفتضح. وأن التحقيق سيجر أشخاصاً آخرين ولابد أنه سوف يكشف أسرارا كثيرة وأضاف لناهد هانم بقوله: وعليك أن تعملى شيئاً وفورا.. ونحن نعلم نفوذك على الملك اسرعى أرجوك يا سيدتى.

وبعد تفكير غير طويل.. أبعدت فكرة الذهاب للملك كى تخلص مصطفى خشية أن تزيد شكوكه التى بدأت تساوره من أن لها علاقة غرامية بمصطفى.. إذن لم يكن أمامها سوى الاتصال بحيدر باشا..

تناولت ناهد أو نهى التليفون وطلبت حيدر فى مكتبه.. فرد عليها بترحاب كبير. لما يعرفه من نفوذها لدى الملك.. ومن واقع التسجيل عرفت أن ناهد هانم قد طلبت من حيدر باشا أن ينقل احتجاجها الشخصى على مسلكى تجاه الضباط الأحرار إلى الملك فاروق شخصياً!. ولكنه طلب منها أن تذهب بنفسها إليه كى تبلغه بما حدث حيث تعلل حيدر باشا وقتها بأن المنشورات المضبوطة فيما طعن شديد بالملك وتحض على الثورة..

وبالفعل عرفت ان ناهد رشاد هى التى ذهبت إلى الملك.. وبعدها

(٣) لاحظت أن مرتضى المراغى كثيرا ما يستخدم اسم «نهى» بدلا من ناهد» وقد علل لنا ذلك فى بداية مذكراته.

تناول التليفون معنفا إياى على ما قمت به ضد منشورات الضباط الأحرار.

* * *

كلما تعمقنا أكثر فى قراءة مذكرات الشخصيات التى ارتبطت بالضباط الأحرار وبالأحداث التى عاصرت ظهور هذه الحركة حتى قبل قيامها بالانقلاب ليلة ٢٢ يوليو عام ١٩٥٢.. كلما زاد لدينا اليقين بأن ناهد رشاد كانت تعلم مسبقا بتحركات هؤلاء الضباط.. وربما كانت تعرف أيضا الموعد الحقيقى لثورة الضباط.. لقد كان الموعد المتفق عليه هو ٥ أغسطس من نفس العام، ولكنه ونظراً لتلاحق الأحداث بسرعة لم يكن يتوقعها هؤلاء الضباط ابتداء من يناير عام ١٩٥٢ فقد قرر زعيمهم جمال عبد الناصر ضرورة التعجيل بتنفيذ هذا الأمر خوفا من الكشف عن شخصيتهم الحقيقية وإلقاء القبض عليهم. ونحن نعتقد أن ناهد رشاد وبناء على ما سبق من روايات وأحداث.. قد فوجئت بتغيير الموعد وتقديمه أكثر من عشرة أيام.. حيث قامت الحركة فى الجيش ليلة ٢٢ يوليو وليس ٥ أغسطس.

ولقد تحدثنا من قبل عن أهم مصادر ناهد رشاد فى معرفتها لتفاصيل تحركات هؤلاء الضباط.. وركزنا فى الحديث على مصطفى كمال صدقى وبقية رفاقه من ضباط الحرس الحديدى الذى كانت ترأسه حتى بعد أن تخلى هذا الحرس عن الملك فاروق الأمر الذى

جعله يهدد أغلب أعضائه بالانتقام منهم فأقدم على قتل الضابط عبد القادر طه. .

* * *

وبخلاف هذا المصدر الحيوى الذى استقت منه ناهد هانم معلوماتها عن هؤلاء الضباط الذين كان هدفهم الأول والأخير الإحاطة بفاروق تماما مثلما كانت تهدف مع اختلاف الدوافع والأسباب. كان هناك مصدر آخر أكثر أهمية وقيمة من مصطفى كمال صدقى ورفاقه. . إنه الضابط محمد أنور السادات الذى لعب دور الازدواجية فى إمداد ناهد رشاد بالمعلومات الصحيحة عن هؤلاء الضباط ليس من أجل عيون ناهد كما كان يفعل مصطفى صدقى. . بل. . من أجل عيون رفاقه من الضباط الأحرار. . لقد كان يعمد إلى تسريب بعض أخبار هؤلاء الضباط إلى ناهد هانم من أجل أن يعرف ردود فعلها داخل السراى. . وبالتالى يبلغ زملاءه على الفور بردود هذه الأفعال.

ولعلى على يقين من أن السادات قد لعب دورا هاماً وخطيراً فى آخر مراحل الإعداد للثورة. وربما يرجع إليه الفضل فى تغيير الموعد من ٥ أغسطس إلى ٢٣ يوليو ومما يؤكد ما ذهبنا إليه هو شهادة الدكتور محسن عبد الخالق عضو تنظيم الضباط الأحرار وأحد أبطال مصر فى حرب فلسطين والذى ترجع علاقته بجمال عبد الناصر إلى حرب فلسطين أثناء حصار الفالوجا الشهير.

يقول محسن عبد الخالق: إن جمال عبد الناصر كان على علم باتصال السادات بالدكتور يوسف رشاد. بل قام بتنفيذ أشياء طلبها منه جمال عبد الناصر[٤] وما كان عبد الناصر يكلف السادات بالاتصال بيوسف رشاد وزوجته فى المراحل الأخيرة من الاعداد للقيام بالثورة. إلا إذ كان يعرف مثل غيره علاقة السادات القديمة بالدكتور يوسف طبيب الملك الخاص. . لذلك علينا أن نتحدث عن تأصيل هذه العلاقة وكيف تطورت إلى الحد الذى جعل الدكتور يوسف يثق فى اليوزباشى أنور السادات فى الوقت الذى كان فيه السادات يستثمر هذه العلاقة لخدمة تنظيم الضباط الأحرار.

* * *

لقد كثر الحديث وخرجت العديد من الكتابات تتحدث عن علاقة الضابط محمد أنور السادات بالحرس الحديدى الذى كان يستخدمه الملك فى تصفيه خصومه جسدياً.

البعض يؤكد أن السادات كان عضوا بارزا فى الحرس الحديدى، كما كانت تربطه علاقة وثيقة بالدكتور يوسف رشاد زوج السيدة ناهد بكير وهو الذى أعاد السادات إلى الجيش مرة أخرى عام ١٩٥٠. وهناك كتابات أخرى تشير إلى أن علاقة السادات بالحرس الحديدى بدت غامضة وليس هناك ما يؤكد أنه كان عضوا فى الحرس الحديدى. . بل الشيء الثابت والمؤكد وجود علاقة قوية بين يوسف

(٤) السادات أسطورة لغز ـ رشاد كامل.

رشاد والسادات[٥] هذه العلاقة يحدثنا عنها السادات فيقول: هناك على شاطىء البحر الأبيض بلاج غاية الجمال.. كانت تشغله فى عام ١٩٤١ وحدات من الجيش المصرى.. وكنت أنا وقتها ضمن هذه الوحدة مبعداً بأمر المخابرات. وهناك فى «الجراولة» كما كانوا يسمونها تعرفت على ضابط طبيب اسمه يوسف رشاد وكانت خيمته إلى جانب خيمتى وتصادقنا.. فقد كان دمث الأخلاق مثقفاً يقرأ كثيراً، ولا يكاد الكتاب يفارق يده. وبلغت بنا الصداقة حد التلازم.. فكنا لا نفترق إلا ساعة النوم.. نطهو طعامنا معا ونأكل معاً ونتحدث ونفكر ونقرأ معاً. ومرت الأيام، وابتعد كل منا عن الآخر ولكن صداقتنا ظلت كما هى، لم يخدشها شىء.

وبعد إنهاء خدمتى من الجيش كان يوسف رشاد هو أملى الوحيد، فقد أصبح طبيبا فى الحرس الملكى ولا أعتقد أنه سيرد لى طلباً.. لذلك بادرت بالاتصال به. ومن ثم طلب منى زيارته فى منزله. وهناك شرحت له حالى وكيف أن النيابة قد استأنفت الحكم الصادر ضدى وأن الاستئناف قد نظر فى أواخر عام ١٩٤٩ وأيدت المحكمة حكم براءتى.. فلم يكن هناك إذن ما يمنع من عودتى إلى الجيش. وقد استمع يوسف رشاد إلى قصتى وهو يدخن غليونه فى هدوء ووعد بأنه سيتصل بى فى أقرب وقت. وما هى إلا أيام قليلة حتى اتصل بى يوسف رشاد، وكان ذلك على وجه التحديد يوم ١٠ يناير عام ١٩٥٠، وطلب منى أن أقابل حيدر باشا قائد عام القوات

(٥) فاروق والحرس الحديدى ـ مصدر سابق.

المسلحة.. ثم صدرت النشرة العسكرية بعودتي إلى القوات المسلحة اعتباراً من ١٥ يناير عام ١٩٥٠ برتبة يوزباشي وهي الرتبة التي خرجت بها. وكان زملائي في الجيش قد سبقوني برتبتين هما رتبة «صاغ» ورتبه «بكباشي». وكان أول من زارني مهنئا جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر.

ولعل عودة السادات إلى الجيش عن طريق يوسف رشاد تترك ظلالاً كثيفة على طبيعة العلاقة الجديدة بينهما، خاصة وأنه عاد والحرس الحديدي كان في أوجه نشاطه بعد تجديد دمائه وقبول أعضاء جدد فيه.

وهناك فريق من المؤرخين يرى أن علاقة السادات بالسراي والقصر كانت أقدم من علاقته بالدكتور يوسف رشاد الذي منحه إعانة مالية قدرها ألف جنيه بعد طرده من الخدمة العسكرية. لقد كان الملك فاروق معجبا بالسادات عندما تم اتهامه في الاشتراك في اغتيال أمين عثمان الذي عرف بصلاته الوثيقة بالإنجليز الذي كان فاروق يكرههم خاصة بعد حادث ٤ فبراير.

وحتى عندما عاد السادات إلى الجيش من جديد بدأ يعيد حساباته في كيفية استغلال موقعه الجديد بالقرب من السراي عن طريق يوسف رشاد في العمل على تأمين زملائه الضباط الأحرار وطبعاً ناهد هانم لم تكن بعيدة عن كل هذه الاتصالات... بل بالعكس كانت أقرب من هذه الاتصالات أكثر من زوجها يوسف رشاد. وذلك

نظرا لما كانت توليه من اهتمام خاص بأخبار الضباط الأحرار. .
وهاهى قد علمت بوجود واحد منهم بالقرب منها ومن زوجها. إذن
معلوماته سوف تكون أصدق وأسرع.

والسادات يعترف فى أوراقه الخاصة بالدور الذى لعبه لصالح
زملائه الضباط الأحرار داخل سراى الملك فيقول فى كتابه «صفحات
مجهولة» : بعد حريق القاهرة فى ٢٦ يناير عام ١٩٥٢ . . كان علينا
أن نراجع حساباتنا وأن نعرف أين نقف بالضبط! وهنا تذكرت يوسف
رشاد الذى أصبح طبيب الملك الخاص وصلة الصداقة التى تربطنى
به. . فقد آن الآوان لكى أستخدم هذه الصلة لمصلحة القضية التى
نعمل من أجلها. وبالفعل اتصلت بيوسف رشاد وكان فى ذلك
الوقت صديقاً شخصياً للملك فاروق. كما كان على رأس جهاز
معلوماته الخاص بالسراى.

وجدت يوسف رشاد يأخذ كل ما أقوله له أمراً مسلماً به. .
فلاجدال ولا مناقشة فى الموضوع. ولاشك من أى نوع. . لقد كان
الطريق مفتوحاً اذن لتضليل الملك وتخديره حتى يقوم تنظيمنا
بالثورة.

والحقيقة ـ والكلام لايزال للسادات ـ إن هذا ما فعلته . . فكنت
أقدم له المعلومات خاطئة . . وعندما كانت تعرض عليه المنشورات
الخاصة بالضباط الأحرار كنت أوهمه أنها من صنع الخيال . . وعندما
كانت تصل إليه بعض الحقائق. . كنت أعمل جاهداً على تصويرها

فى عينيه على أنها أكاذيب ومبالغات لانصيب لها من الصحة . . فقد كنت دائم السعى للتحايل من أجل التعرف على أخبار الملك ونواياه، ونجحت إلى حد كبير فى تحقيق هدفى.

ويرى بعض المؤرخين الذين ربطوا بين الدور الذى قام به السادات وبين علاقته بيوسف رشاد . . أن السأدات كان عليه أن يمد السراى من خلال صديقه طبيب الملك الخاص ببعض المعلومات الصحيحة عن خلايا الضباط الأحرار وعن الجيش استناداً لما ذكره الضابط جمال منصور على لسان اليوزباشى سيد جاد قبل وقوع الثورة بأيام. بل أكثر من ذلك يرى هؤلاء المؤرخين أن الذى توسط لدى الملك فاروق لعودة السادات للجيش ليس يوسف رشاد كما روى ذلك بنفسه . . بل هى زوجته السيدة ناهد رشاد. التى اتصلت فوراً بحيدر باشا من أجل إعادته إلى مكانه فى الجيش. ويؤكد ذلك ما رواه الكاتب الصحفى حمدى لطفى فى دراسته التى نشرت عام ١٩٨٢ بعنوان «خطأ عبد الناصر فى ليلة الثورة». حيث قال إن اليوزباشى مصطفى كمال صدقى أبلغه فى حديث خاص بينهما أن الحرس الحديدى استطاع ضم السادات إليه مرتين . . الأولى فى الفترة التى كان متنكراً فيها قبل عام ١٩٤٥ عن طريق الدكتور يوسف رشاد . . وفى هذه الفترة اشترك السادات فى مقتل «أمين عثمان» . . بدليل تهريب حسين توفيق من السجن إلى سوريا بتعليمات من الملك وبراءة السادات وآخرين من المتهمين فى هذه القضية. كما قال مصطفى صدقى أيضاً إن السادات اشترك معه فى محاولة اغتيال النحاس باشا فيما بعد:

ولما خرج السادات من الجيش قدم له الملك فاروق مكافأة خاصة حين قبل وساطة السيدة ناهد رشاد من أجل إعادته إلى القوات المسلحة وتسهيل حصوله على ترقياته التى حرم منها، وأن عبد الناصر كان يعرف هذه الحقيقة.

غير أن السادات ومنذ عودته الأخيرة للجيش طلب نقله إلى سيناء.. وطوال هذه الفترة حرم على نفسه القيام بأى نشاط لحساب الحرس الحديدى، حتى عاد إلى القاهرة ليلة ٢٢يوليو عام ١٩٥٢ وهذا ما جعل عبد الناصر يطلب منه فى بداية عام ١٩٥٢ الاشتراك معهم وتجنيد بعض ضباط الإشارة فى رفح لحساب الضباط الأحرار.

ورداً على ما قامت به ناهد هانم رشاد للسادات فى ذلك الوقت فقد كان يحاول من آن لآخر أن يسرب إليها بعض أخبار تنظيم الضباط الأحرار.. فربما علم بما فى صدرها من ضيق وكراهية زادت مع الأيام تجاه الملك فاروق. ويؤكد هذا الرأى ما رواه اليوزباشى سيد جاد حين قال إن ناهد رشاد قد أخبرته بأن أنور السادات قد أبلغها بأن الجيش على وشك الانقضاض عليها.. وأبدى لها الاحتمالات الكبيرة لوقوع ذلك، أملاً فى أن تبحث لها عن مخرج يحميها حين وقوع الانقلاب مثلما فعل العديد من رجال الحرس الحديدى!.

وفعلاً قد بدأ كل فرد من ضباط الحرس الحديدى يبحث عن آخر من الضباط الأحرار كى يحمى ظهره ويكون سنداً له لكى تقبل عودته إليهم.

بل أكثر من ذلك يقول سيد جاد : «لقد رأيت مرة السيدة ناهد رشاد وهى تبكى. . فسألتها عن السبب قالت إن الأمور قد تغيرت كثيراً!» ولا يمكن لامرأة أن تقول مثل هذه العبارة إلا إذا كانت تعلم بالفعل ماسوف تأتى به الأيام. . وربما لم يكن سيد جاد يعلم أن ناهد تبكى دموع الفرح. . فقد أخبرها السادات بقرب رحيل الملك فاروق غريمها الأول والأخير.

وبعد رحيل الملك..
وقفت تدلى بأقوالها

لم يكن الملك فاروق يعلم أن ذلك الضابط الأسمر الذى أثار إعجابه حين علم بمقتل الوزير أمين عثمان والذى توسطت من أجله ناهد هانم رشاد حتى يعود مرة أخرى إلى موقعه داخل الجيش عام ١٩٥٠ بعد ماطرد منه لسنوات طويلة. هو ذلك الضابط الذى سوف يذهب إليه بعد عامين ونصف فقط كى يجعله يوقع على وثيقة تنازله عن عرش مصر رغم أن هذا الضابط هو نفسه الذى شارك فى تنفيذ العديد من العمليات التى قام بها الحرس الحديدى.. وهو التنظيم السرى الذى كونه الملك فاروق لاغتيال خصومه. وقد نال وقتها إعجاب الملك.. بل وإعجاب كل حاشيته الأمر الذى جعله يأمر طبيبه الخاص بصرف إعانة ألف جنيه.. وصرف أتعاب المحاماة فى قضية أمين عثمان وتهريب زميله حسين توفيق إلى خارج مصر..

لقد استطاع اليوزباشى محمد أنور السادات بذكائه أن يحافظ على

التوازن فى علاقاته مع الضباط الأحرار من جهة ومع رجال السراى من جهة أخرى. . وعلى وجه الخصوص مع كل من الدكتور يوسف رشاد وزوجته ناهد هانم. حتى أنه بعد قيام الثورة واختياره من قبل قيامها عضواً بالهيئة التأسيسية للتنظيم. . ثم عضواً بارزاً فى مجلس قيادة الثورة حاول الحفاظ على هذه العلاقة بكل ما أوتى من سلطات. ولعلنا سوف نلاحظ أن ما قدمه السادات للدكتور يوسف وزوجته ناهد رشاد يفوق كل ما قدماه له من مساعدات أو من معلومات سواء فيما يخص ردود فعل أخبار الضباط الأحرار داخل السراى . . أو إعادته إلى الجيش من جديد.

وابتداء من ليلة السادس والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ ـ وبعد رحيل فاروق وحاشيته خارج مصر إلى إيطاليا. ـ بدأت الحياة تتغير فى مصر. . ليس بالنسبة لضباط الجيش الذين شاركوا فى الانقلاب العسكرى. . . بل أيضاً بالنسبة لمن تبقى فى مصر من رجال القصر. .

ومن أهم هذه المتغيرات سيطرة رجال الجيش على مقدرات الإنسان المصرى. . منذ أن أعلن عبد الناصر انتهاء دور الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار واستبدالها بمجلس قيادة الثورة الذى بدأ فى تولى شئون البلاد فى كل المجالات.

وقد واكب هذه المتغيرات أيضاً عقد المحاكمات العاجلة والسريعة لرجال العهد البائد أو العهد الملكى السابق كما أسموه حينذاك وطبعا ـ بالإضافة إلى محاكمة السياسيين الذين شاركوا فى الحياة السياسية فى هذه الآونة.

ولكن أكثر ما يهمنا فى هذا الأمر هى تلك المحاكمات التى عقدت ابتداء من عام ١٩٥٣ سواء تلك المحاكمات التى أجريت لبعض مرتكبى جرائم القتل قبل قيام الثورة. والتى كان أشهرها قضية مقتل الضابط «عبد القادر طه» حيث رأتها الثورة فرصة لتعرية نظام الملك فاروق وإلصاق التهم برجاله وحاشيته المقربين، أو تلك المحاكمات التى أجريت لبعض السياسيين الذين اتهموا بالفساد السياسى أيام الملك.

ومن خلال متابعة متأنية لعدد القضايا التى نظرت سواء بعد الثورة أو قبلها.. اكتشفنا أن معظم أبطالها كانوا من رجال الحرس الحديد.. لذلك لم يكن غريبا أن نقرأ عن تكرار ذكر يوسف رشاد وزوجته ناهد رشاد فى معظم هذه المحاكمات.. ومع ذلك لم يمسهما سوء أو أى نوع من أنواع الأذى أو العقوبات المفروضة فى مثل هذه الجرائم، خاصة وأنها جميعا كانت جرائم قتل عمد مع سبق الإصرار.

ويبدو أنه كان للسادات دور هام وعظيم فى هذا الأمر.. ولا أريد أن أقول إنه كان ذا تأثير على رجال القضاء.. بل أقول إنه قد شملهم بحمايته وحماية زعيم التنظيم جمال عبد الناصر الذى كان يعلم مسبقاً بكل اتصالاته مع يوسف رشاد ومع زوجته ناهد هانم.

أيضاً ومن خلال الاطلاع على تحقيقات النيابة فى معظم هذه القضايا التى شملت الدكتور يوسف وزوجته.. اكتشفنا أن ناهد رشاد قد تحولت إلى «شاهد ملك» على فساد فاروق ورجاله وحاشيته..

وقبل أن نغوص سوياً فى وقائع هذه التحقيقات كى نكتشف معاً موقف ناهد رشاد وزوجها الدكتور يوسف جناثياً، نشير إلى تلك الواقعة التى تدلك على صدق ما ذكرناه بخصوص هذه الحماية التى فرضها السادات ومن خلفه عبد الناصر على ناهد وزوجها باعتبارهما أديا خدمات متميزة لتنظيم الضباط الأحرار.

ذكر السادات فى أوراقه الخاصة قوله: «بعد التخلص من الملك طلب منى مجلس قيادة الثورة اعتقال يوسف رشاد وزوجته.. فوجىء المجلس بى وأنا أدخل الاجتماع أحمل فى يدى حقيبة ملابس وأقول لهم: يوسف رشاد هذا الذى تتكلمون عنه أنا فعلت معه كذا.. كذا.. وعبد الناصر يعلم كل التفاصيل. ولذلك إذا اعتقلتم يوسف رشاد فيجب أن تعتقلونى معه.. وأنا على أتم استعداد لذلك.. وترون معى حقيبه ملابسى.. فهذا أمر خلقى ومبدئى بالنسبة لى». ولم يعتقل يوسف رشاد وتركوه وشأنه إلى أن مات.

ورغم ما ذكره السادات بهذا الشأن.. إلا أننا اكتشفنا اعتقال يوسف رشاد فى سبتمبر عام ١٩٥٢ ضمن ٥٤ سياسيا مصريا من المشتغلين بالحياة العامة. وقد أكدت هذا الخبر مجلة «الاثنين والدنيا» الصادرة فى ١٥ سبتمبر عام ١٩٥٢.. ولدينا كذلك ضمن ألبوم الصور الخاص. صورة ليوسف رشاد وهو سجين فى أحد المعتقلات.

ويبدو أن السادات قد رضى بهذا الاعتقال المؤقت فى مقابل إطلاق سراح ناهد رشاد باعتبارها سيدة مريضة.. وقد قدمت الكثير

لرجال الثورة. . ومع ذلك لم تطل مدة اعتقال يوسف رشاد أكثر من شهرين. . بعدها عاد حراً طليقاً. ومن ثم تحول هو الآخر إلى شاهد ملك على فساد أيام حكم فاروق. ولدينا فى نفس الألبوم ما يثبت ذلك. . حيث توجد صورة فوتوغرافية له ولزوجته ناهد هانم وهما داخل قاعة المحكمة.

* * *

لقد سبق لنا الحديث عن ذلك التنظيم السرى الذى أُطلق عليه الحرس الحديدى والذى كونه الدكتور يوسف رشاد بإشارة ضوء أخضر من الملك فاروق ابتداء من عام ١٩٤٣. . كما تحدثنا عن موقع ناهد رشاد داخل هذا التنظيم. . وكيف كانت تقود كل عمليات الانتقام التى نفذها رجال الحرس الحديدى. . لذلك حينما نتحدث الآن عن الجرائم التى ارتكبها الملك فاروق ورجاله. . وتحولت إلى محاكمات صاخبة بعد قيام الثورة. كان لابد لنا أولاً أن نتوقف عند تلك الجرائم التى ارتكبها الحرس الحديدى بالذات. . هذه الجرائم التي وقعت تحت سمع وبصر ناهد رشاد، بل واشتركت فى التخطيط لها والإشراف على تنفيذها.

ومن بعد إلقاء الضوء على هذه الجرائم التى تمكنت ناهد رشاد وزوجها من الإفلات من عقوبتها، سوف نتحدث كذلك عن تلك المحاكمات الصاخبة التى كشفت عنها تحقيقات النيابة بعد الثورة والتى تحولت فيها ناهد رشاد إلى شاهد ملك. . سواء بقوة القانون. . أو بقوة ونفوذ وحماية رجال الثورة.

يقول سجل تاريخ جرائم رجال الحرس الحديدى الذى كانت تشرف عليه ناهد رشاد إن أول ما تم تنفيذه من هذه الجرائم كانت محاولة اغتيال النحاس باشا. . وتعود قصة هذه الجريمة إلى ما بعد حادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢، وما شعر به الملك فاروق من إهانة قد لحقت به من جراء موقف الإنجليز منه والضغط عليه. وربما وكما يرى بعض المؤرخين يكون السبب الرئيسى وراء تكوين الحرس الحديد هو رغبة الملك فى الانتقام من مصطفى النحاس شخصياً وتصفيته جسديا. . وهذا القول يؤكده لدينا مرتضى المراغى فى مذكراته حين قال: «تذكرت ناهد رشاد مبلغ غضب الملك فاروق للإهانة التى لحقت به يوم ٤ فبراير ودار فى خاطرها هل ترى يريد منا أن نطلب من هؤلاء الضباط عملاً ضد من أهانوه؟! ولكى تعبر عن هذا الخاطر سألت فاروق ببراعة. .

- مولاى . . هل تطلب تكليفهم عملاً خطيراً؟!

قال الملك : نعم خطير جداً

قالت ناهد : إلى أى حد؟!

قال الملك : إلى أبعد الحدود. إلى حد القتل!. سوف أصارحكما مباشرة. . إننى أريد قتل النحاس وأمين عثمان انتقاماً من الإهانة التى لحقت بى. . وكنت كذلك أود قتل السفير البريطانى مايلز لامبسون. . ولكن كل الأصابع ستشير نحوى بأننى المحرض على قتله، ولن أنجو من الخلع عن عرشى. . . أما النحاس وأمين عثمان

فكل ما سيفعله الانجليز أن تقوم جريدة التايمز برثائهما وتعداد مزاياهما.

إننى سوف أصبر على النحاس حتى أتمكن من إقالته هو وأمين عثمان من منصبيهما ليصبحا مقصوصى الجناح وبالتالى يسهل اصطيادهما. ولن تكون أداة التحقيق نشيطة فى البحث عن الفاعل كما لو كان على رأس الحكومة.

وواضح من رواية مرتضى المراغى.. أنه كان هناك اتفاق جنائى بين الملك ويوسف وناهد حول ارتكاب جرائم قتل وتصفية خصوم الملك. ولانعرف السبب الذى لم يجعل الإجراءات القانونية تأخذ مجراها الصحيح سواء ضد الملك أو ضد بقية العناصر المشتركة فى الجريمة حتى بعد قيام الثورة. وعلى أية حال لم تكن هذه هى جريمتهم الأولى.. بل كانت مجرد افتتاح لموسم اصطياد رؤوس الرجال.

وبعد الاتفاق الذى أبرمه الثلاثة فور الانتهاء من وضع اللمسات النهائية لتكوين الحرس الحديدى.. بدأت ناهد ومن ورائها زوجها ورجال هذا التنظيم السرى فى الإعداد لجرائمهم. التى بدأت بمحاولات اغتيال النحاس ومن قبله أمين عثمان وزير ماليته..

لقد دفع الملك فاروق إلى يوسف رشاد مبلغا كبيرا من المال لشراء ثلاث سيارات مستعملة وفى حالة جيدة. وقد اشتريت هذه السيارات بأسماء مستعارة، كما أعدت لها نمر مزيفة.. بجانب ذلك تم شراء عدة بنادق رشاشة وقنابل يدوية وديناميت.

وكانت أولى مهام هذه المجموعة المسلحة اغتيال أمين عثمان. وقد نجحوا فيها.. ونفذها حسين توفيق بإطلاق النار عليه أثناء وجوده على سلم العمارة التى كان بها نادى النهضة. ويعترف السادات فى أوراقه الخاصة أنه اشترك فى الإعداد لهذه الجريمة. وإن لم يكن قد حضر الاتفاق الجنائى على تنفيذها. ويبدو أنه لم يكن يعلم بهذا الاتفاق الذى صاغه الملك فاروق ونفذه الدكتور يوسف رشاد وزوجته ناهد هانم.

ثم جاء الأمر الملكى لنفس أعضاء هذه المجموعة الحديدية باغتيال مصطفى النحاس. وكان فاروق قد تربص به واستثمر الآثار الاقتصادية التى انعكست فى صورة غلاء الأسعار، ووجه إليه خطابا عنيفا أقاله فيه يوم ٨ أكتوبر عام ١٩٤٤.

وقد أعد رجال الحرس الحديدى خطتين لقتل مصطفى النحاس.. ثم أتبعوها بمحاولة ثالثة.. حينما فشلت الخطتان الأولى والثانية. وقد اعترف السادات أيضا فى اشتراكه فى هذه المحاولات.

ففى المرة الأولى حين أعطى الملك فاروق الإشارة لرجال هذه المجموعة بتنفيذ المهمة.. تربص مصطفى كمال صدقى وفهمى وإبراهيم لمصطفى النحاس وكانوا قد علموا بأنه سيذهب إلى مأتم أحد الأصدقاء. وخرج النحاس من داره وأمامه حارسان فأطلقوا عليه مدفعا رشاشا. لم يصب النحاس وجرح الحارسان.. أما رجال الحرس الحديدى فقد هربوا قبل أن يعرفوا نتيجة ما فعلوه.

لقد ذهب اثنان منهم إلى منزليهما.. أما الثالث وهو اليوزباشي فهمى فقد ذهب إلى منزل يوسف رشاد. وكان فى انتظار أن يعرف نتيجة هذا الاغتيال فى حين كان الملك فاروق يجلس فى غرفة مكتبه. الذى لم يغادره كالعادة يوميا إلى نادى السيارات.

وفى الساعة العاشرة مساء، دق جرس التليفون فى منزل الدكتور يوسف.. وكانت زوجته ناهد أسبق الجميع إلى التقاط سماعة التليفون، وحين سمعها مصطفى صدقى أبلغها: مبروك يا مدام انتهى أمر الخائن.

وبسرعة أدارت من فورها رقم تليفون الملك الخاص وعندما سمعت صوته انطلقت بفرح: مبروك يا مولاى.. انتهى كل شىء وحققنا رغبتك.. ولكن فاروق كان قد علم أن النحاس قد نجا فصرخ فى وجهها وأغلق التليفون.

وفى محاولة جديدة من الملك للتخلص من غريمة السياسى الأول مصطفى النحاس كلف رجال الحرس الحديدى لإعادة محاولة الاغتيال من جديد.. وبدلا من استخدام المدافع الرشاشة.. ذهبوا فى سيارة مملوءة بالديناميت وأوقفوها أمام منزله.. ثم تركوها وذهبوا حيث ركبوا سيارة أخرى.. وبعد ربع ساعة انفجرت السيارة وتطايرت الشظايا.. وحطمت سور المنزل.. ودخلت شظية غرفة نومه. ولكن النحاس لم يصب بأذى وقال أهل مصر وقتها إن النحاس من أولياء الله الصالحين. لأن النحاس قد نجا من قبل من خمس محاولات

اعتداء حتى أيام الملك فؤاد والد فاروق. هذه السلسلة الطويلة من حوادث الاغتيالات الفاشلة التي وجهت من قبل القصر إلى النحاس قد بدأت منذ عام ١٩٣٠

وكانت أول محاولة للتخلص منه كرجل سياسي كبير قد حدثت فى عهد وزارة إسماعيل صدقي.. وجاءت المحاولة الثانية عام ١٩٣٧[١] حين أطلق أحد شباب حزب مصر الفتاة الرصاص على سيارته، ولكنه تمكن من النجاة.. أما المحاولتين الثالثة والرابعة فقد وقعتا عام ١٩٣٨، ١٩٤٥..

ويبدو أن المحاولتين الأخيرتين قد وقعتا عام ١٩٤٨ على يد رجال الحرس الحديدى.. ولكن لم يكتب لهما النجاح كذلك.

ولقد سبق أن ذكرنا أن محاولات اغتيال النحاس قد تمت مع سبق الإصرار والترصد كجريمة اشترك فى تنفيذها الملك ويوسف رشاد وزوجته ناهد بكير.. بالإضافة إلى ثلاثة من أعضاء تنظيم الحرس الحديدى.. وما يؤكد توافر أركان هذه الجريمة ما يحكيه لنا سيد جاد.. عضو الحرش الحديدى.. باعتبار أن فشل محاولات اغتيال النحاس كان السبب الرئيسى الذى دعا ناهد رشاد كى تجنده فى صفوف تنظيم الحرس الحديد.. فربما ينجح فى تنفيذ المهام القادمة التى فشل فى تحقيقها الأعضاء القدامى بالحرس الحديدى..

وطبقا لرواية سيد جاد التى ذكر فيها أنه أثناء وجوده فى قطاع غزة

(١) ما لا يعرفه النحاس عن الزعيم مصطفى النحاس ـ على سلامة.

عام ١٩٤٨.. التقى بمستشفى غزة العسكرى بسيدة بالغة الجمال والجاذبية كان قد عرف منها آخر أخبار ما يجرى فى العاصمة.. ومن ثم تطرف الحديث بينهما إلى ما حدث فى جاردن سيتى.. وقد انتقد سيد جاد أمام ناهد رشاد الرجال الذين نفذوا عملية الاغتيال هذه التى نجا منها النحاس لكنه فوجىء بأن الحسناء أعادت سؤالها عما كان يمكن أن يحدث لو كنت أنا الذى أتولى أمر هذه العملية؟. فرددت عليها بقولى: كان الباشا قتل وتغير وجه التاريخ.

وتساءلت الحسناء المثيرة ـ والكلام لايزال على لسان سيد جاد ـ عن كيفية حدوث ذلك؟! ولم أجد أمامى غير أن أخرج ورقة وقلماً، ورحت أرسم لها ما كان يجب أن يتم.. وضحك جميع الموجودين.. إلا تلك السيدة الجميلة الغامضة..

وقد تصور اليوزباشى سيد جاد أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد.. ولكنه بعد أيام فوجىء بقرار نقله إلى القاهرة عضواً بالحرس الحديدى.. والذى لم يعرفه سيد جاد. أن هذه السيدة الحسناء قد أبلغت الملك فاروق بعثورها على نجم جديد يستطيع أن ينفذ عمليات الحرس الحديد بدقة.

أعود وأقول إنه طبقا لهذه الرواية.. فإن محكمة التاريخ لابد وأن تنعقد فورا وتعيد قراءة عريضة الدعوى.. كى تأمر بفتح ملف هذه القضايا.. حتى ولو كان المتهم فيها ناهد رشاد ملكة مصر غير المتوجة والتى أخذت العهد من رجال الثورة بحمايتها من دخول السجن.

وبالتالى تحولت إلى شاهده ملك. تروى للتاريخ ولمحكمة الثورة مساوىء عهد فاروق.. وهى التى شاركت فى صنع قسط كبير من هذه المساوىء.

وحين نلجأ إلى ملف القضيتين ونحاول أن نقرأ بعض ما جاء فيه من أدلة وبراهين واعترافات سوف نصاب بكثير من الدوار.. فقد ركزت المعلومات الموجودة فى ملف قضايا محاولات اغتيال النحاس على قضيتين فقط.. ويبدو أنهما كانتا أكثر القضايا التى ارتبطت بوجود الحرس الحديدى. هاتان المحاولتان تمت الأولى منهما فى ليلة ٢٥ إبرايل عام ١٩٤٨ فى محاولة لنسف منزله.. أما الثانية فقد تمت فى ٨ نوفمبر عام ١٩٤٨ أيضا.

وفى المحاولة الأولى كشفت التحقيقات القضائية لأول مرة عن وجود تنظيم الحرس الحديدى، وكيف دبر أعضاؤه وخططوا لاغتيال النحاس. وقد تولى تحقيق النيابة فى هذه القضية وكيل النيابة برهان الدين العبد.. ورغم الجريمة وتوافر الأدلة إلا أنها للأسف قد حفظت بتدخل الملك شخصيا.

وحين نقلب فى أوراق ملف هذه القضية نقرأ :

يقول العسكرى إبراهيم حليم حارس منزل مصطفى النحاس :

«فى الساعة ٢ صباحاً وكنت واقفا دركاً أمام منزل الرئيس السابق مصطفى النحاس وكنت مودى وشى ناحية بيت النحاس وظهرى ناحية بيت فؤاد سراج الدين، وما أشعر إلا وعربيتين جايين واحدة

إستيشن واجون من إللى معمولين بالخشب والثانية ملاكى. لونها أسمر والإستيشن واجون حمراء والملاكى السمراء كانت سابقة قبل ما تحصل البيت، فلما قربوا ناحية البيت.. العربية الحمراء الاستيشن كسرت على الثانية تأخرت ووجدت فى الحمراء يسوقها واحد لابس بدله برتبة صاغ.. ولما كسرت على العربية بتاعته تاهت عنى العربية السمراء».

وفى موضع آخر من التحقيق يقول العسكرى إبراهيم: «وكان معايا راجل خفير أذكر إنه اسمه أحمد ولا أعرف لقبه، فأيقظته وقلت له إن فيه واحد صاغ وواحد يوزباشى سابوا عربية هنا من غير نمر روح بلغ الرئيس مصطفى النحاس علشان يتصل بالحكمدارية ويقول لها. وأنا إللى دخلت جوه السراى وناديت وقولت يا رفعة الباشا لأن الرئيس مصطفى النحاس دايما بينام فى الغرفة المطلة على الباب!. وكان فى الوقت ده دخان طالع من العربية إللى واقفة من عند بوزها إللى بيحطوا فيه الميه.. وقبل ما أعدى الرصيف كان الدخان بيزيد.. وقبل ما أصل إلى الرصيف إللى عند فؤاد باشا سراج الدين العربية انفجرت وجاءتنى اصابة فى ظهرى ووقعت واتعورت»(١).

وفى أقوال مصطفى النحاس نلاحظ وجود اتهام مباشر للسراى بالقتل.. وبأن رجال الملك هم الذين دبروا هذا الحادث.. وعلل سبب ذلك بأنه لا يوافقه على العبث بدستور البلاد!.

---

(٢) من ملف القضية رقم ٢٦٢٢/٣٠٧ لعام ١٩٤٨، والخاصة بنسف منزل مصطفى النحاس.

وجاء فى أقواله التى أدلى بها فى نفس التحقيق :

اسمى مصطفى النحاس ٧٢ سنة مولود فى سمنود ومقيم بشارع النباتات بجاردن سيتى.

** ما هى معلوماتك فى قضية النسف التى حدثت فى ليلة ١٩٤٨/٤/٢٥؟

- فى ليلة هذا الحادث كنت نايم فى حجرتى سمعت فرقعة فى المنزل شديدة. كما رأيت جسماً كبيراً قد اخترق شباك حجرتى ووقع على ناموسية السرير وتعلقت بها فناديت الخادم فلم يرد على أحد.. وبعدها حضر البواب وطلبت منه مساعدتى للخروج. وكانت الحجرة مملوءة بالمسامير والزجاج والأخشاب. وكانت جميع النوافذ والأبواب محطمة ومتناثرة داخل الحجرة على شكل أكوام.. ووجدت جزءا كبيرا من المنزل تهدم وحصلت تلفيات كثيرة فى المنزل. وقد أثبت ذلك كله بمحضر معاينة الحادث.. فاتصلت تليفونيا بالنائب العام. وكان إذ ذاك الاستاذ محمود منصور وأبلغته.. وعلمت منه أنه على علم بالحادث وأنه أرسل رئيس النيابة، كما اتصل المنزل بالإسعاف.

** ما الذى تعتقده حضرتك فى الباعث على ارتكاب هذا الحادث؟!

- تعاقبت الحوادث للتخلص منى قبل هذا الحادث سواء فى الشوارع حيثما أكون وسواء كنت راكبا أم راجلاً. وسواء كان ذلك فى النادى السعدى أو فى دارى.. أو كنت ذاهبا إلى اجتماعات

والمعروفين بولائهم للملك فاروق.. خاصة بعدما تعرف الحارس على مصطفى كمال صدقى وأشار بأنه الذى كان يقود عملية النسف.. ومما يؤكد تورط العديد من ضباط الحرس الحديدى المرافقين لمصطفى صدقى الذى قام بتنفيذ كل هذه العمليات بناء على تعليمات وتوجيهات ناهد رشاد أو زوجها الدكتور يوسف الذى كان يأخذ تعليماته هو الآخر من الملك فاروق مباشرة. . ما جاء فى تحقيقات النيابة مع كل من محمد على حسانين ومحمد حسن السليمانى خادم الملك الخاص.. وشهادة أنطونيو بوللى ومع مصطفى كمال صدقى نفسه.. ولسوف نقتطف بعضا من هذه التحقيقات.. كى نتعرف على مدى الاشتراك الجنائى الذى ضم بعض رجال الحرس الحديدى فى مثل هذه الجرائم. وأيضا كيف حفظت هذه التحقيقات!!.

يقول محمد على حسنين

- اسمى على محمد على حسنين ٤١ سنة مهندس بمصايد الأسماك مولود فى ببا ومقيم بشارع الملكة نازلى ٣١ بالاسكندرية ومحبوس بسجن مصر الآن..

** ما هى معلوماتك فى حادث نسف منزل الرئيس السابق مصطفى النحاس؟!

- أنا كنت فى شركة السويس وعبد الرؤوف نور الدين كان بيتردد هناك.. وبيلم أسلحه للجامعة العربية.. فجاء مرة بعد نسف بيت النحاس بيومين أو ثلاثة فقلت له ربنا مش راح يهون لك بقه وترجع

الجيش! «قال والله يا على يا أخويا اللى حصل من يومين ثلاثة ربنا نجانا منه بإعجوبة وده تدبير ربنا. فقلت له حادث إيه؟!. قال لى حادثة النسف الأخيرة بتاعة بيت النحاس.. قلت له طيب مالك ومالها وانت راجل مسلم وبتصلى وتعرف ربنا كويس.. وبتقول إن جمع السلاح للجامعة العربية واجب دينى.. وكلنا لازم نساعد فيه.. أمال إيه حكاية بيت النحاس دى؟!. فقال لى والله يا على يا أخويا أهه نفدنا منها بأعجوبة. ويضيف على حسنين قوله: وحب الاستطلاع خلانى عايز أعرف ازاى الحادثه دى اتنفذت.. وكمان اللى عملها مين؟!.

ولما سألته قال لى: حصل إن سى يوسف رشاد ومصطفى صدقى الله يجازيه هو إللى عرفنا به ولمنا عليه بعد حادثة إبراهيم عطا الله وطلعونا فى الاستيداع وهو اللى لمنا على بتوع الملك على أن نخدمه ويخدمنا.. يعنى هتخدمه فى حاجات وطنية وكمان نخدم البلد.. فقلت له وهو خدمة البلد إنك تنسف بيت النحاس؟! وافرض يعنى إن النحاس مات؟!. وقلت كمان ازاى الحكاية دى حصلت؟!. قال إن السيارة جابها لنا مصطفى صدقى وعبد الله صادق.. والمواد الناسفة جابها لنا عبد الغفار عثمان من مخازن الجيش بواسطة عبد الله صادق! ويوسف رشاد وشوية جبناها من الجيش الإنجليزى وقعدنا يومين نوضب فى العربية وفى المتفجرات وراح عبد الرؤوف نور الدين ومصطفى صدقى وعبد الله صادق وعبد القادر طه. وكان عبد الله صادق وعبد القادر طه فى عربية استكشاف ومصطفى

صدقى وعبد الروؤف نور الدين هما إللى ودوا العربية ووقفوها وولعوا اللغم.

** وهل عرفت من عبد الرؤوف نور الدين كيف حصل على السيارات التى انفجرت بالمواد المتفجرة؟!

ـ هو قال لى إن اللى جابها مصطفى صدقى وعبد الله صادق!.

** هل لديك معلومات أخرى؟!.

ـ ما أعرفشى إلا بعد حادث نسف منزل النحاس.. رجعوا عبد الرؤوف نور الدين من الاستيداع إلى الجيش مرة أخرى.

ويقول مصطفى كمال صدقى فى نفس هذه التحقيقات عندما سأله وكيل النيابة :

** هل تعرف عبد الرؤوف نور الدين؟!

ـ أيوه صديق.

** وهل لعبد الرؤوف نور الدين صلة بعلى حسنين؟!.

ـ أعتقد ذلك.. ولكن عبد الرؤوف استشهد فى فلسطين عام ١٩٤٨.

** وما مدى صلة عبد الرؤوف بعلى حسنين؟!

ـ ما اعرفشى.

** هل عبد الرؤوف كان على صلة بالجامعة العربية؟!

ـ ما اعتقدشى.

** ألم يكن يتردد على السويس عام ١٩٤٨ فى وقت حرب فلسطين لجمع أسلحة للجامعة العربية ؟!.

ـ ما افتكرش إن عبد الرؤوف كان بيعمل حاجات زى دى.. ومع ذلك يمكن سؤال الجامعة العربية عن ذلك.

** قرر على حسنين بأن عبد الرؤوف نور الدين كان يتردد عليه بالسويس لجمع أسلحة للجامعة العربية بمناسبة حرب فلسطين. وأنه أخبره أنه سيقوم بنسف منزل الرئيس مصطفى النحاس بالاشتراك معك ومع سيد جاد، وأنه حصل بعد ذلك حادث نسف مصطفى النحاس.. فما قولك؟!.

ـ ذكر على حسنين هذا الكلام على ما أعتقد بعد أن اتهمته أمام حضراتكم بأن له دخل فى مقتل صديقى عبد القادر طه. وأعتقد أن ما دفعه إلى ذلك هو الوشاية بى بدون حق ودليلى ذلك أنه يستشهد بأقوال رجل قد مات من زمن طويل. إنها أقوال كاذبة بالمرة ومن أساسها إذ أننى لم أنسف بيت النحاس ولم أفكر فى ذلك مطلقا ولم أتفق مع عبد الرؤوف على مثل هذه الجريمة فى أى وقت من الأوقات[٣].

(٣) سوف نلاحظ فيما بعد أن اليوزباشى سيد جاد.. قد اعترف فى أوراقه الخاصة باشتراك مصطفى كمال صدقى معه فى تنفيذ هذه الجريمة.

** هل كان بينك وبين الدكتور يوسف رشاد صلة تتصل بحراسة الملك فاروق أو بتأليف قلوب الضباط حول الملك؟!.

ـ لم تكن هناك إلا صلة بينى وبين يوسف رشاد على عمل ما فيه المصلحة القومية.. ومصلحة مصر لا مصلحة أشخاص!

** ثبت من التحقيقات أن الدكتور يوسف رشاد كان يؤدى لك خدمات مثل استصدار العفو عنك.. وتكليف وكيل الأمن العام الأميرالاى محمد يوسف بالاتصال بك فى التحقيق الذى كان يجرى معك فى قضية إبراهيم عطا الله؟!.

ـ نعم لقد ساعدنى يوسف رشاد فى الإفراج عنى فى قضية قلب نظام الحكم عام ١٩٤٩.. وأشكر له هذا المجهود إذ سمح لى بمواصلة كفاحى بدلا من أن أمضى المدة موضوعا فى السجن. والدكتور يوسف رشاد لم يقدم لى بمفردى هذه المساعدة.. بل أول من ساعده يوسف رشاد هو اللواء محمد نجيب وكثيرين غيره من الضباط.

** جاء بتقرير الأميرالاى محمد يوسف المرفوع للملك السابق بمناسبة القبض عليك فى قضية الأسلحة التى ضبطت معك أن الدائر على الألسنة فى الداخلية وفى المحافظة أن المتهمين معك فى القضية المذكورة إذا ما عرضوا على شهود حوادث النسف والجرائم الأخرى خصوصا قضية النحاس باشا فإن بعض هذه الجرائم تنكشف فيها الحقائق؟!

ـ الأميرالاى محمد يوسف يقدر يقول زى ما هو عاوز ويقدر يكتب تقارير زى ما هو عايز ويستحسن سؤاله شخصيا عن الموضوعات دى. . إنما أنا لا أعرف ما يجول فى رأسه!.

** ثابت من التحقيق مع محمد حسن السليمانى أن حوادث نسف منزل مصطفى النحاس واطلاق الرصاص عليه كان بواسطتك وبالاتفاق مع الدكتور يوسف رشاد وجماعة الحرس الحديدى؟!.

ـ أولا أنا لا أعرف جماعة باسم الحرس الحديدى بالمرة. . ثم إننى أرجو أن أعرف الظروف التى أدت لمحمد حسن أن يقول هذا الكلام خصوصا بعدما عُرف بأنه ممن دبروا مقتل صديقى عبد القادر طه. وكان يدبر كذلك لقتلى. وإنى أتساءل هل يقول محمد حسن إننى أريد قتل قديس أو أتآمر على قتل رجل طيب؟!.

** شهد أنطونيو بوللى بأن الدكتور يوسف رشاد وعبد الله صادق أخذا منه من أموال الملك فاروق ثمن سيارة اشترياها لأغراض جماعة باسم المتطوعين من الضباط لحراسة الملك. وانهما استلما منه أيضا تكاليف تغيير لون هذه السيارة. وبعد ذلك أعادها إلى تفتيش أنشاص بأمر من الملك السابق. وقد دل فحص هذه السيارة على وجود آثار أعيرة نارية بها أطلقت من داخل السيارة. وقد أرشد شهود الحادث على أن هذه السيارة تشبه السيارة التى أطلق منها النار على مصطفى النحاس. . فما قولك؟!

ـ إسألوا يوسف رشاد وعبد الله صادق عن العربية. أنا ما أعرفش

حاجة عنها. وإنى أعلم بأن يوسف رشاد أخذ كما أعتقد بعض فلوس من الملك. ولكن ليس بغرض شراء عربة وإنما يمكن أتعاب محاماة فى قضايا معينة.

** وما الذى تقصده من أتعاب المحاماه فى قضايا معينة؟!

- اسألوا يوسف رشاد كما أرجو سؤال الاستاذ زهير جرانة.. إن كان أخذ فلوس فى قضية مقتل أمين عثمان. أقصد أن الملك كان بيدفع ليوسف رشاد أتعاب المحاماة للمتهمين فى مقتل أمين عثمان.

** وما قولك فى تعرف العسكرى إبراهيم محمد إبراهيم عليك باعتبارك الشخص الذى كنت تقود السيارة التى انفجرت ونسفت منزل مصطفى النحاس؟!

- مما لا يخفى أننى فى الفترة الأخيرة وجهت لى اتهامات كثيرة.. ووضعت فى السجن الحربى بدون أمر من النيابة. ونشطت جهات معينة بشكل منتظم فى إثارة اتهامات لا علم لى بها إلا من الصحف التى نشرت هذه الاتهامات المغرضة. كما نشرت صورتى فى جرائد ومجلات كثيرة. وكتب تحتها بأننى الذى نسفت منزل مصطفى النحاس!.

** وما قولك فيما أدلى به هذا العسكرى فى التحقيق الأولى عقب الحادث من أوصاف تنطبق عليك؟!

- إن الأوصاف التى أدلى بها فى التحقيق الأول تنطبق على آلاف من الشبان. ولكن هذا العسكرى عاد وأوضح الأوصاف بعد أربع

سنوات. وهذا بالطبع راجع إلى أمرين أو أحدهما: إما أنه رأى صورتى فى الجرائد وموجهة لى هذه الاتهامات. وإما هناك من فى صالحه إلصاق التهمة بى خصوصا وأننى رفعت قضية ضد صحفيين اتهمونى بتهم عديدة منها هذه التهمة فى عام ١٩٥٠

* * *

أما أنطونيو بوللى فإنه يكشف علاقة الملك بالحرس الحديدى. فى أقواله التى أدلى بها أمام النيابة.. وبالتالى يكشف لنا أيضاً مدى علاقة السيدة ناهد رشاد بهذا الحرس التى كانت تشرف شخصيا على تنفيذ كل عملياته.. وإن كانت حتى هذه اللحظة لم تظهر فى أى صورة من الصور التى سبق لنا عرضها من خلال تحقيقات النيابة. وإن كان اسم زوجها الدكتور يوسف قد تردد كثيراً. وطبعا المعنى فى ذلك واضح للغاية.

يقول بوللى فى هذه التحقيقات التى أجريت معه داخل سراى النيابة:

ـ اسمى أنطونيو بوللى ٤٩ سنة ومولود بإيطاليا ومقيم بشارع كفر الزيات بمصر الجديدة.. والآن معتقل[٤]. طلب منى عبد الله صادق تخصيص مخزن للذخيرة التى كان يستخدمها رجال الحرس الحديدى.

(٤) اجرى معه هذا التحقيق بعد ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ فى قضية الحرس الحديدى.. ونقل هذا التحقيق الزميل مدحت البسيونى فى كتابه فاروق والحرس الحديدى مرجع سابق.

من سنتين ثلاثة.. وأنا لا أتذكر الوقت على وجه التحديد. وإذا قلت سنتين أو ثلاثة فربما يكون قبل ذلك.

** ومتى بدأ إيداع الذخيرة فى هذا المخزن؟!

- من وقت ما أخذوا المخزن.

** ومن الذى كان يحضرهذه الذخيرة؟

- دى كانت أوامر من فوق والملك كان بيكلف أى واحد يجيب الذخيرة دى من السجون.

** ومن الذى كان يستلم هذه الذخيرة ويخزنها فى السراى؟!

- أنا أعرف أن عبد الله صادق هو اللى كان عنده مفتاح المخزن اللى فيه الذخيرة. والذخيرة دى كانت فى عهدته.

** ذكرت أنه لما طلب منك الملك السابق إخلاء المخزن اتصلت بالدكتور رشاد.. فلماذا اتصلت به ولم تتصل بعبد الله صادق الذى كان معه مفتاح المخزن؟!

- علشان أنا ماعرفش عبد الله صادق، كان فين.. والدكتور رشاد هو اللى يعرفه.

** وما العلاقة بين يوسف رشاد وعبد الله صادق؟!

- أنا أعرف أن يوسف رشاد كان بيجمع متطوعين للمحافظة على حياة الملك. لأنه كان مهددا بالقتل. وكان يوسف رشاد قد طلب

عربية والملك اشترى لهم عربية.. وأنا اديت لهم فلوس واشتروا العربية وعبد الله صادق هو اللى إستلمها وكان كل شهر بياخد منى أجرة الجراج وثمن البنزين.

** وكيف علمت بموضوع المتطوعين؟

- أنا عرفت بسبب شراء عربية.

** ألم يذكر لك يوسف رشاد الغرض من مشى المتطوعين وراء الأشخاص الذين يعرفون عنهم أنهم يريدون قتل الملك؟!

- أنا ما اعرفش النظام بتاعهم إيه وده الكلام اللى أنا سمعته من رشاد.

* * *

وأقوال عبد الله صادق أحد رجال الحرس الحديدى والمتهم فى قضية اغتيال مصطفى النحاس كشفت هى الأخرى من بداية علاقته بكل من يوسف رشاد وعلى حسنين.. وقد ذكر فى تحقيقات النيابة:

- اسمى عبد الله محمود صادق ٤٥ سنه ملازم أول بإدارة الحريق ومنتدب سلاح المهندسين ومقيم بشارع البستان رقم ٤٤ عابدين.

** هل كنت بإدارة الحريق بالقصور الملكية؟!

- كنت ضابط مطافىء فى القصور الملكية من ١٩٤٧ لغاية أوائل يوليو عام ١٩٥٠.

** وكيف تم التحاقك بمطافىء القصور الملكية؟

- أنا كنت دائما أنتدب من مطافىء الاسكندرية لأداء بعض الأعمال في قصر المنتزه.. وتصادف فى هذه الأثناء شب حريق فى الطريق الموصل من المنتزه إلى المعمورة فسارعت بإطفائه مما لفت نظر الملك حتى إنه حصل أنه حل محلى ضابط آخر. فالملك طلب إعادتى للاستمرار في عملى. وفى مرة كان الدكتور يوسف رشاد موجودا مع الملك فطلب منه أن يتم تعيينى ضابطا للحريق.. وفعلا عينت فى هذا المنصب.

** ألم تكن تقوم بأعمال أخرى لمصلحة القصر خلال العمل فى إدارة الحريق؟!

- لا..

** ألم يكن يكلفك الدكتور يوسف رشاد بأعمال خاصة بالملك فاروق؟!

- لا؟

** ألم يكن الدكتور يوسف رشاد يساعدك فى البقاء فى القصر؟!

- لو كان يوسف رشاد عاوزنى فى القصر ماكنتش انتقلت!.

** هل تذكر واقعة انفجار الذخيرة الفاسدة فى القلعة؟!

ـ أيوه وكنت يومها فى منزل يوسف رشاد. . وكان معنا بعض الأصدقاء ولا أذكرهم. . على ما أذكر أيضا أننى شفت الانفجار من منزل يوسف رشاد لأنه عالى.

** وما قولك فى أن بوللى قرر بأنه دفع لك وليوسف رشاد ثمن سيارة بأمر من الملك السابق؟!

ـ لم يحدث هذا.

** وذكر أن هذه السيارة بعد ذلك كان يدفع لك عنها مبالغ شهرية

ـ أنا لم آخذ منه مبالغ إلا لمطافى القصر.

** عندما ضبطنا هذه السيارة وتبين من مراجعة ملفها أن الوسيط فى البيع هو أخوك محمد صادق. . فما قولك؟!

ـ ما اعرفش حاجة عن هذا الموضوع.

** هل تعرف على حسنين؟

ـ تصادف فى يوم أنى كنت مع القائمقام سليمان عزت ودخل عنده يوزباشى يلبس الملابس العسكرية البحرية وسلم عليه وخرج. وبعدين ذكرنى بنفسه وتبين إن ده هو على حسنين. . كان ذلك فى عام ١٩٤٩.

** قرر على حسنين أنك كنت ضمن مجموعة كان يرأسها يوسف رشاد لارتكاب الجرائم لمصلحة الملك السابق. . فما قولك؟!

ـ لو كان هذا الكلام حقيقى لما كنت خرجت من القصر مطرودا ولاستردت أقدميتي وزملائى الآن فى رتبة صاغ. بل بالعكس من يوم خروجى من القصر والاضطهاد يلاحقنى.

** هل تعرف الضابط عبد الرؤوف نور الدين؟!

ـ أعرفه من منزل يوسف رشاد. وكان قليل التردد على منزله كغيره من بقية الضباط الذين كانوا يترددون على منزل الدكتور يوسف رشاد.

** ومن هم هؤلاء الضباط؟!

ـ البكباشى محمد محمد صدقى الطيار والقائمقام جزارين والصاغ حسين فهمى عبد الحميد واليوزباشى خالد فوزى والصاغ معروف الحضرى واليوزباشى مصطفى كمال صدقى والدكتور البكباشى حسن صبرى والدكتور البكباش مظهر عاشور وكثيرون غيرهم لا تعى الذاكرة أسماءهم.

** وهل كان من المترددين على منزل الدكتور يوسف رشاد الضابط محب عبد الغفار؟!

ـ أيوه كا بيتردد بحكم قرابته للسيدة ناهد رشاد(٥).

(٥) لاحظ هذه هى المرة الأولى التى يأتى فيها ذكر ناهد رشاد بالاسم. ومن قبل وخلال التحقيقات السابقة كان اسم زوجها دائما يأتى فى لمقدمة.

** وهل كان الضابط السيد جاد عبد الله يتردد على منزل يوسف رشاد؟!

ـ أيوه ولكن قليلاً.

* * *

وقبل أن نغلق ملف هذه التحقيقات التى كانت دليلنا نحو ما ذهبنا إليه من أن هناك عشرات الجرائم قد ارتكبت باسم الحرس الحديدى تحت سمع وبصر ناهد رشاد وزوجها باعتبارهما رئيسى هذا التنظيم.. ومع ذلك لم يوجه إليهما أى اتهام أو إدانة.. ولسنا فى حاجة إلى تأكيد ما ذكرناه من نتائج توصلنا إليها بهذا الخصوص. ولولا السادات الذى اعترف لرجال الثورة بدور ناهد رشاد وزوجها فى التمهيد للثورة داخل القصر الملكى وتضليل الملك فاروق لتحول موقفهما إلى مائة وثمانين درجة.. ولكن العكس هو الذى حدث حيث تحولت ناهد وزوجها إلى شاهدى ملك على كل جرائم العهد الملكى.. ولم يصبهما أى أذى من قرارات الإدانة الخاصة بجرائم الحرس الحديدى.

نقول قبل اغلاق ملف هذه التحقيقات علينا أن ننتظر قليلا كى نستمع إلى أقوال يوسف رشاد فيما نسب إليه من تهم. ومن بعده نتعقب أقوال زوجته التى أدلت بها فى قضية مقتل الضابط عبد القادر طه.. ولنترك الحكم فيما وصلنا إليه من نتائج إلى ذمة التاريخ الذى لا ينسى ولا يغفر.

والغريب قبل الاقتراب من سماع أقوال الدكتور يوسف رشاد أن

القضية التى دُعى لأخذ أقواله فيها لم تكن إحدى قضايا الحرس الحديدى ولا جرائمه، بل كانت قضية خاصة بفساد حاشيه الملك فاروق والتلاعب بالقصر فى خدمة أغراضه الخاصة. وهذا بالضبط ما حدث مع زوجته ناهد رشاد التى وقفت تدلى بأقوالها فى قضية مقتل عبد القادر طه.. وهى قضية بعيدة كل البعد عما ارتكبه رجال الحرس الحديدى.. لقد كانت هى الأخرى قضية لإدانه الملك فاروق وعصره!!.

وجاءت أقوال يوسف رشاد على النحو التالى.. وكما جاءت فى تحقيقات النيابة :

ـ إسمى يوسف رشاد ٤٤ سنة طبيب بالبحرية الملكية ومقيم بشارع الأمير حمدى ١٠ ش الجيزة.

** هل تذكر السيارة التى دفع ثمنها لك أنطون بوللى؟

ـ ما حصلشى!

** ذكر بوللى بأنه قد سلمك ثمن السيارة بأمر الملك فاروق..

ـ غير حقيقى.

** وذكر مفتشو أنشاص بأنك أحضرت هذه السيارة مع بترو حلاق الملك إلى أنشاص بأمر الملك فاروق؟

ـ ما حصلشى.

** تبين من فحص السيارة التى قيل إنك قد اشتريتها وسلمتها لتفتيش انشاص أن بها آثار إطلاق أعيرة نارية منها إلى الخارج.

ـ ما عنديش أى فكرة عن العربية دى!

** تبين أن الوسيط فى بيع هذه العربية هو محمد صادق أخو عبد الله صادق الضابط المتصل بك.

ـ أنا ما اعرفشى حاجة عن العربية ولا مين اشتراها ولا مين الوسيط فيها.

** تبين من فحص دوسيه هذه السيارة أن الذى اشتراها قد حرر إقرارا باستلامها.. فهل هذا الإقرار بخطك؟!

ـ لا مش خطى.

** ما قولك لو ظهر من مضاهاة خطك على الورقة أنها مكتوبة بيدك؟!

ـ مستحيل.

* * *

أما أقوال زوجته السيدة ناهد رشاد التى أدلت بها فى تحقيقات النيابة التى أجريت معها عام ١٩٥٣ فى مقتل الضابط عبد القادر طه فقد دارت كلها حول أهم ما تعرفه عن أسباب فساد الملك السابقة.. دون التطرق لسؤالها عما وجه إليها من اتهامات كان مصدرها أقوال محمد حسن السليمانى خادم الملك وأمينه الخاص والذى أعلن فيها

أن سبب الجريمة كان التنافس الغرامى بين مصطفى صدقى والملك فاروق على قلب ناهد رشاد شخصياً. وجاء فى بعض أقوالها عن هذا الموضوع :

- اسمى ناهد شوقى بكير ٣٦ سنة.

** متى تزوجت الدكتور يوسف رشاد؟

- فى يونيه ١٩٣٨.

** ما ظروف زواجك بالدكتور يوسف؟

- كنا جيران واخواته كانوا معايا فى المدرسة ونعرف بعض عائليا.

** ومتى التحقت بالعمل فى السراى؟!

- سنة ١٩٤٥ وصيفة للامبراطورة فوزية.

وفى جانب آخر من هذه التحقيقات ذكرت بقولها ردا على أسئلة المحقق:

** ماذا كان شعورك نحو الملك فى الفترة اللاحقة على زواجه؟!

- لما ظهر موضوع الأسلحة الفاسدة كنت أنتظر من الملك أن يرسل رجال حاشيته الملوثين كى تتخذ معهم الإجراءات العادية. ولكنه لم يفعل ذلك. والعكس أعطاهم النياشين والرتب. وأنا كنت فى هذا الوقت متصورة إن الناس دوله بيضحكوا عليه. وبعدين تبين لى أنه عارف بكل التصرفات دى. وكنت فاكره إنه راح يثور عليهم. . لكنه حماهم.

** ما ظروف نقل بمنزلكم من حدائق القبة؟!.

ـ أنا كنت فعلا عاوزه أعزل ودورت على بيت جديد وكبير لأن أولادى كانوا كبروا والبيت كان صغير علينا. شوية والملك كمان عاوزنا نعزل لأن البيت ماكانش عاجبه. لأنه كان بيحب يجيب أصحابه عندنا وكان دايما يقول إن البيت وحش. فأنا شفت البيت بتاع الجيزة ولقيت ثمنه معقول بنسبة للأثمان اللى كانت موجودة وقتها. وكان فيه حاجات ممتازة كثير .

** وما الذى دعا الملك السابق لطلب تغيير مسكنكم؟!

ـ البيت ماكانش عاجب الملك. وكان يقول لنا إن بيوت أصحابه التانيين أحسن من بيتنا.

** ألم يكن الملك السابق الذى أشار عليكم باستئجار منزل الجيزة بالذات؟!

ـ لا ما شافوش إلا بعد ما احنا أخذناه!. لأنه كان بيقول إن الجيزة بعيده وهو فى بعض الأحيان يطلب يوسف بالليل لما يكون عيان!.

وهكذا انتهت أقوال السيدة ناهد رشاد.. وليس لنا أى تعليق على سير هذه التحقيقات أو على حكم الإدانه الذى أصدرته محكمة الثورة على المتهمين فى قضية مقتل الضابط عبد القادر طه ولكننا نريد أن ننوه إلى شيء هام وخطير سوف يلاحظه كل من يعيد قراءة أقوال المتهمين السابقة.. وهو اختلاف نوع وطريقة إلقاء السؤال حين يتم

توجيهها لكل من ناهد رشاد وزوجها الدكتور يوسف.. عن بقية المتهمين.. ولا تعليق.

ولكن وقبل أن نختتم هذه الجولة الطويلة التى عشنا خلالها أهم الأحداث داخل جدران المحاكم وأبنية النيابات العامة.. نورد اعترافاً خطيراً لأحد رجال الحرس الحديدى عن أهم ما ارتكبه هذا الجهاز السرى من جرائم كانت تحت سمع وبصر ناهد رشاد وزوجها.. وأيضا ليس لنا من بعدها أى تعليق!.

يقول اليوزباشى سيد جاد عبد الله فى هذه الاعترافات التى دونها فى أوراقه الخاصة.

ذات يوم.. جمعنا الدكتور يوسف رشاد وطلب منا إخفاء الأسلحة التى لدينا، وكلف حسن فهمى عبد الحميد بهذا العمل.. لكن حسن قام بإلقائها فى إحدى الترع ليلاً بدلا من إخفائها. وأردت أنا وخالد فوزى أن نستولى عليها بعد أن عرفنا بمكانها من حسن فهمى وفى منتصف الليل خلعت ملابسى ونزلت الترعة أبحث عنها وتمكنت بالفعل من العثور عليها..

وحملنا القطع التى عثرت عليها إلى الدكتور يوسف رشاد وشرحنا له الأمر لكنه سكت ولم يعلق.. فاستشرنا ناهد رشاد فأخبرتنا بأن الملك فاروق غير راضٍ عن الحرس الحديدى، ولم تعد له الثقة الكافية فيه. وأن الملك سوف ينضم إلى الإنجليز ويتحالف معهم.

واجتمعنا فى منزل حسن فهمى عبد الحميد وقررنا إرهاب الملك!.

ومن بعدها طلب منا فاروق بالرد على الوفد فى شخص النحاس باشا مرة ثانية انتقاما لما قام به ضده. ولقد وصل اسم الزعيم ضمن القائمة التى يطلبها الملك كالمعتاد. وفى اليوم المحدد وقفت العربة السوداء أمام قصر الزعيم بجاردن سيتى لتنفيذ المسرحية الخاصة بالاغتيال حتى لا يظن الملك ومن هم وراؤه وأمامه بالحرس الحديدى أى ظنون.. لكن هذا الحادث أدى إلى انشقاق الحرس الحديدى إلى فريقين أحدهما يؤيد القتل المجرد وتنفيذ الأوامر، سيراً وراء رغبات الملك ومعه يوسف رشاد. والفريق الآخر يرى ضرورة المحاكمة وتحقيق هدف وطنى من وراء القتل.. مهما كانت أوامر الملك!.

وفى موضع آخر من هذه الاعترافات يقول سيد جاد.

ذات يوم.. ذهبنا إلى باقى الجماعة وسألتهم لماذا ضربوا الصعيدى «رفيق الطرزى» عضو الوفد وعلى حسنين؟!

وصارحتهم بأنهم لا يقدمون على تنفيذ إلا كل ما هو تافه.. ولا يقومون بأى عمل ضد الملك والفساد. وجاء ردهم سريعاً وصريحاً للغاية: كيف يعيشون إذا ما انقطع عنهم المدد الذى يحصلون علي من الملك ومن يوسف رشاد؟!.

وفى موضع ثالث من اعترافاته يقول :

حدثت تغيرات سياسية عديدة جعلت الملك يضيق ذرعاً بنا. ولم تعد لديه أية شهية لقتل أحد أو القيام بأى مشروع وطنى.. فقد نجح الوفد فى العودة إلى الحكم.. وكان هذا منتهى الغم والملل للملك،

ولم يعد يطيق البقاء في مصر. وبدأ يفكر جديا ويعلن عما يدور في ذهنه ويقول غير آسف أنه متأكد من أن نهاية ملوك أسرة محمد على سوف تكون بنهايته هو.

وبالتالى أوقفت ليالى وولائم يوسف رشاد التى كان يقيمها للحرس الحديدى. ولم تعد هناك صلة حقيقية إلا بين يوسف رشاد وكل من مصطفى كمال صدقى ويوسف حبيب وحسن فهمى عبد الحميد أما صلته بى وبخالد فوزى فقد وهنت إلى حد كبير.. وخيل إلىّ أنه لولا ناهد رشاد وخوفهم إيانا لقاموا بالتخلص منا. لأن يوسف رشاد كان يرى أن الأسلوب الأمثل لإقالة أى ضابط من الحرس الحديدى، نظراً لما يعرفه من أسرار الملك والملكة هو تصفيته جسدياً.

* * *

الفصل السابع

البداية مختلفة
لكن النهاية.. كانت
واحدة

إذا ما لجأنا إلى علم الإحصاء.. واستعنا بقواعد الحساب.. فى حصر الشخصيات التى التقينا بها عبر هذه الأوراق منذ عام ١٨٠٥ وحتى عام ١٩٥٢.. سوف نجد أنها تفوق الخمسين شخصية بل ربما تزيد على هذا الرقم بكثير.

ولكنه وكما هو معروف لدى أى كاتب أو مؤلف.. فإن عدد الشخصيات الرئيسية التى تستند عليها الأحداث.. حتى فى الأعمال الأدبية والمسرحية لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة أو اليدين على أكثر تقدير.

وهذا بالضبط ما واجهناه مع شخصيات هذه الأوراق.. فرغم طول فترة الأحداث التاريخية التى عشناها.. حتى بلغت أكثر من مائة وأربعين عاماً، إلا أننا اكتشفنا وجود عدد قليل من الشخصيات التى مرت علينا هى التى صنعت تلك الأحداث وكان لابد لشخصيات ثانوية أخرى أن تظهر من خلفها أو بجوارها حتى تكتمل الأحداث. وتصير وفقا لمشيئة الراوى أو التاريخ أو صانع التاريخ.

وإذا ما لجأنا إلى قاعدة الحساب فى إحصاء تلك الشخصيات الرئيسية نجدها لا تتعدى عشر شخصيات منها شخصيتان تمثلان عصب الأحداث وبالتالى عصب الرواية التاريخية. . وهما الملك «فاروق» والسيدة «ناهد رشاد». . وبجوارهما ظهرت شخصيات أخرى قد تبدو لغيرنا شخصيات ثانوية، ولكن بإعادة شريط الرواية من جديد نكتشف أنه بدونهم لا تستقيم الأحداث. بل وتظهر منقوصة وعديمة القيمة.

لقد ارتبط بظهور ناهد رشاد ودورها التاريخى فى حياة الملكية المصرية الحديثة العديد من الشخصيات ذات الأهمية الخاصة. . نذكر منهم زوجها الدكتور يوسف رشاد. . الذى كان له الفضل الأول فى استعادة كيانها داخل السراى الملكى من جديد بعدما فقدته على إثر خروج أمّها من القصر بعد وفاة السلطان حسين كامل لأنه وكما مر بنا من قبل، كانت أم السيدة ناهد وخالتها من وصيفات السلطانة «ملك» زوجة السلطان حسين كامل الذى توفى وتولى من بعده حكم مصر الملك أحمد فؤاد والد الملك فاروق.

لقد تسبب الدكتور يوسف رشاد فى استعادة زوجته لمكانتها داخل القصر الملكى من جديد عندما عينه الملك فاروق فى فريق الأطباء الملكى الخاص بعلاجه منذ عام ١٩٤٣ على إثر نجاحه فى علاج الملك فاروق بمستشفى القصاصين. . فور وقوع حادث التصادم الشهير فى ذلك الوقت والمعروف بحادث القصاصين.

ليس هذا فقط.. بل إن يوسف رشاد كان السبيل الوحيد لاستعادة ناهد رشاد لسلطانها الذى بدأت تمارسه منذ عام ١٩٤٥ حين تم اختيارها وصيفة للامبراطورة فوزية العائدة مطلقة من إيران. هذا الاختيار قد مكنها من الزحف ببطء نحو قلب وعقل فاروق، حتى باتت قاب قوسين أو أدنى من الجلوس على عرش مصر بجواره.. بعدما طلق زوجته الأولى الملكة فريدة.

أما الشخصية الثانية التى التصقت بأدوار ناهد رشاد التاريخية فى حياة الملكية المصرية.. فهو اليوزباشى مصطفى كمال صدقى.. بطل حرب فلسطين والسياسى اليسارى الذى كان يؤمن بالمذهب التروتسكى وزعيم تنظيم الحرس الحديدى الذى تحول فى أخريات أيامه وقبل قيام ثورة يوليو بعدة أشهر إلى أداة لقتل الملك فاروق تنفيذا لأوامر سيدته أو محبوبته ناهد هانم.

ولم تكن علاقة ناهد رشاد بالضابط مصطفى كمال صدقى مجرد علاقة عمل ضمهما داخل تنظيم الحرس الحديد.. بل كانت وكما أثبتت الأحداث التى مرت بنا من قبل أكثر من علاقة عمل. وإن شئت قل علاقة حب وغرام.. كانت ستؤدى فى نهاية الأمر إلى ارتباط وزواج كما جاء على لسان ناهد رشاد فى اعترافاتها الشخصية.

لقد تحول مصطفى كمال صدقى من أجل الفوز بقلب ناهد هانم من منافسة الملك فاروق إلى أداة انتقام لناهد رشاد، حين فشلت فى

الجلوس على عرش مصر بجوار فاروق الذى خدعها واختار بدلاً منها زوجة أخرى هى ناريمان صادق.

وحتى عندما فشل مصطفى صدقى فى الفوز برأس الملك فاروق ارتمى فى أحضان بعض تنظيمات الضباط الأحرار.. وكان يشترك معهم فى طبع المنشورات التى كانت تهاجم الملك ونظام حكمه.. وكانت فرصة ثانية بالنسبة له فى أن يثأر من فاروق ويفوز بمحبوبته ناهد هانم.. حين كان يعرف أسرار هؤلاء الضباط .. ولم يبلغ بها السراى.. رغم أنه قد أبلغ بها ناهد رشاد شخصيا، التى رأت هى الأخرى أن التعجيل بقيام حركة الضباط الأحرار سوف يحقق حلمها فى الثأر من الملك فاروق نتيجة خداعه ومكره.. وعدم وفائه بوعده فى أن تكون بجواره ملكة لمصر.

ومصطفى كمال صدقى نفسه.. كان فى يوم من الأيام أحد رجال الملك الذين أعلنوا حمايتهم له من خلال تنظيم الحرس الحديدى.. ومن أجله قام بتنفيذ العديد من جرائم القتل لهؤلاء الذين لم ينظر إليهم فاروق على أنهم أعداؤه.. وكما سبق ورأينا كان على رأسهم مصطفى النحاس والعديد من رجال حزب الوفد. ثم تحول إلى عدو للملك نفسه متضامناً فى هذه العداوة مع السيدة ناهد رشاد.. سواء بالقتل أو بالتستر على أخبار الضباط الأحرار.

أما الشخصية الثالثة التى ارتبطت بالدور التاريخى الهام لناهد رشاد فى التستر على أخبار تنظيم الضباط الأحرار.. فكان الضابط محمد

أنور السادات.. الذى تعرف عليها وعلى زوجها الدكتور يوسف منذ حادث مقتل أمين عثمان.. وقد ظلت هذه العلاقة مستمرة، رغم أنها كانت تنقطع أحيانا، حتى ليلة الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ كما يعترف بذلك السادات فى أوراقه الخاصة.. وهناك العديد من المؤرخين الذين يعتبرون السادات المصدر الرئيسى لمعلومات ناهد رشاد عن تنظيم الضباط الأحرار.. وأنه قد وثق بها أكثر من زوجها مما جعله يطلب من مجلس قيادة الثورة حمايتها وزوجها بشكل شخصى بعد نجاح الثورة. وقد نجح فى هذا الدور نجاحاً مبهراً ولولا ما قدمته ناهد رشاد من خدمات لرجال الثورة تحت سمع وبصر عبد الناصر قائد تنظيم الضباط الأحرار لما وافقوا على مطالب السادات. وبالفعل وكما رأينا من قبل تحولت ناهد رشاد وزوجها من رجال الملك وحاشيته الفاسدة الذين حوكموا أمام محاكم الثورة بتهمة الفساد.. إلى «شاهد ملك» على فساد الملك وحاشيته.

ويقول التاريخ إن العلاقة التى نشأت بين السادات وبين يوسف رشاد وأسرته كانت فى الواقع علاقة متميزة بكل المعانى. والدليل على ذلك أن الدكتور يوسف قد توسط لدى السراى كى تدفع أتعاب المحاماه للدفاع عن السادات فى قضية مقتل الوزير أمين عثمان.. وهو أيضا الذى أعانه وقت الضيق والشدة حين أقرضه ألف جنيه لتدبير حياته الأسرية خاصة بعد أن طردوه من الجيش عام ١٩٤٥. بالإضافة إلى ذلك فإنه يرجع الفضل للدكتور يوسف فى إعادة السادات إلى الجيش مرة أخرى عام ١٩٥٠. وبالتالى فإن المنطق

يجعلنا نعتبر يوسف رشاد صاحب الفضل الأكبر فيما وصل إليه السادات من مكانة فى ثورة يوليو ١٩٥٢.

* * *

وبالمثل كان الملك فاروق رغم أنه الشخصية الرئيسية فى أحداث هذه الأوراق، قد ارتبط هو الآخر بالعديد من الشخصيات الثانوية بالنسبة له.. والرئيسية بالنسبة لأحداث هذه القصة.

وقد اتسمت هذه الشخصيات بطابع الأنوثة ونعومة الأظافر وكان على رأسهم «الملكة نازلى» أم فاروق و «الملكة فريدة» زوجته الأولى.. و «ناريمان» زوجته الثانية. ولقد مر بنا من قبل أدوار هذه الشخصيات وما قامت به كل منهن فى حياة فاروق فى مختلف مراحل عمره وحياته على عرش مصر.

وإذا ما دققنا النظر فى كلمات عنوان هذا الفصل وتمعنا فى محتواها.. لاكتشفنا صدق ذلك القول الذى نردده كثيرا من أن البداية دائما تختلف عن النهاية. وتلك حكمة الحياة.. وإلا تحولت الدنيا إلى شئ واحد ممل!. وإذا كانت البداية على نقيض النهاية.. فإن النهايات دائما تكون واحدة على الأقل فيما يؤول إليه مصير الإنسان. ومثل هذه القضية قد شغلت الفلاسفة سنوات طويلة.. حيث وحد الموت بين بنى البشر، وبالتالى خلق لنا قاعدة لا يمكن أن نحيد عنها. وهى أنَّ الرحيل قادم لا محالة. ومن هنا نجد أن نهاية الإنسان وسكنه تحت التراب كانت ولازالت الحقيقة الوحيدة المعترف

بها إنسانياً وعلمياً. وتلك النهاية هى الهوة السحيقة التى ابتلعت كل أبطال هذه الحكاية.

ولسنا فى حاجة إلى تكرار ما ذكرناه من أقوال عما كانت عليه بداية كل شخصية عشنا معها.. أما النهاية فسوف يكون لنا معها وعنها حديث طويل.. حتى نتبصر بما آلت إليه أحوال تلك الشخصيات قبل أن يواريها التراب. ومن ثم تترك وحدها إلى حين ثم سرعان ما تتحلل وتختلط بتراب الأرض وتصير مثله إلا بعض العظام القوية التى تتحمل هجمات التراب. ولكنها أيضا مع التراكم الزمنى تبلى وتضيع وتخور قوتها.. ومن ثم تتحول هى الأخرى إلى تراب!.

* * *

على سبيل التذكر نقول: إن السيدة ناهد رشاد.. قد انتسبت فى لقبها إلى زوجها الدكتور يوسف رشاد.. لأن اسمها حسبما جاء فى أوراقها الرسمية ناهد شوقى بكير.. ولدت عام ١٩١٧ بضاحية حلوان.. وحين قامت الثورة كان عمرها ستة وثلاثين عاماً.. وقد ظلت معمرة.. تعيش بيننا بعد هذا الحدث أكثر من ثلاثين عاماً أخرى.. وحين رحلت عن عالمنا كان عمرها يتجاوز الستين أو أكثر بعدة سنوات، لأننا لم نعثر على تاريخ وفاتها بدقة. وكل ما لدينا أنها ماتت فى أوائل الثمانينات.

وباعتبار السيدة ناهد رشاد أولى شخصيات هذه الأوراق.. فقد

اخترناها لحديث النهاية . . ثم نعقب الحديث عنها بحديث الشخصيات الأخرى المصاحبة لها . . وللملك فاروق.

وهناك تصوير دقيق لما آلت إليه حياة ناهد رشاد بعد هذا العمر الطويل الذى قضته ملكة غير متوجة بجوار الملك فاروق، وإن لم تتمكن من الفوز بهذا اللقب بشكل رسمى. هذا المشهد يحدثنا عنه الكاتب الراحل موسى صبرى . . ولسوف نتوقف قليلا أمام ما ذكره الكاتب الكبير. لأنه تصوير للبداية وأيضا للنهاية . .

يقول موسى صبرى:

. . لم أكن على صلة وثيقة بفريد الأطرش، كانت صلة عادية. وقد عرفنا به كامل الشناوى ذات ليلة قبل الثورة. لقد اصطحبنى كامل الشناوى، أنا وعدد من الزملاء إلى سهرة قال إنها مجهولة. وسوف نعرف عندما نصل إلى المكان وتوقفت سيارة كامل الشناوى أمام منزل فى الزمالك، وتبعنا كامل إلى الدور الأول حيث وجدنا صالات فسيحة وزحاماً ورجالاً ونساء فى ملابس السهرة ورقصا شرقيا. ثم قدمنا كامل الشناوى إلى الداعى الذى نعرفه . . وكان المطرب فريد الأطرش.

ثم علمنا أن هذه السهرة هى احتفال بالسيدة ناهد رشاد وزوجها الدكتور يوسف رشاد. وكانت ناهد رشاد فى ذلك الوقت هى وصيفة الملكة صاحبة النفوذ فى القصر الملكى، لأنها قريبة إلى قلب فاروق. وكان يوسف رشاد هو الطبيب الخاص للملك.

وكان كل من فى السهرة ينتظر قدوم الضيفين المشهورين. وحوالى الواحدة صباحاً. . ظهرت ناهد رشاد مع زوجها. . فى ثوب سهرة أبيض يكشف عن كتفها. وكانت ذات جمال وبهاء، وكان لها حضور أخاذ. . وكان كل من فى السهرة يحاول التقرب إليها وإلى زوجها.

وجرت الأيام. . وقامت الثورة. . وسقط فاروق، وتدهورت الأحوال بناهد رشاد وزوجها. . حتى أنهما سكنا فى بدروم عمارة بالجيزة وبأثاث بسيط لا يزيد على أثاث شقة موظف فى الدرجة الثامنة!!.

وقد رأيتهما فى هذا الوضع المؤلم.

كان لى صديق يعمل فى رئاسة مجلس الوزراء، وهو من هواة قراءة الطالع. . وقال لى: هل تريد أن تعرف الطالع من فنجان القهوة؟!. . ورحبت وزاد فضولى عندما قال لى إن التى تقرأ الطالع هى ناهد رشاد.

وتواعدنا. . وفوجئت بوجودهما فى هذا الجحر المتواضع، الذى امتلأت حيطانه برطوبة الماء. . وكانت مريضة مستلقية على كنبة بملابس البيت!. وانطفأ بريق الجمال وضاعت الأناقة. وكان يوسف رشاد يشكو من جلطة فى قدمه، فجلس علي مقعد. . ومدد قدمه على مقعد آخر.

كان ذلك فى السبعينات بعد أن تولى السادات رياسة الدولة. . ورويا لى الكثير عن علاقتهما بالسادات. . وكيف بدأت عندما كان

السادات ملازماً فى سلاح الإشارة بمرسى مطروح. وكان يوسف رشاد وقتها ضابطا طبيباً وأراد الاطمئنان على أسرته باستخدام جهاز سلاح الإشارة. ومن هنا نشأت الصلة التى دعمها ولع السادات باللغات، واستعانته فى الترجمة بالدكتور يوسف رشاد.

وتطورت هذه العلاقة قبل الثورة. وكان السادات يتظاهر أنه من رجال الملك، وكان ينقل أخبار الملك إلى التنظيم السرى الذى يرأسه جمال عبد الناصر. واستدان السادات من يوسف رشاد فى أيام محنته بعد أن فصل من الجيش. ونجح يوسف رشاد فى أن يعيد السادات إلى الجيش مرة أخرى.

ثم قامت الثورة.. وعندما تقرر اعتقال يوسف رشاد، هدد السادات بالاستقالة من مجلس قيادة الثورة، وروى لزملائه خدمات يوسف رشاد له. وهكذا منع اعتقاله ثم سعى إلى أن يعمل فى شركة أسماك فى الغردقة.

وكان دائم المودة مع السادات إلى أن مات. وكانت السيدة جيهان السادات دائمة الزيارة لهما.. بعد أن ترملت ناهد رشاد إلى أن ماتت فى الثمانينات.

وبعد أن انتهت رواية موسى صبرى.. ليس لنا أى تعليق.. والفرق بالطبع بين البداية داخل السراى والقصور.. وبين النهاية التى تبلورت ساعاتها الأخيرة فى شقة متواضعة فى انتظار الرحيل

على سرير المرض كان كبيراً. وقد سبقها إلى نفس المصير زوجها الدكتور يوسف رشاد. . وإن تأخر رحيلها عنه عدة سنوات.

والملك فاروق أيضا كانت له نهاية تستحق التأمل والغوص فى أحداثها. . ولعلنا نؤكد أن فاروق إذا كانت له بداية واحدة قد صاحبها الاحتفالات الصاخبة، والولائم التى امتدت إلى طول مصر وعرضها فرحاً بقدوم ولى العهد فى حياة والده الملك أحمد فؤاد وأمه الملكة نازلى. . فإن للملك فاروق نهايتين. . وليست نهاية واحدة. النهاية الأولى كانت عند رحيله عن مصر فى ليلة السادس والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢. أما النهاية الثانية. . فقد حدثت بعد هذا التاريخ بثلاثة عشر عاماً. حين جاء إلى مصر مرة أخرى داخل صندوق خشبى ليدفن فى مسجد الرفاعى. فى عام ١٩٦٥.

ومادامت هناك نهايتان. . فلابد لنا من الوقوف على تفاصيلهما. .

ابتداء من صباح الثالث والعشرين من يوليو وحتى السادس والعشرين من نفس الشهر جرت عدة مناوشات بين الضباط الأحرار الذين قادوا الانقلاب العسكرى وبين الملك فاروق وحاشيته ورجال القصر ومجلس الوزراء. هذه المناوشات بدأت بعدة مطالب تبلورت فى استقالة وزارة نجيب الهلالى باشا. . واختيارهم لعلى ماهر باشا بديلا عنه. ثم تطورت هذه المطالب إلى عزل حاشية الملك فاروق. . ثم أخيراً طلب تنازله عن العرش.

ويقول التاريخ عن آخر لحظات حياة فاروق إنه فى صباح يوم

السادس والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢. وفى الساعة الثامنة صباح هذا اليوم اتصل الملك بعلى ماهر فى فندق سان ستيفانو كي يسأله عن آخر مطالب الضباط الأحرار بعدما سمع طلقات نيران خارج قصر رأس التين الذى كان يقيم به.. وكان مقره الصيفى الدائم من قبل.

وقد أسرع على ماهر إلى رأس التين ونجح فى وقف إطلاق النار من القوات المحاصرة للقصر. وحين عاد على ماهر من جديد إلى رئاسة مجلس الوزراء بالاسكندرية فوجئ بطلب من قيادة الثورة بعزل الملك.. على أن يغادر البلاد قبل السادسة من مساء هذا اليوم.

وبالفعل كتب السنهورى صيغة التنازل وسلمها إلى سليمان حافظ الذى توجه بها إلى الملك ليحصل على توقيعه بالتنازل.

وكان فاروق فى هذه الأثناء فى حالة عصبية بالرغم من أنه حاول التماسك أمام أسرته وحاشيته.. فعندما حضر إليه سليمان حافظ حاملا وثيقة التنازل عن العرش حاول أن يضيف بعض الكلمات، ولكن سليمان حافظ أفهمه بأن هذا يتجاوز دوره، وأنه حضر لمجرد أن يحمل الوثيقة بصورتها النهائية.. ولا يملك أحد التغيير فيها. وقد وضعت الوثيقة وفى صورة أمر ملكى.

ومما يعكس الحالة النفسية السيئة التى وصل إليها الملك فى تلك اللحظات أنه وقع، ولكن جاء توقيعه مرتعشاً.. فأصر على التوقيع أعلى الوثيقة مرة ثانية.. وقال معلقاً على ذلك لسليمان حافظ:

لعلك تقدر الظروف وتلتمس لى العذر فى أن التوقيع لم يكن كما أود.. سأوقع مرة أخرى. وفعلا وقع الملك مرة أخرى أعلى وثيقة التنازل على العرش.

وقبل رحيل الملك فاروق عن أرض مصر طلب لآخر مرة أن يتناول غداءه على مائدته الملكية، وقابل شقيقاته فوزية وفايزة وزوجها.

كما وافق مجلس قيادة الثورة على أن يبحر الملك فاروق على اليخت الملكى «المحروسة» ووقف فاروق مرتديا زى القائد الأعلى للقوات البحرية على الرصيف يتحدث مع على ماهر.. ونظر الملك وقال لعلى ماهر: نجيب تأخر ولازم أركب دلوقتى المحروسة. وتوجه نحو اللنش فاستقله حتى اليخت.. ومن ثم أجهش على ماهر بالبكاء.. وهو الرجل الذى استقبل فاروق عند وفاة والده الملك أحمد فؤاد لحظة وصوله من انجلترا لتولى سلطته الدستورية.

وبعد أن صعد الملك فاروق على المحروسة حضر اللواء محمد نجيب فى الساعة السادسة ويصحبه البكباشى طيار جمال سالم والبكباشى حسين الشافعى من مجلس قيادة الثورة كى يكونوا فى وداع الملك. وقد أدوا له التحية العسكرية[1].

وقد اصطحب الملك فاروق معه أسرته المكونة من الملكة ناريمان والطفل أحمد فؤاد وبناته الثلاث من الملكة فريدة وهن فريال وفوزية

(١) فريدة ملكة مصر ـ مصدر سابق.

وفادية. كما اصطحب معه أيضا طرودا وحقائب بلغ عددها ١٥٠ طرداً وحقيبة. وكان الملك منذ الصباح الباكر قد أرسل ياوره اللواء البحرى فأحضر حقائبه من قصر المنتزه.

وقد استقل الجميع الزورق البخارى للوصول إلى المحروسة. ومن ثم بدأت مراسم الوداع الرسمى للملك حيث تم انزال العلم الملكى وعزفت الموسيقى السلام الوطنى. وتقدم الضابط الذى أنزل العلم وقبله ثم سلمه لفاروق طبقا للأصول العسكرية.. وقد احتضنه فاروق ثم أطلقت المدفعية ٢١ طلقة تحية للملك كما اصطف حرس الشرف وأدوا التحية العسكرية. ومن ثم تحرك يخت المحروسة مغادراً أرض مصر ومياهها الإقليمية إلى ميناء نابولى بإيطاليا.

وتلك كانت نهاية فاروق الأولى.. حيث تكرر مشهد الرحيل من جديد.. ولكن بصورة أخرى وبتفاصيل أقل فى المعنى وفى المفهوم العام. فقد رحل فاروق لآخر مرة.. ليس عن مصر وحدها.. بل عن الدنيا بأسرها فى عام ١٩٦٥، غريباً وعلى أرض غريبة.

وإذا كان التاريخ قد حكى لنا تفاصيل آخر دقيقة فى حياة فاروق على أرض مصر منذ أكثر من أربعين عاماً. فإن رفيقة حياته التى تخلى عنها بعد زواج دام أحد عشر عاماً. هى التى تحكى لنا آخر لحظة فى حياته بيننا على هذه الأرض.

تقول الملكة السابقة فريدة فى أوراقها الخاصة:

بعد عام ١٩٦٣ أقمت فى بيروت بعد موافقة جمال عبد الناصر

على أن أسافر إلى هناك . . حيث ظللت من قبل هذا التاريخ أقيم فى القاهرة ولا أستطيع أن أبارحها .

وعندما مات الملك فاروق فى إيطاليا . . ظللت عشرة أيام فى اتصال دائم بالقاهرة ليلاً ونهاراً. وعندما علم جمال عبد الناصر برغبتى فى أن يدفن فاروق فى مصر وافق على ذلك. بل وأرسل طائرة خاصة نقلت جثمانه من روما إلى القاهرة وأقلتنا الطائرة أنا وبناته وشقيقاته والأمير أحمد فؤاد. ووصلت الطائرة إلى ميناء القاهرة الجوى فى منتصف ليل يوم ٢٧ مارس عام ١٩٦٥ . وتم دفن فاروق ليلا قبيل الفجر. وهذه كانت بعض الشروط التى تمت الموافقة بموجبها على دفنه فى مصر، ومنها أيضا أن يتم الدفن بدون جنازة عامة، وأن يقتصر حضور الجنازة على بناته وابنه وشقيقاته وأزواجهن وأن يتم الدفن ليلا وبدون أية مراسم.

كما تحكى الملكة فريدة عن أهم اللحظات التى سبقت دفن الملك فاروق فى القاهرة فتقول:

عندما علمت بوفاة فاروق طرت إلى إيطاليا يوم ١٧ مارس ١٩٦٥ . وقد حدثت الوفاة عندما كان الملك يتناول طعام العشاء فى مطعم «دى فرانس» فى قاعة «سانت تدوبيز» عندما شعر فاروق بتعب وإرهاق ثم أغمى عليه فجأة. وقد بذلت عدة محاولات لإنقاذه من المتواجدين بالمطعم. وقام الدكتور «نقولا ماسا» ببذل جهود كبيرة لإنعاش قلب فاروق وتدليكه .

وقد صحبه فى السيارة التى نقلته إلى المستشفى. إلا أن نبض فاروق قد بدأ يهبط ثم يتذبذب ثم توقف القلب تماما.

كان الملك فاروق يبلغ من العمر عند وفاته الخامسة والأربعين من عمره. ثم حفظ جثمانه بثلاجة المستشفى. وفى ٢٠ مارس عام ١٩٦٥ تم نقل الجثمان إلى إحدى الكنائس!، فى جنازة بسيطة ملفوفاً بعلم مصر القديم. وقد حضرها نجله الأمير أحمد فؤاد والأميرات فريال وفوزية وفادية وشقيقتاه فوزية وفايزة. وقد قرأت على روح الملك فاتحة القرآن الكريم وبعض سور صغيرة من القرآن الكريم وذلك طبقا للشريعة الإسلامية.

وبعد عشرة أيام من نقل الجثمان إلى القاهرة أى فى يوم ٢٧ مارس عام ١٩٦٥ وكما تضيف الملكة فريدة فى ذكرياتها عن أخريات أيام فاروق: بعد أن عدت إلى بيروت.. بدأ مشهد الجنازة فى روما يقلقنى. فاروق ملفوف بعلم مصر، ولا يسير فى جنازته إلا أفراد يعدون بالعشرات.. وبدأت أسأل نفسى:

ماذا لو كان فاروق قد سمع نصائحى.. هل كان قد تبدل الحال؟!.

- لا أدرى!

ولكن الشئ الذى كان ملحوظاً، بل كان شيئاً مراً وإن لم يدركه الآخرون.. هو الطريقة التى مات بها فاروق.. والمكان الذى مات

فيه.. لقد مات فاروق بعيداً عن فراشه.. فى مطعم كان يحبه في وسط روما. ولا أدرى لماذا جعله القدر يلفظ أنفاسه فى هذه الدنيا. وفى هذا المكان؟!.

هل هناك حكمة فى ذلك.. قد يكون.. ولكن لانعرفها!. إن الله وحده الذى يعلمها.

* * *

خلال حديثنا السابق عن أهم شخصيات هذه الأوراق والتى ظهرت على مسرح الأحداث بجوار فاروق وناهد رشاد قدمنا عدة شخصيات وقد قسمناها وفقاً لارتباطها بأحداث كل من ناهد والملك فاروق. وكما سبق وقلنا.. فإن معظم الشخصيات الرئيسية التى ارتبطت بالأحداث التى مرت بحياة الملك فاروق منذ جلوسه على عرش مصر عام ١٩٣٧.. وحتى رحيله عن هذا العرش عام ١٩٥٢. كانت شخصيات نسائية. سواء ما كان منها على علاقة به بشكل شرعى أو غير شرعى.. وقد حصرنا هذه الشخصيات النسائية التى ساهمت معنا فى أحداث هذه الأوراق فيما يخص فاروق وحاشيته فى ثلاث شخصيات هن: الملكة نازلى.. والملكة فريدة والملكة ناريمان..وكان أقربهن إليه بحكم الحياة والواقع والتاريخ الملكتين فريدة وناريمان.. فهما زوجتاه.. الأولى طلقها بعد زواج دام أحد عشر عاما.. بدأ عام ١٩٣٨ وانتهى عام ١٩٤٨.. أما الثانية.. فقد

عاشت معه سنوات قليلة.. بدأت من عام ١٩٥١ وانتهت عام ١٩٥٣.

* * *

ومادمنا نتحدث عن النهايات وعن الرحيل إلى عالم ما بعد الحياة. فإن الدور الآن فيما يخص هذا النوع من الحديث على الملكة فريدة أو مدام «صافيناز ذو الفقار» وكان أكثر هؤلاء الذين عاشوا بالقرب من الأيام الأخيرة فى حياة ملكة مصر وزوجة فاروق الأولى هو المستشار فاروق هاشم المحامى الذى كان أول لقائه بالملكة فريدة عام ١٩٧٦ فى لندن عند افتتاح مهرجان العالم الإسلامى. ومن يومها تعددت بينهما اللقاءات والأحاديث والجلسات العائلية. وكان آخر لقاء بينهما قد تم قبل ساعات من رحيلها ولعلنا نتركه يحكى لنا بقلمه ما شاهده فى تلك الأيام القليلة.. وقبل أن يوارى جسدها فى التراب.

يقول المستشار فاروق هاشم:

كانت هذه آخر مقابلة لى مع الملكة فريدة.. وبعدها لم يحدث بينى وبينها أى لقاء.. بل اتصلت بها هاتفياً قبل وفاتها وقالت لى: عارف ممنوع على أن أتكلم فى التليفون.. ولكن حين علمت أنك الذى تتكلم وتسأل عنى صممت أن أحدثك.. لقد أخذت فى هذه المكالمة تسألنى عن أفراد عائلتى. وانتهت المكالمة على موعد للقاء.. ولكن القدر كان أسبق منى. كانت رحمها الله تتحدى المرض وتعشق

الحياة بالعمل. وعندما عرفت من الأطباء حقيقة مرضها أصيبت بهزة عنيفة وغلب عليها الاكتئاب وساءت حالتها النفسية.

لقد قامت قبل وفاتها بعمل كشف وتحاليل فى كثير من المستشفيات.. وقبل رحلة الوداع أحست بوعكة جعلتها مكتئبة وعصبية جدا.. مما جعلها تقوم بعمل المزيد من الفحوصات الطبية بمستشفى المعادى للقوات المسلحة. وظهر بالكشف والفحوصات أنها مصابة بمرض «لوكيما الدم».. هذا المرض اللعين الذى كان يحتم عليها تغيير دمها كل ستة أشهر.. كان آخرها مرة فى النمسا ومرة فى فرنسا. حيث تم الحجز لها فى معهد الأورام بباريس وهو أكبر المعاهد المعالجة للأورام فى العالم.

وبعد رحلة العلاج الأخيرة عادت مرة أخرى إلى القاهرة حيث كانت تداوم على العلاج فى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى. إلا أن حالتها قد ساءت فسافرت مرة أخرى إلى أمريكا. وهناك اكتشفوا أنها مريضة بمرض الكبد الوبائى بسبب نقل الدم!!. وعندما عادت إلى القاهرة تولى علاجها الدكتور ياسين عبد الغفار وعندما لم تتحسن حالتها الصحية، سافرت الملكة فريدة إلى سويسرا ودخلت هناك إحدى المستشفيات ولكن بدون جدوى.. وهناك بدأ شبح الموت يقترب منها.. وعندما علمت بأنه لا فائدة من العلاج فى الخارج أصرت على الحضور إلى مصر ودخلت غرفة العناية المركزية بإحدى المستشفيات الخاصة بالقاهرة.

وقد أسلمت الملكة فريدة الروح عن عمر يناهز الثامنة والستين من عمرها.. ومن ثم دفنت بالقاهرة وسط موكب جنائزى مهيب شارك فيه العديد من كبار المسئولين بالدولة.

* * *

أما حديث النهاية والرحيل بالنسبة لملكة مصر الثانية «الملكة ناريمان».. فلم يسدل عليه الستار بعد. فهى الآن وكما يقول الكاتب الصحفى سمير فراج: وبعد طلاقها من الدكتور أدهم النقيب الذى تزوجته بعد طلاقها من الملك فاروق تعيش حياة مستقرة كسيدة مجتمع ولم تبلغ بعد عامها الستين. وقد عانت الكثير فى مشوار حياتها.. إلا أنها الآن متزوجة من شخصية مصرية مرموقة فى المجتمع وتعيش معه الآن فى سعادة واستقرار.

ومن قبل حديث نهاية الأرواح.. وارتفاعها إلى عنان السماء.. بعد ما تخرج من الأجساد.. هناك نهايات أخرى متنوعة ومتعددة الأشكال.. هذه النهايات قد عايشتها الملكة ناريمان.. منذ أن رحلت مع زوجها الأول فاروق ملك مصر السابق إلى إيطاليا وحتى رجوعها إلى مصر مرة أخرى بعد طلاقها منه.

لقد بدأت ناريمان رحلة جديدة من حياتها.. وقد اختلفت تماما عن رحلتها السابقة التى بدأت خلف جدران سراى عابدين وقصر القبة. هذه الرحلة بدأت منذ اليوم الذى خُلع فيه فاروق وصعدت معه على ظهر اليخت «المحروسة» محتضنة وليدها الصغير الأمير

أحمد فؤاد. وعلى بعد نصف ساعة بالسيارة عن العاصمة الإيطالية روما استقر فاروق مع أسرته فى فيلا خاصة.

وقد ظنت ناريمان أن زوجها فاروق سوف يقدر لها موقفها هذا حين قبلت الرحيل معه إلى عالم مجهول. على أن فاروق قد خيب ظنها حيث لم يكن يرى أن ما فعلته زوجته ناريمان كان من باب التضحية.. بل كان يعتبر ما حدث منها هو الشئ العادى.. وأن ذلك هو أبسط ما تفعله أية زوجة صدر أمر بإبعاد زوجها إلى خارج البلاد.

ومن هنا بدأت سلسلة المتاعب والخلافات التى هددت زواجهما. وبالفعل ظلت ناريمان من وقتها تطالب بحقها الشرعي في الطلاق من فاروق. ولما فشلت في الحصول على هذا الحق بنفسها أرسلت فى طلب أمها أصيلة هانم.. وجاءت الأم بعدما تقدمت بطلب إلى محمد نجيب. وكان يومها رئيسا لمجلس قيادة الثورة. وما كادت تحصل على الموافقة، حتى سافرت إلى روما.. وعندما وصلت إلى هناك لمست بالفعل ما تعانيه ابنتها من عذاب نفسيٌ من جراء سلوكيات فاروق ومغامراته النسائية مع بنات روما!.

وبعد محاولات عديدة وافق فاروق على طلاق ناريمان.. وكان ذلك فى عام ١٩٥٤.. بشرط أن تتنازل عن حضانة ابنها الصغير أحمد فؤاد.

ويقول سمير فراج: إنه رغم قسوة الشرط.. فقد وافقت ناريمان

بعد أن تم الاتفاق على كيفية رؤية الطفل بشكل أو بآخر فى المستقبل. لقد كان هم الملكة ناريمان الأول والأخير الهروب من جحيم عذاب فاروق. . ملك مصر السابق.

وحين عادت ناريمان إلى القاهرة بدأت تستعيد حياتها من جديد فاختارت لها زوجا هو الدكتور أدهم النقيب وقد أنجبت منه ابنها أكرم النقيب. وهو أخ غير شقيق للأمير أحمد فؤاد. وبعد طلاقها من الدكتور النقيب تزوجت من غيره. وهى الآن تعيش حياة سعيدة فى القاهرة التى أحبتها ولم تطق الفراق عنها، حتى ولو كان مع ملك مصر السابق.

وكلما تقدمت بنا الأيام والسنين. . كلما شعرنا أكثر بقرب النهاية سواء نهاية الأشخاص أو الأحداث أو الأوراق.

وقبل أن نصل إلى خط تلك النهاية. . كان علينا أن نقف على بقية ما آل إليه مصير معظم هذه الشخصيات التى صاحبتها طويلا.

ولعلنا نبدأ هذه الرحلة بحديث عن بقايا السراى وأسرة الملك فاروق. . إن الملكة نازلى بعدما رحلت عن مصر واستقرت هناك فى أمريكا، ارتبطت بزوج ابنتها رياض غالى الذى تزوج من ابنتها الأميرة فتحية والذى تخلص منها بإطلاق الرصاص عليها على أرض الغربة. ومن بعد رحيل ابنتها اقتربت نهاية نازلى حين أعلنت إفلاسها. وبالتالى باعت كل ممتلكاتها فى جزيرة «هاواى» و «لوس أنجلوس». . ليس هذا فقط. بل إنها ماتت بعيدة عن أرض مصر. . ولم يشهد جنازتها سوى حوالى عشرين شخصية فقط

وتوالى المصير المظلم. . حيث أخذت المصائب تطارد أسرة الملك فاروق. حتى لم يعد قائما منها على وجه الأرض سوى ابنه الأمير أحمد فؤاد الذى لايزال يعيش بعيداً عن أرض مصر. وأخته الأميرة فوزية التى تم طلاقها من شاه إيران وتزوجت بأحد المصريين، وكذلك أخته الأميرة فايزة بعد طلاقها من محمد على رؤوف. . وهى الآن تعيش فى شقة صغيرة ومتواضعة فى مدينة لوس أنجلوس الأمريكية.

وخارج السراى. . كان لابد لنا وأن نبحث أيضا عن نهاية بقية الشخصيات الثانوية حتى ولو فى كلمات عابرة. . أو سطور قليلة.

مصطفى كمال صدقى: الرجل الثانى فى حياة ناهد رشاد. . وضابط الجيش المقاتل العنيد. . قضى بقية حياته فى مستشفى الأمراض العقلية. . ولم يخرج منها إلا إلى مثواه الأخير.

سيد جاد: أحد رجال الحرس الحديدى الذى عايش معظم الأحداث التى ارتبطت بحياة ناهد رشاد خاصة فى الفترة التى أعقبت زواج الملك فاروق من ناريمان. . بعد ما خرج من الجيش عمل محاميا. . ثم مات.

مرتضى المراغى: الشاهد الوحيد على فساد فاروق وحاشيته وبالتالى على حكاية ناهد رشاد. . وقد سجل شهادته فى مذكراته التى كتبها ونشرها فى كتاب. وقد ظل طريد رجال الثورة حتى وافته المنية.

أنور السادات: أحد نجوم حركة الضباط الأحرار.. والذى ساهم كثيرا فى صنع مئات الأحداث.. التى كان أبرزها علاقته المزدوجة بالسراى وبرجال الجيش.. من خلال معرفته بناهد رشاد.. وقد رحل هو الآخر عن عالمنا بعد قصة كفاح طويلة بدأت داخل السجن وانتهت بحادث المنصة.

تاريخ مصر الحديث
فى ألبوم صور
خاص جداً



ناهد رشاد وزوجها الدكتور يوسف فى طريقهما إلى المحكمة.



ناهد رشاد بالزى العسكرى عام ١٩٤٨ .



الملك فاروق وبجواره السلطانة ملك.. صورة بمناسبة زفافه الثانى على ناريمان..

وتقف ناهد رشاد فى آخر الصف الأول من اليسار..

وكأنما تودع الحياة الملكية والقصور!!.



الملك فاروق فى صورة شخصية مع زوجته الثانية ناريمان.



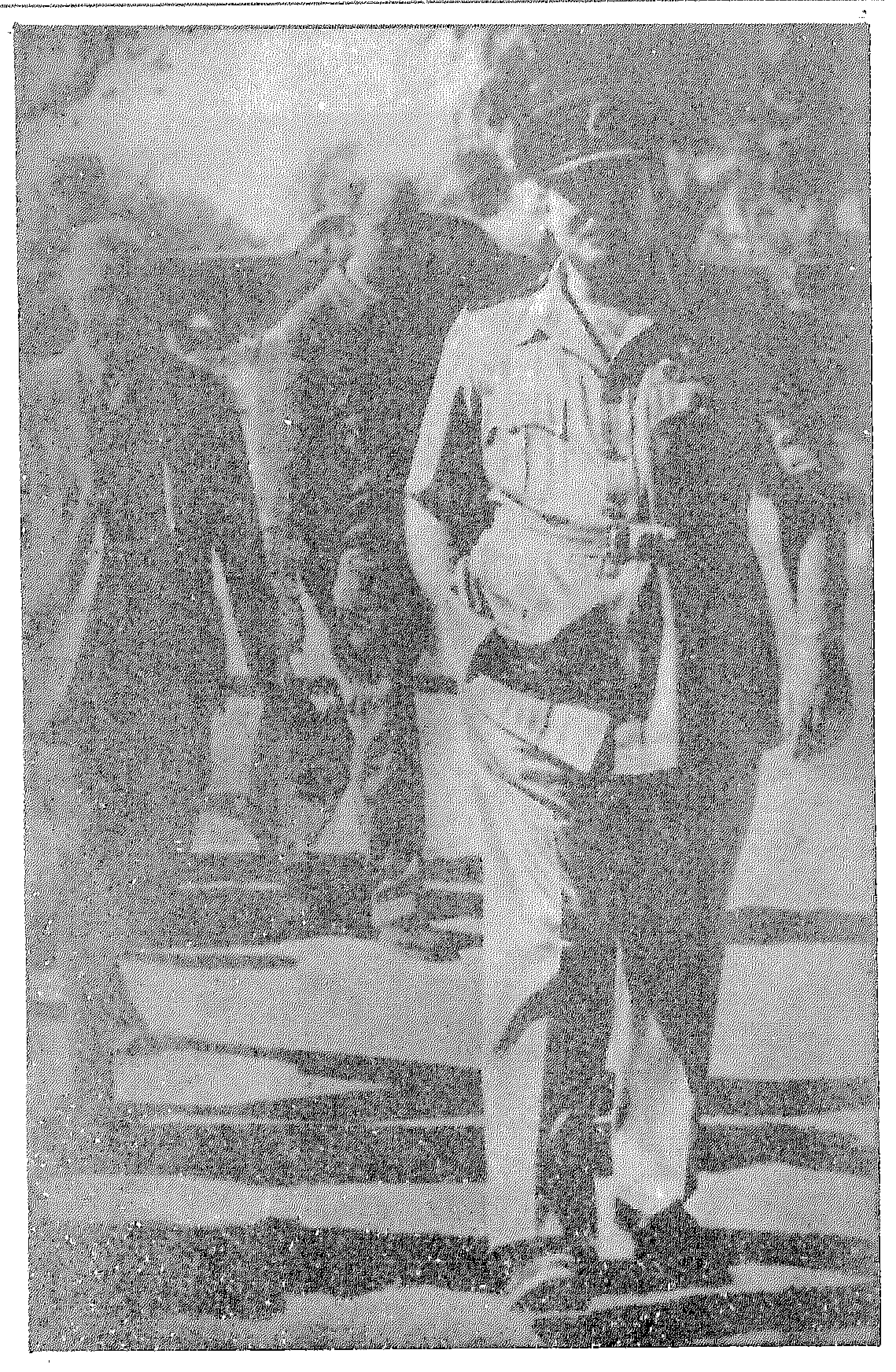
ناهد رشاد.. تقف خلف الامبراطورة فوزية شقيقة الملك فاروق..

وذلك قبل انتقالها للعمل وصيفة للملك.

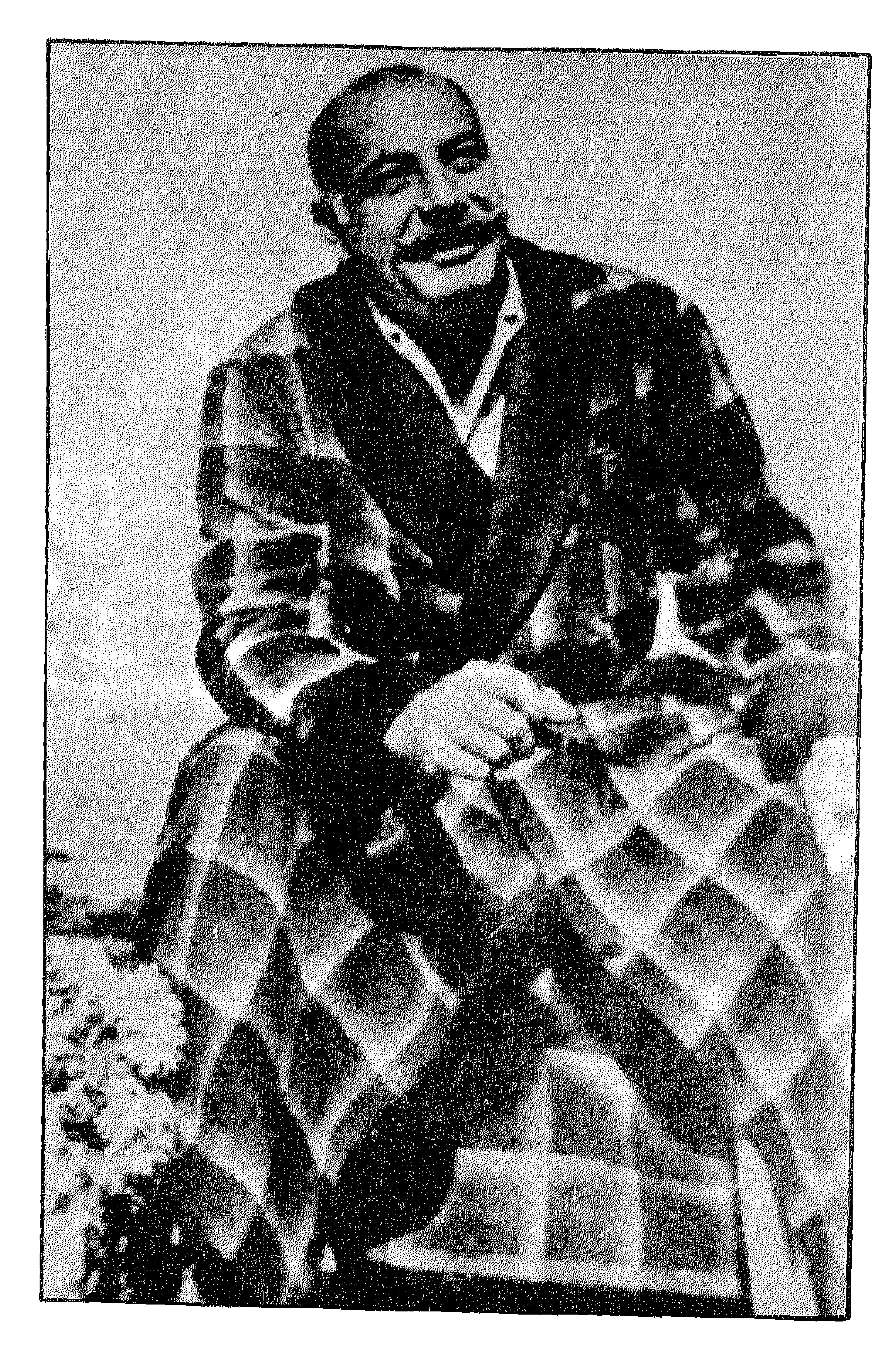


الملك فاروق يوم حفل زفافه على الملكة ناريمان..

وتمسك بذراعه ناهد رشاد.. الملكة غير الشرعية!!.



الدكتور يوسف رشاد.. فى صحبة الملك فاروق بعد اختياره ضمن حاشية الملك فى أول رحلة صيد!!.



الدكتور يوسف رشاد وهو فى حديقة أحد المعتقلات التى دخلها بعد الثورة.



الدكتور يوسف رشاد يحضر إحدى جلسات محكمة الثورة قبل إدانته.

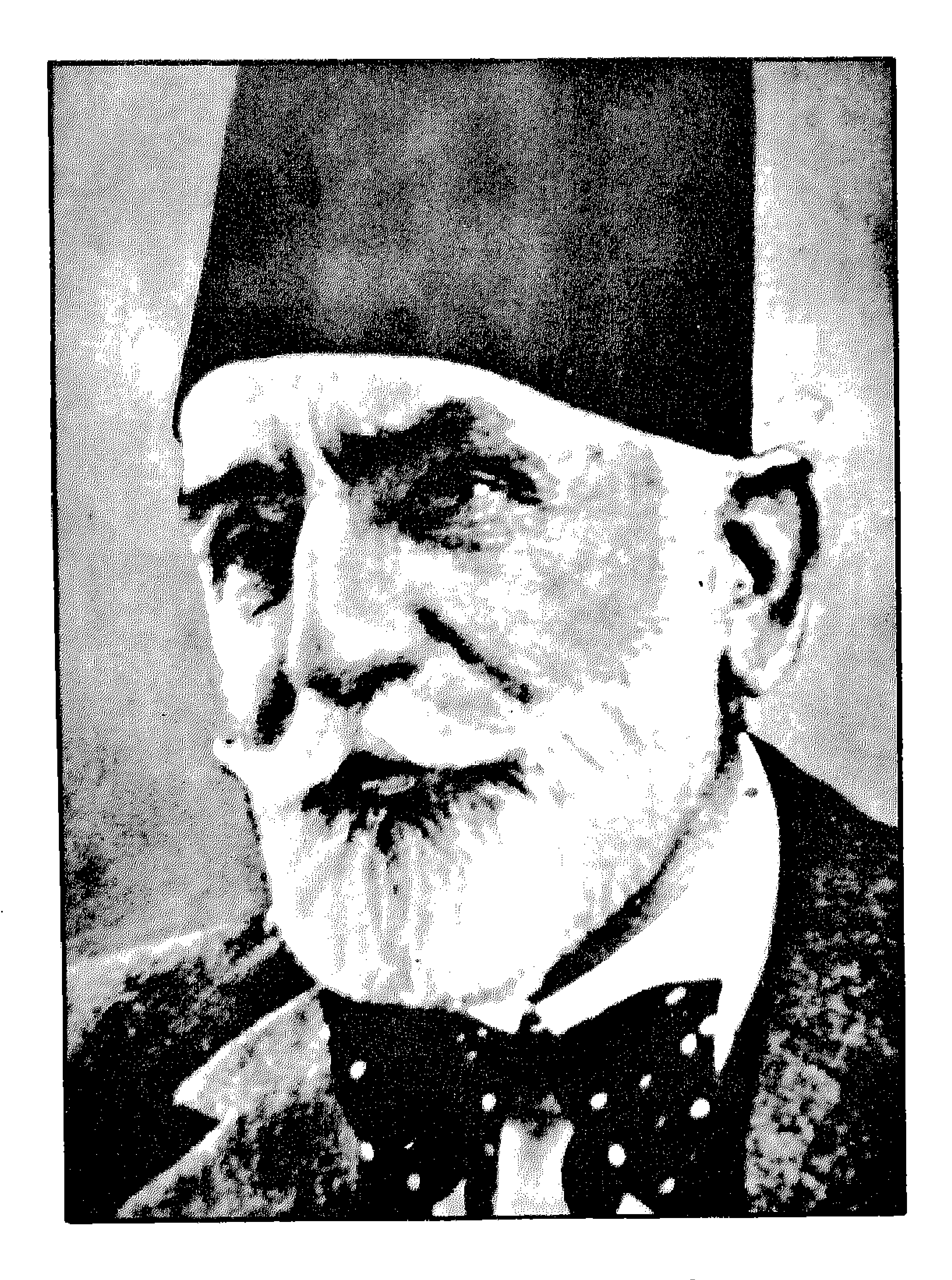


ناهد رشاد تدافع عن نفسها أمام محكمة الثورة التي نظرت

قضية مقتل عبد القادر طه وبجوارها محمد حسن خادم الملك فاروق.

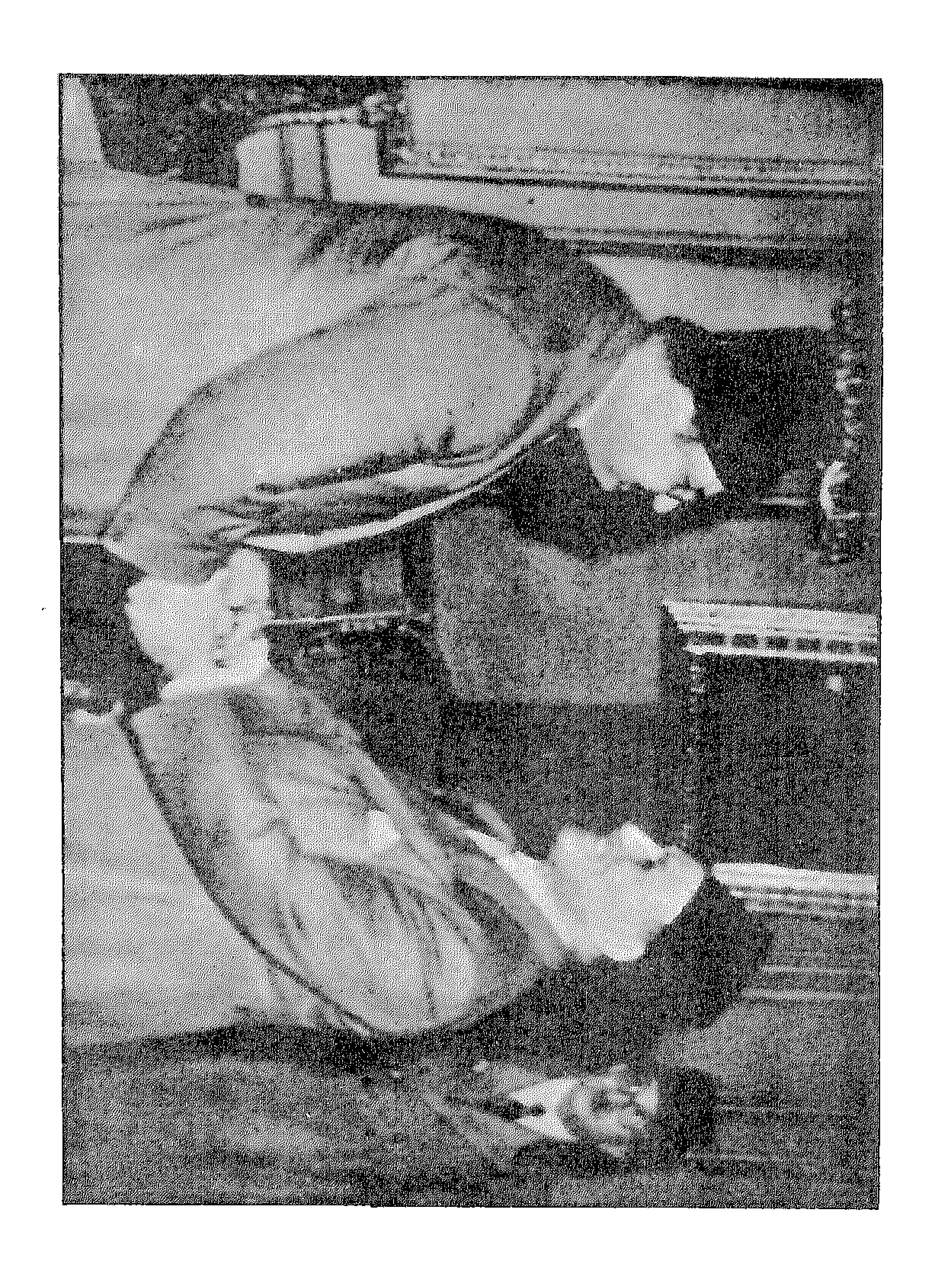


الملكة فريدة.. فى صورة نادرة.



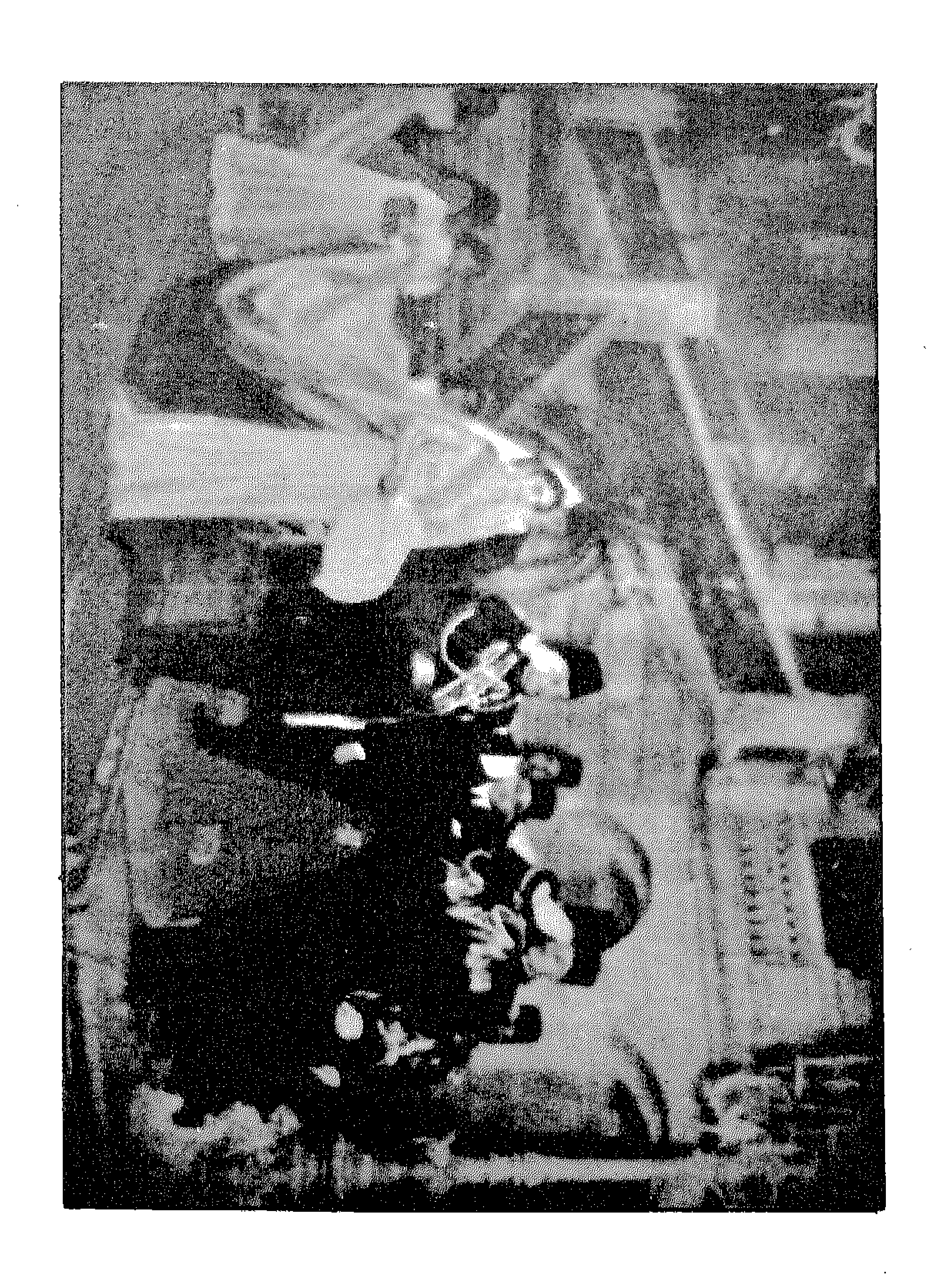
الأمير محمد على توفيق ولى عهد مصر..

قبل تولى الملك فاروق عرش مصر.. بشكل رسمى.



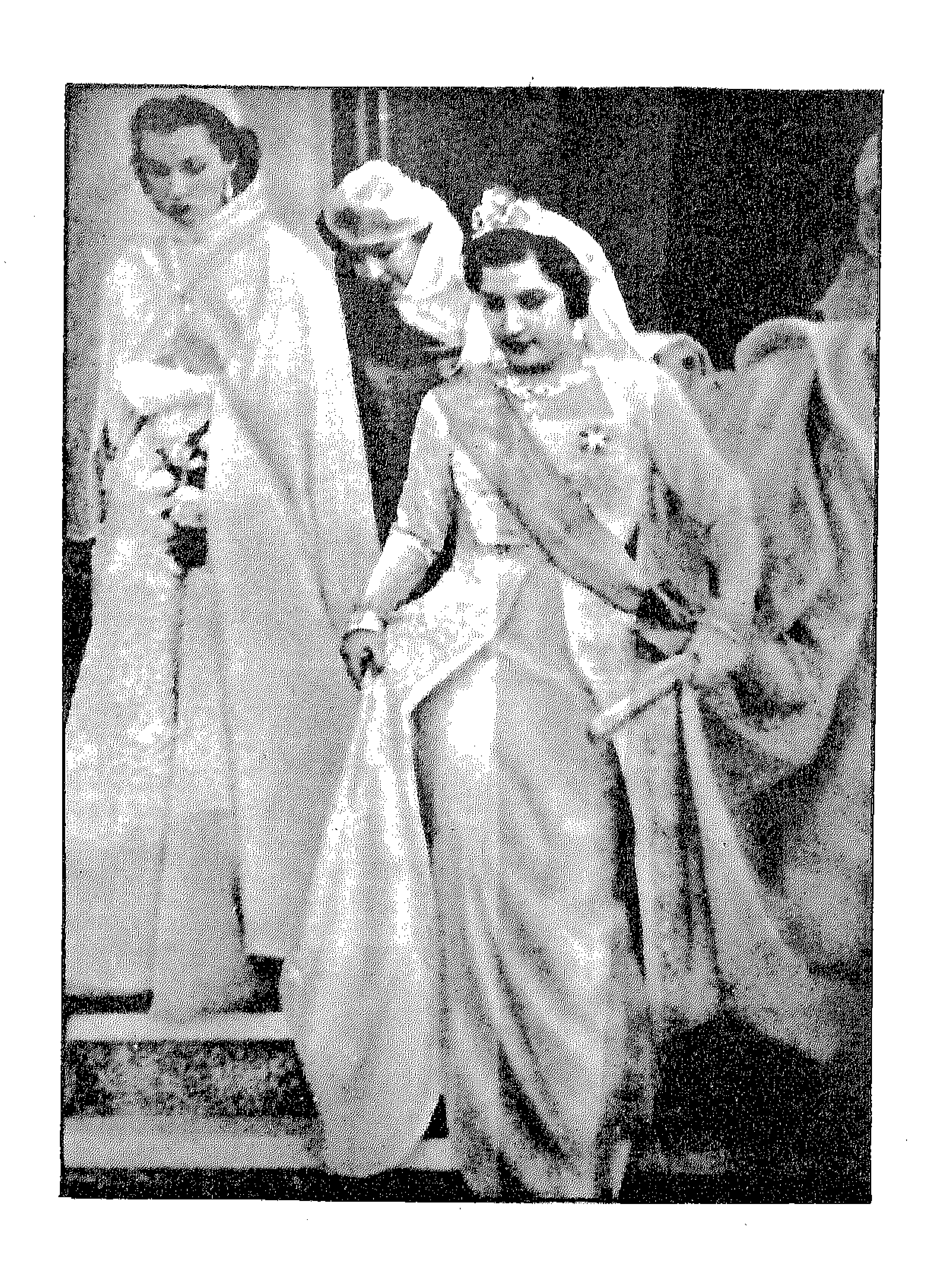
الملك فاروق يتلقى تهانى زفافه علي الملكة ناريمان من

مصطفى باشا النحاس عدوه اللدود.

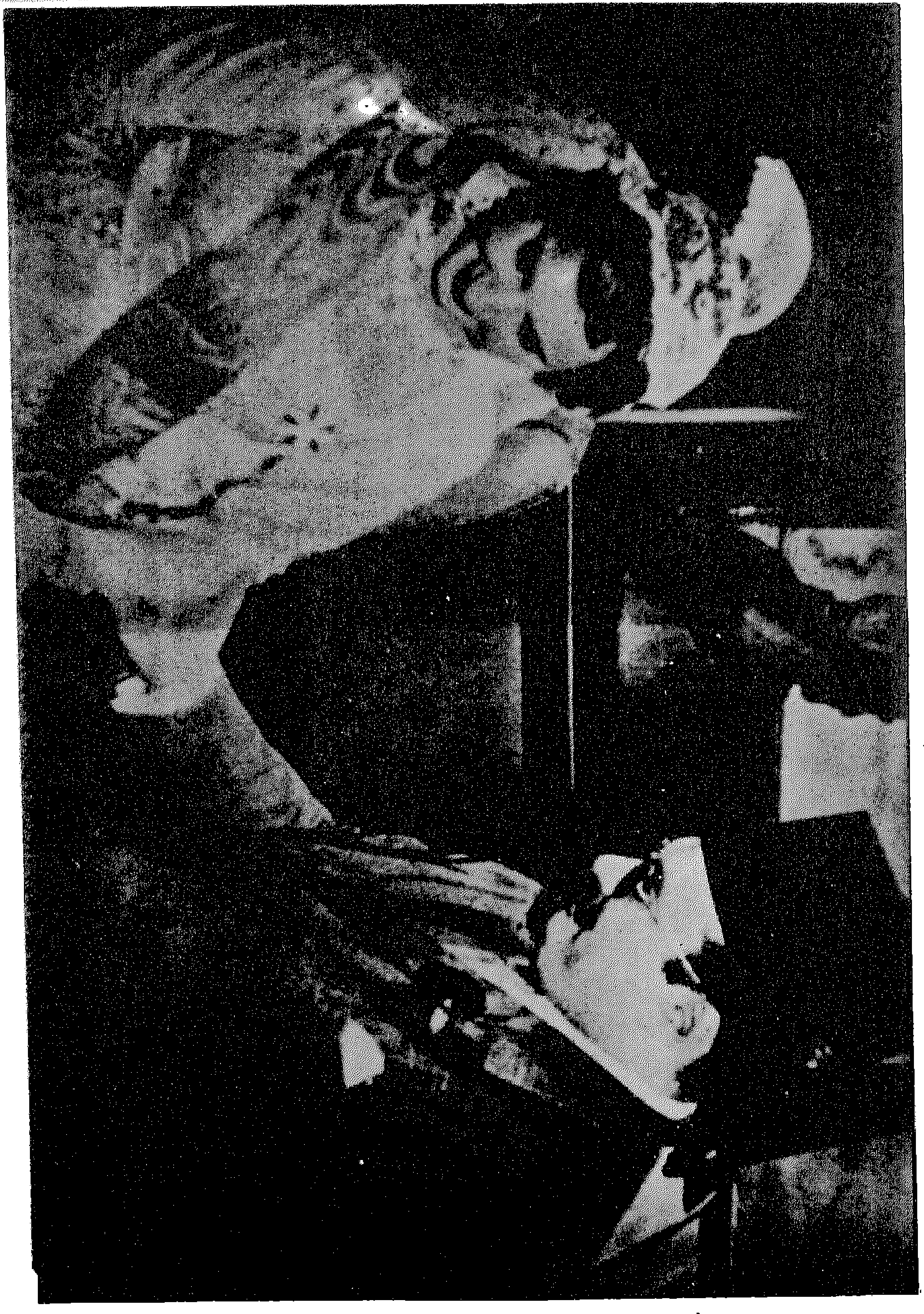


حفل زفاف الملك فاروق على زوجته الأولى الملكة فريدة..

واستقبال ملكى داخل قصر عابدين.



الملكة ناريمان.. وبجوارها الأميرة فوزية.. وخلفهما ناهد رشاد.



الملك فاروق يرحب بزوجته الجديدة ناريمان داخل قصر عابدين.

المحتويات

هذا الكتاب

يأخذنا الاستاذ حنفى المحلاوى فى سياحة ممتعة عبر صفحات هذا الكتاب التى تتناول كثيراً من أسرار تاريخ مصر فى عهد الملك فاروق . . آخر الملوك الذين جلسوا على عرشها .

فمن هى تلك السيدة التى لعبت دوراً واضحاً فى بعض الأحيان وخفيا فى أحيان أخرى . . وكانت ذات تأثير بالغ على الملك فاروق نفسه وعلى كبار رجال حاشيته . . ؟!

وما هى علاقتها بتنظيم الحرس الحديدى وما قام به هذا التنظيم من اغتيالات ومحاولات لاغتيال كبار السياسيين المصريين الذين كان فاروق يرغب فى التخلص منهم . . ؟!

وما هى أسرار خطتها التى دبرتها بكل إحكام لتجلس إلى جوار فاروق ملكة على عرش مصر . . وكيف خدعها فاروق وتزوج ناريمان . . وكيف انتقمت من الملك فاروق بعد أن بدد أحلامها . . ؟!

وما هى علاقتها بأنور السادات حين كان عضواً بالحرس الحديدى . . وهل باح لها السادات بأسرار الانقلاب العسكرى الذى كان يدبره الضباط الأحرار . . وباح لها أيضاً بموعد قيام حركة الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . . ؟!

أسرار . . وأسرار كثيرة تناولها المؤلف فى هذا الكتاب الممتع . . ليس تشهيراً بالشخصيات التى لعبت أدوارها فى تلك الأحداث . . وإنما هى شهادة للتاريخ . . شهادة صادقة .

« الناشر »

Maktbat Al-Dar Al-Arabia Lel-Ketab
Printing - Publishing - Distribution



شارع الطيران – [illegible] – الحى السابع – مدينة نصر – تليفون ٢٦٣٩٨٥١ – فاكس ٣٩٠٩٦١٨ – ص.ب ٢٠٢٢ – القاهرة
7 th District - Madinet Nasr - Tayaran St Cairo - Tel 2639851 - Fax 3909618 P O Box 2022 Cairo